بسم الله الرحمن الرحيم

جامعـــــة اليرمـــــوك
معهد الآثار والأنثروبولوجيا
قســـــم الأنثروبولوجيا

التحولات السكانية والتغيرات البيئية في واحة الأزرق

دراسة أنثروبولوجية ميدانية

إعـــداد الطالبـــة
سوسن أحمد محمود أبو عجمية
ليسانس فلسفة وعلم نفس

إشـــــراف
أ.د قيـس النـوري

١٩٩٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جامعـــــة اليرمـــــوك
معهد الآثار والأنثروبولوجيا
قســـــم الأنثروبولوجيا

التحولات السكانية والتغيرات البيئية في واحة الأزرق

دراسة أنثروبولوجية ميدانية

إعداد الطالبة
سوسن أحمد محمود أبو عجمية
ليسانس فلسفة وعلم نفس

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات نيل درجة الماجستير من جامعة اليرموك في الأنثروبولوجيا، تخصص أنثروبولوجيا اجتماعية

أعضاء لجنة المناقشة:-

أ.د. قيس النـــوري ---------- رئيساً.

د. سامح غرايبـــة ---------- عضواً.

د. محمد الطراونة ---------- عضواً.

١٩٩٩

الإهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى زوجي الذي ساعدني،

وتفهم تطلعاتي، وقدّر انشغالي بهذا البحث.

وأهديه إلى أولادي إياس وإيهاب وابنتي رند.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر إلى أخواتي، غادة وسهير اللتان كانتا عوناً لي في متابعة الدراسة وإتمام هذه الرسالة، واشكر جميع أفراد أسرتي على العون الذي قدموه لي . كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أهالي الأزرق بجميع فئاته، وأتوجه بالشكر أيضا الى الأستاذ الفاضل عثمان دولت، ومفضي السرحان، وسلاّم القاضي وغيرهم، وأشكر الدكتور درويش عريقلت وزوجته على استضافتهم لي، كما واشكر السيد محمود قبلاوي على مساعدته لي. وأتقدم بالشكر إلى أعضاء جمعية الأزرق التعاونية ومصنع الملح، وجمعية تربية الأسماك، وبلدية الأزرق الشمالي، ومجلس قروي الأزرق الجنوبي، واشكر مشروع بحث وتطوير البادية، وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الجمعية الملكية لحماية الطبيعة التي قدمت لي الدعم والمساعدة وسهّلت لي مهمة البحث في الأزرق.

أتوجه بالشكر أيضا إلى السيد سليمان الحنبلي وعبد الرحيم وريكات من المؤسسة العامة لحماية البيئة، أخص بالشكر السيد علي مبيضين ، كما وأتقدم بالشكر إلى الدكتور عبد الإله أبو عياش من وزارة السياحة والآثار، واشكر المهندس محمد مصطفى ابو عجيمية.

وأتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور قيس النوري، وأعضاء لجنة المناقشة الدكتور محمد الطراونه، والدكتور سامح غرايبه.

وفي النهاية اشكر جميع الذين أحسنوا لي والذين أساءوا لي، لأن الذين أحسنوا لي منحوني الثقة والأمل، والذين أساءوا لي منحوني العزم والتصميم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ملخص

التحولات السكانية والتغيرات البيئية في واحة الازرق

تناولت هذه الدراسة مختلف التغيرات البيئية التي طرأت على واحة الأزرق، والتي تقع في إقليم البادية الشرقية ضمن محافظة الزرقاء، وتتوسط هذه الواحة في قلب حوض مائي كبير يمتد من جنوب سوريا شمالا إلى الجنوب الشرقي باتجاه الأراضي السعودية.

وقد استهدفت هذه الدراسة تتبع التغيرات البيئية للتعرف على أثر البيئة في تشكيل الحياة الثقافية للسكان، وانعكاسات اختلال التوازن البيئي على مختلف النواحي الثقافية مع التركيز على الأنشطة الاقتصادية لارتباطها الوثيق بالبيئة، وذلك من خلال استخدام منهجية ستيوارد للبحث التي تقوم على بحث التفاعلات القائمة بين المجتمعات والنظم الاجتماعية والاقتصادية وبين البيئة الطبيعية، واستخدام منهجه المقارن أيضا للوصول إلى القوانين وذلك من خلال إيجاد روابط سببية بين المتغيرات المختلفة، واستخدام منهج الايكولوجيا الثقافية لتحليل العلاقات بين الأنشطة الاقتصادية والموارد البيئية، بالإضافة إلى بالمنهج التاريخي والاستعانة بالعلوم البحتة مثل علم الأحياء، والجيولوجيا والمصادر المائية.

وقد قسّمت الدراسة إلى سبعة فصول وهي:-

الأول: وهو بعنوان الأطر النظرية والمنهجية، وقد اشتمل على المقدمة، منهج البحث، مشكلة البحث، أهمية البحث، صعوبات البحث، والدراسات السابقة التي لها علاقة موضوع البحث.

الفصل الثاني: بعنوان البيئة الطبيعية للأزرق، وقد احتوى على الموقع والطبوغرافية والمناخ، ومعلومات عن جيولوجيا الأزرق والموارد المائية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيها،والغطاء النباتي والحيوانات والمحميات الطبيعية، ومعلومات عن الآثار من قصور وقلاع صحراوية، وبيان تسلسل تاريخ الاستيطان في الأزرق في العصور الحجرية والعصر الروماني والعصور الإسلامية.

الفصل الثالث: بعنوان سكان الازرق، ويتحدث عن قرى الأزرق والجماعات الإثنية فيها، وتاريخ استقرار هذه الجماعات، والكثافة السكانية، واستعراض الهجرات السكانية لمختلف الجماعات وأسبابها، ووصف مساكن هذه الجماعات ومواقعها، ثم وصف الوضع الاجتماعي للسكان وتوضيح روابط النسب والمصاهرة وعلاقات الجوار والتعاون والهوية والانتماء عند هذه الجماعات، ثم التطور الإداري والسياسي والقيادات المحلية في الازرق.

الفصل الرابع: بعنوان النسق الاقتصادي للأزرق، ويتناول بالتفصيل مختلف الأنشطة الاقتصادية عند مختلف الجماعات، وتتبع الوضع السابق لهذه الأنشطة ومدى أهميتها بالنسبة للسكان، وتوضيح الموارد البيئية التي ترتكز عليها هذه الأنشطة، وتتبع التغيرات والمشكلات التي رافقتها وأسباب اضمحلال معظم هذه الأنشطة، والمشاريع الاقتصادية المعتمدة على الموارد البيئية وأسباب فشل وتعثر هذه المشاريع.

الفصل الخامس: بعنوان المشكلات والتغيرات البيئية في الأزرق، وتناول مختلف المشكلات الإدارية التي تعرض لها السكان مثل مشكلة الأراضي ودمج قريتي الأزرق وقرار إغلاق وقرار ترحيل سكان الأزرق ، ثم التغيرات البيئية المصاحبة لاختلال التوازن البيئي في الأزرق.

الفصل السادس: بعنوان العلاقة بين البيئة والإنسان: تحليل أيكولوجي، وقد اهتم هذا الفصل بتوضيح التفاعلات الإيكولوجية بين الإنسان وبين المصادر البيئية المختلفة، وتحليل العلاقات بين الجماعات الإثنية وبينها وبين البيئة، وتحليل العلاقات والتفاعلات بين الموارد البيئية والحياة الثقافية للسكان، ومدى اهمية الأنشطة البيئية للإنسان والبيئة، واثر اختلال التوازن البيئي على السكان في

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأزرق، وطرق تكيف السكان مع الظروف البيئية الجديدة والأنماط الاقتصادية البديلة، واثر هذه التغيرات على اتجاهات وسلوك الأفراد الاجتماعية والنفسية.

الفصل السابع : وقد احتوى على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ومن أبرزها : إن للبيئة أثر كبير في توجيه الأنشطة الاقتصادية وتشكيل الاتجاهات السلوكية والاجتماعية للسكان في الازرق، وقد أدى التدمير المتسارع للبيئة في خلق مشكلة في الاعتماد على الموارد البيئية كمصدر رزق، مما جعل السكان يتوجهون للبحث عن بدائل اقتصادية جديدة، وقد كان لبعض هذه البدائل اثر سلبي على البيئة، وقد كان لكل جماعة سكانية أسلوبها الخاص للتكيف والتعايش مع المستجدات والتغيرات البيئية وذلك حسب أنماطها الثقافية وانتماءاتها الإثنية، والمناطق التي هاجرت منها، ومناطق استقرارها ،وكانت بعض الجماعات أكثر تأثرا بالتغيرات البيئية من غيرها وذلك حسب درجة التصاق هذه الجماعات بالبيئة واعتمادها عليها بشكل مباشر.

خلصت هذه الدراسة إلى أن التدهور البيئي والتغيرات المصاحبة له في واحة الأزرق يعود بشكل أساسي إلى استنزاف الموارد المائية بسبب الضخ الجائر للمياه، وأدى هذا لحدوث تغيرات مصاحبة في معظم الأنشطة الاقتصادية المتنوعة السابقة التي كان تعتمد بشكل مباشر على الموارد البيئية، وقد أدى هذا إلى اختلال العلاقة الإيكولوجية بين الإنسان وبيئته وتسبب في اختفاء وفشل معظم الأنشطة الاقتصادية السابقة، وقد صاحب هذا كله تغيرات في الأنماط الثقافية والاجتماعية والسلوكية المختلفة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ABSTRACT

DEMOGRAPHIC TRANSFORMATION AND ENVIRONMENTAL CHANGES IN AL- AZRAQ OASIS

The present study aims at describing and analyzing the effects of environmental changes of AL-Azraq region on the economic, social and cultural life of its population. It focuses, in particular, on the rising imbalance between natural resources and growing population there.

The study employs a variety of anthropological approaches, most prominent of which is the theoretical framework developed by Julian Steward. It uses the comparative method and the primacy of behavioral implications in subsistence economy, besides emphasizing the historical perspective.

It depended extensively in conducting this research on gathering data from the field. The research derived much of its material from books, documents, and articles relevant to the main theme of this study.

The thesis consists of seven chapters: -

© Arabic Digital Library Yarmouk University

The first chapter: includes the introduction, the methodology, the research problem, the significance of the research, research difficulties, and the related literature.

The second chapter: includes the description of the physical and natural environment; the location, topography and geology, flora and fauna. Archeological sites, the history of settling.

The Third chapter: includes Azraq villages and the ethnic groups, describing the groups and tribes, density and migrations to Azraq, housing, social situation including cooperation, competition, identity and loyalty, neighborhood, affinity. In addition to describing the administrative and political development.

The Fourth chapter: This part presents various economic activities of the people of Azraq, and the previous and present situation of these groups, and the natural resources they depend on, and investigate the changes and problems of the economic activities and projects.

The Fifth chapter: This chapter is concerned with the problems and the environmental changes in Azraq oasis, These problems belong to administrative decisions. It also reviews the environmental disruption and changes.

The Sixth chapter: It is concerned with the ecological relationship between man and his environment. It analyzes the

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

relations between the environmental resources and the people, the relations of the distribution of the ethnic groups and their loyalty, and the relations between the natural resources and the cultural life of the people. Besides examining the influence of the ecological imbalance on the various social and psychological aspects and economic activities, and how the groups deal with these problems, and the emergence of new economic alternatives among these groups.

The Seventh chapter: this chapter contains the main results and conclusions of the research. It has been pointed out that the environment has great role in directing the economic activities and shaping the social and behavioral aspects of Azraq, and the rapid destruction of environmental resources making local community living highly problematic regarding the natural resources. This makes the people look for other economic alternatives, some of which has negative effects on environment. It has been found that every ethnic group has its own way of adaptation and coping to these changes and problems.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحتويات

الموضـــوع	الصفحات
موافقة لجنة المناقشة	أ
إهـــداء	ب
شكـــر وتقـــدير	جـ
الخلاصة باللغة العربية	د-و
الخلاصة باللغة الإنجليزية	ز-ط
المحتـــويات	ي-ك
الفصل الأول: الأطر النظرية والمنهجية	**١-٢١**
المقدمـــة	١-٢
منهج البحث	٣-٥
مشكلة البحث	٦
أهمية البحث	٧
صعوبات البحث	٧-٨
الدراسات السابقة	٩-٢١
الفصل الثاني: البيئة الطبيعية للأزرق	**٢٢-٣٨**
الموقع والطبوغرافية	٢٢-٢٣
جيولوجية الأزرق	٢٤-٢٨
الغطاء النباتي	٢٩
الحيوانات	٢٩-٣١
المحميات الطبيعية	٣١-٣٣
آثار الأزرق	٣٣-٣٤
تاريخ الاستيطان في الأزرق	٣٥-٣٨
الفصل الثالث: سكان الأزرق	**٣٩-٦٦**
قرى الأزرق	٣٩-٤٠
الجماعات الإثنية	٤١-٥٥
الكثافة السكانية	٥٥

© Arab Digital Library-Yarmouk University

المحتويات

الموضـــوع	الصفحات
الهجرات	٥٦-٥٧
المساكن	٥٨-٦٠
الوضع الاجتماعي	٦٠-٦٤
التطور الإداري والسياسي	٦٤-٦٦
الفصل الرابع: النسق الاقتصادي للأزرق	٦٧-١١٢
الرعي وتربية الحيوانات	٦٧-٧٨
الزراعة	٧٨-٨٩
الصيد	٨٩-٩٧
النشاط التجاري	٩٧-١٠٠
الحرف والصناعات	١٠١-١١٠
السياحة	١١٠-١١٢
الفصل الخامس: المشكلات والتغيرات البيئية	١١٣-١٢٥
أولا: المشكلات؛ مشكلة الأراضي، مشكلة دمج الأزرقين، قرار إغلاق الآبار، قرار ترحيل سكان الأزرق	١١٣-١٢١
ثانيا: التغيرات البيئية؛ تملح واستنزاف مياه حوض الأزرق الجوفية، التعاقب البيئي ، التصحر، توقف هجرة الطيور، فقدان التنوع الحيوي، الحرائق، مشكلات أخرى	١٢٢-١٢٥
الفصل السادس: العلاقة بين الإنسان والبيئة: تحليل إيكولوجي	١٢٦-١٤٦
العلاقة بين الموارد البيئية والإنسان	١٢٦-١٢٨
العلاقة بين السكان والانتماءات العرقية والمذهبية	١٢٨-١٣٢
العلاقة بين الموارد البيئية والحياة الثقافية	١٣٢-١٤٦
الفصل السابع: الخاتمة	١٤٧-١٨٣
النتائج	١٤٧-١٥٣
مراجع عربية	١٥٤-١٥٧
مراجع إنجليزية	١٥٨-١٦٠
الملاحق	١٦١-١٨٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الأطر النظرية والمنهجية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المقدمـــة

تقع واحة الأزرق في محافظة الزرقاء على بعد ٨٠ كم من مدينة الزرقـــاء وعلـــى بعـــد ١٢٠ كم إلى الشرق من مدينة عمان، وتتوسط في قلب حوض مائي كبير عـــذب يمتد من جلوب سوريا شمالاً إلى الجنوب الشرقي باتجاه الأراضي السعودية .

تعتبر واحة الأزرق ذات موقع استراتيجي متميز، وخصائص بيئية طبيعيـــة فريـــدة، وكانت تعتبر إلى وقت قريب مثالا حيا لأرض ذات طبيعة رطبة في منطقة صحراوية جافـــة، تمتاز هذه الواحة بخصائص تميزها عن باقي المناطق الأخرى في الأردن من حيـــث التنـــوع والوفرة في حيواناتها ونباتاتها ، وتمتاز أيضاً باختلاف الجماعـــات الســـكانية التـــي تســـكن الأزرق، وهنا تكمن أهمية هذه المنطقة، إذ تتجلى فيها التفاعلات الإيكولوجية فـــي الأزرق بوضوح اكثر من مناطق أخرى وذلك بسبب ارتباطها الوثيق بالبيئة والمياه.

إن هذا التنوع والثراء في المعطيات البيئية يجعل علاقة الإنسان الإيكولوجية وطيـــدة فكل طرف يؤثر ويتأثر بالطرف الآخر بقوة، وهذه العلاقة لا تخص أهل الأزرق وحدهم بـــل تؤثر على باقي مناطق الأردن فالأزرق تضخ المياه لمدينتين رئيسيتين هما عمـــان والزرقـــاء وكانت تضخ المياه إلى مدينة إربد في السابق.

إن ما أثار انتباهي هو قدم هذه المنطقة وجذورها الضاربـــة فـــي التـــاريخ الســـحيق للحضارة الإنسانية وتواجد الإنسان فيها على مر العصور، كل هذا بقي علي حالـــه لعصـــور وعصور ولم تتغير طبيعة المنطقة إلا بتدرج جيولوجي طبيعي ولكن يد الإنسان المعـــاصر أو المتحضر استطاعت أن تعبث بالأزرق وتغير ملامحه وتشوه وجهه في نصف قرن وهذا ما لم يفعله الإنسان على مر العصور، إن ما حصل ويحصل للأزرق مأساة تستدعي التوقـــف، إن الملفت للانتباه بين سكان الأزرق الذين حدثوني عن بيئـــة الأزرق هـــو الاســـتخدام المفـــرط والمرير لكلمة *كان* فقد كان هناك ينابيع، وكانت هناك نباتات، وكـــانت هنـــاك حيوانـــات، وكانت توجد أسماك وكان وكان.....إن الذي يرى الأزرق الآن ولأول مرة يظن أن كل هـــذا ضرب من الوهم والخيال إذ لا وجود لكل ما تسمع .....لا ينابيع، لا نباتات ، لا أســـماك ، لا حيوانات لا نخيل لم يبق سوى الملح الذي ظل صامدا وبعض الحيوانات والنباتات التـــي تـــم انتشال بعضها وإنقاذ ما أمكن إنقاذه وإيداعه في المحميات الطبيعية خوفا عليه من الانقـــراض والانمحاق التام. وكم يؤسفني أن أكون شاهدة على الخراب الذي حل بالبيئة في الأزرق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من عرف بيئة الأزرق الحقيقية وعاشها يتألم لما آلت اليه، فأهل الأزرق عندما يتحدثون عن الأزرق تشعر بأنهم يتحدثون عن الفردوس المفقود، وانهم كالمطرودين من الجنة.

إن وفرة المعطيات وتميز هذه المنطقة وخصوصية المشكلات التي تعاني منها دفعني لدراسة هذه المنطقة، وقد اخترت هذه المنطقة لندرة الدراسات الإنسانية وانعدام الدراسات الأنثروبولوجية فيها ولقناعتي التامة بأهمية البيئة في تشكيل الحياة الثقافية للإنسان ، ودور الانثربولوجيا (كعلم له القدرة والمرونة) في التعامل والربط بين التخصصات ذات الطابع العلمي والإنساني معا.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل التفاعلات البيئية والثقافية الناتجة عن التغيرات البيئية للتعرف على اثر البيئة في تشكيل الحياة الثقافية للفرد في الأزرق، وانعكاسات اختلال التوازن البيئي على الأنشطة الاقتصادية للجماعات السكانية في الأزرق.

خلصت الدراسة إن اختلال التوازن البيئي في الأزرق أدى إلى تلاشي مختلف الأنشطة الاقتصادية التي كان يعتمد عليها السكان في السابق، مما دفع السكان للبحث عن بدائل اقتصادية جديدة، وقد تسببت كل هذه التغيرات في إحداث تغيرات في الكثير من النواحي الثقافية، وأثرت على البنية الاجتماعية والاتجاهات السلوكية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منهج البحث

يقول كروبر انه *(يمكن فهم الثقافة من خلال مصطلح العوامل الثقافية ولكن لا توجد ثقافة مفهومة بدون الرجوع إلى العوامل اللاثقافية (Noncultural) أو ما يسمى بالعوامل البيئية).*

إن المطلوب من المنهج كما يرى العالم ستيوارد هو *(بحث التفاعلات القائمة فيما بين المجتمعات والنظم الاجتماعية ، وفيما بينها وبين البيئة الطبيعية)* وهذا التحليل يصفه ستيوارد بأنه امبيريقي إذ لابد من توفر نوع من البيانات التي تمثل أطراف العلاقة في عملية التفاعل بعضها عن العوامل البيئية وبعضها عن العوامل الثقافية .....ومع استخدام ستيوارد للمنهج المقارن وسعيه للوصول إلى القوانين والتعميمات من خلال إيجاد روابط سببية بين المتغيرات المختلفة، فقد استخدم أيضاً المنهج الوظيفي واستخدم معنى الوظيفة ليدل على علاقة أحد المتغيرات بمجموعة محدودة من المتغيرات الأخرى.

قام Geerts باستخدام اصطلاح النظام الأيكولوجي Ecosystem للدلالة على العلاقات القائمة بين المكونات الحية وغير الحية لمنطقة معينة...وكان يتجه في تحليله لمكونات النظام الأيكولوجي اتجاها وظيفيا.....إن طبيعة موضوعات الدراسة في الأنثروبولوجيا الإيكولوجية تدفع الباحث إلى الاستعانة بالعلوم الأخرى أو بالمتخصصين في هذه العلوم، كما تحتاج لفترة أطول من الدراسة الحقلية حتى يتيسر للباحث متابعة الموضوع الذي يبحثه خلال التغيرات المناخية الفصلية، أو من خلال المراحل المتوالية التي يستغرقها وفي نفس الوقت الذي يستخدم فيه الباحث الأيكولوجي المنهج الوظيفي في استكشاف العلاقات والأدوار الوظيفية لكل مكونات النسق الذي يدرسه، فانه يحتاج أيضاً إلى المنهج التاريخي في تتبع التغيرات التي طرأت على موضوع البحث.(إبراهيم& الشنواني، ١٩٨٨ :٢٤-٣٠).

ركزت في بحثي على استخدام منهج الايكولوجيا الثقافية لستيوارد، وذلك لتركيزه على العلاقات بين البيئة والتكنولوجيا الإنتاجية وكيفية استغلال الثقافة للموارد المتاحة بطريقة فعالة، والأنماط السلوكية المصاحبة لها، وتأثير هذه الأنماط على جوانب الثقافة.

واستعنت بالمنهج التاريخي لتوضيح الوضع البيئي والجماعات الإنسانية السابقة في الازرق، بالإضافة إلى الاستعانة بالعلوم الطبيعية البحتة مثل الجيولوجيا والبيولوجيا، وقمت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بتوظيف المنهج المقارن في تحليل العلاقات بين البيئة والإنسان في الماضي والحاضر، وبين الجماعات الإثنية نفسها في الماضي والحاضر.

هذا وقد استفدت من منهج Steward و Geertz بالإضافة لتحليلات كل من Rappaport & Vayda في دراستي للأزرق، وقمت باستخدام أساليب وطرق البحث التالية :

- <u>الدراسة التاريخية والوصفية</u> :-

ان المنهج الذي اتبعته في هذا البحث يتلخص في تحديد الحالة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية السابقة في واحة الأزرق من خلال الاطلاع على الأدب السابق المكتوب عن تاريخ الأزرق القديم والحديث ، وأيضاً من خلال التاريخ الوصفي الذي حصلت عليه من التحدث مع كبار السن للجماعات السكانية الثلاث .

- <u>الإقامة في الميدان</u> :-

وذلك من خلال القيام بزيارات ميدانية للجماعات السكانية هناك لمدة سنة على فترات مختلفة، وبناء شبكة علاقات وصداقات وثيقة من مختلف الجماعات حتى أصبحت معروفة ومألوفة للمجتمع المحلي مما جعلني انخرط في مجتمع الأزرق أكون فكرة جيدة عن الوضع الثقافي والبيئي السابق والحالي، وقد نجحت في توطيد صلتي بالجهات الحكومية وشبه الحكومية، مثل :-

- المؤسسة العامة لحماية البيئة ، وجمعية البيئة الأردنية.
- الجمعية الملكية لحماية الطبيعة، وانتسبت كعضو فيها.
- مشروع بحث وتطوير البادية الأردنية.
- محمية الشومري، ومحمية الأزرق المائية في الأزرق.
- بلدية الأزرق الشمالي، ومجلس قروي الأزرق الجنوبي.
- الجمعيات التعاونية مثل جمعية الأزرق التعاونية الزراعية، وجمعية تربية الأسماك .
- وجهاء وزعماء البدو والشيشان والدروز .

- <u>المقابلات</u> :-

استخدمت المقابلات المختلفة من خلال طرح أسئلة محددة بهدف الحصول على اكبر قدر من المعلومات وتمت المقابلات مع مختلف الشرائح مع التركيز على الفئات المتعلمة والتي لها صلة وثيقة بالمجتمع ، وتنوعت أماكن هذه المقابلات في البيوت أو المضافات أو المحميات أو أماكن العمل المختلفة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **الملاحظة بالمشاركة :-**

لقد يسرت لي الإقامة بالميدان أن اطلع على الوضع في الأزرق عن قـــرب بزيـــارة الناس في مختلف الأوقات سواء في الصباح أو بعد الظهر أحيانا كسهرة في المساء.

- **القيام بالجولات الميدانية للمواقع :-**

قمت بزيارة العديد من المزارع والمصانع مثل مصنـــع الملـــح ، وزيـــارات ميدانيـــة متكررة لمحمية الشومري للأحياء البرية ومحمية الأزرق للأحيـــاء المائيـــة وينـــابيع المياه، وبعض الأودية والقصور الصحراوية، ولقد يسرت لي الزيـــارات المتواصلـــة ملاحظة التغيرات في الفصول والتعرف على بعض التغيرات مثـــل امتـــلاء منطقـــة القاع بمياه الأودية والسيول في فصل الشتاء.

- **الاخباريون Informants :-**

الاستعانة بإخباريين من المجتمع المحلي لمعرفة المزيد عن مجتمع الأزرق وخصوصا في الأوقات التي كنت انقطع فيها عن الميدان ثم اعود إليه ثانية.

- **السجلات والوثائق الرسمية :-**

استعنت ببعض الوثائق الرسمية من دائرة الأراضي والمساحة، ودائرة الإحصاءات العامة.

- **الصور والخرائط :-**

تم استخدام الخرائط التي توضح موقع القرية ومساحتها ، والخرائط التي تبين موقعـها ومساحتها في الأردن وفي محافظة الزرقاء ، واستخدام الخرائط الجيولوجية والخرائط التي تبين حوض الأزرق والوضع المائي فيه والخرائط التي تبين توزيـــع الجماعـــات السكانية المختلفة، بالإضافة لاستخدام الصور الفوتوغرافية القديمة ، والتقاط صـــور فوتوغرافية لمختلف نواحي الحياة المعاصرة في الأزرق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مشكلة البحث

في البداية سأقوم بتعريف مفهوم (مشكلة) من المنظور البيئي وهي ***(حدوث خلل أو تدهور في مكونات النظام الايكولوجي، وما ينجم عن هذا الخلل من أخطار تضر بكل مظاهر الحياة على سطح الأرض سواء كان هذا الخطر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا المفهوم لا يعني فقط المشكلات الآنية، وانما تتسع دائرته لتشمل أيضاً احتمالات حدوث المشكلة في المستقبل المنظور وغير المنظور)*** (عبد المقصود، ١٩٩٧ :٧٢).

تدور مشكلة البحث حول التساؤلات التالية: ما هي التغيرات البيئية التي تعرضت لها واحة الأزرق خلال نصف القرن الأخير؟ وما هي العوامل التي ساهمت في إحداث هذه التغيرات؟ وما أثر هذه التغيرات على البنية الاجتماعية والاقتصادية لسكان المنطقة. لقد تعرضت واحة الأزرق إلى تغيرات بيئية متسارعة أدت إلى اضطراب التوازن البيئي فيها مما أدى إلى خلق عدة مشاكل مثل؛ استنزاف وملوحة وتلوث المياه، التصحر، انقراض أنواع كثيرة من الحيوانات والنباتات، وانحسار المراعي. جميع هذه المشكلات قد أثرت على المجتمع المحلي في الأزرق وأدت إلى ظهور اتجاهات جديدة للتعامل مع هذه المشكلات ويمكن القول ان بعض هذه الاتجاهات له اثر سلبي والآخر له اثر إيجابي، ويُعنى هذا البحث بدراسة هذه الاتجاهات في مختلف نواحي الحياة، ونظرا لوجود ثلاث جماعات متمايزة في الأزرق هي:

١- البدو ٢- الشيشان ٣- الدروز

ان هذه الجماعات السكانية تتعامل مع هذه التغيرات بطرق متباينة تبعا لمناطق سكن كل جماعة والخلفية الثقافية لهذه الجماعات.

وقد قمت بصياغة عدد من الفرضيات لتساعدني في فهم العلاقة بين المتغيرات وجعلها دليلا لي في عملية البحث وهذه الفرضيات هي :

- للبيئة أثر كبير في توجيه الأنشطة الاقتصادية والاتجاهات السلوكية والاجتماعية.
- التدمير المتسارع للبيئة يخلق مشكلة في الاعتماد على الموارد البيئية كمصدر رزق.
- التوجه نحو بدائل اقتصادية جديدة قد يؤثر سلبا على البيئة.
- كل جماعة سكانية لها أسلوبها الخاص في التكيف والتعايش مع هذه التغيرات.
- هناك بعض الشرائح الاجتماعية أكثر تأثرا بالتغيرات البيئية من غيرها .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث من أهمية المنطقة ذاتها، أهميتها محليا، وعربيا، ودوليا، أما محليا فذلك لأنها أهم مصدر للمياه في الأردن ولأنها حوض مائي متجدد، ولأن معظم الأحواض المائية قد استنزفت أو تعرضت للتلوث، وهنا تبرز أهمية حوض الأزرق المائي في ضوء أزمة المياه التي تعاني منها كثير من الدول والأردن بشكل خاص.

وأما عربيا فبسبب أهميتها الاستراتيجية إذ تقع على مفترق ثلاث دول عربية : السعودية، العراق، سوريا.

وأما دوليا فبسبب كونها محطة للطيور المهاجرة القادمة من أوروبا. ان المشكلات التي تعرضت لها منطقة الأزرق جذبت الاهتمام العالمي لأهمية المنطقة، و ذلك من خلال اتفاقية (رامسار) للمحافظة على الأراضي الرطبة، والتي كان من نتيجتها إحياء المحمية المائية بضخ نسبة معينة من مياه الشرب التي تضخ إلى عمان في برك المحمية.

صعوبات البحث

١. **الصعوبات النظرية :**

ان من أهم الصعوبات التي واجهتها هي عدم وجود دراسات اجتماعية واقتصادية معاصرة عن الأزرق ، وعدم وجود دراسات تتناول الأزرق لوحده سواء كانت دراسات قديمة أم حديثة ، بالنسبة للدراسات التاريخية وكتب الرحالة فان الأزرق ليس لها مكان محدد ومميز فيها فأحيانا ارجع للدراسات التي تتعلق بشمال الجزيرة العربية أو جنوب سوريا أو شرق الأردن وكل المعلومات التي جمعتها شحيحة ولا تُوفي الأزرق حقه.

٢. **الصعوبات الميدانية :**

- <u>بعد المسافة وصعوبة وسائط النقل</u> :

مدينة الأزرق بعيدة عن العاصمة عمان، والمواصلات إليها صعبة مما اضطرني لاستخدام أربعة وسائل نقل مختلفة للوصول هناك، هذا عدا عن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صعوبة التحرك بين الأزرق الشمالي والجنوبي إذ لا توجد سيارات أجـرة أو تكسي.

- الاتصالات الهاتفية :

كان من الصعوبة إجراء مكالمات هاتفية داخـل أو خـارج مدينـة الأزرق، بسبب استخدام نظام المقسم القديم في الأزرق، مما اضاع زيـارات كثـيرة بسب عدم القدرة على اخذ موعد ، أو عدم تواجد الأفراد المطلوب زيارتهم.

- درجات الحرارة :

تعتبر مدينة الأزرق مدينة ذات حرارة مرتفعة في فصل الصيف، وخصوصـا صيف عام ١٩٩٨ مما اضطرني لتأجيل كثير من الزيارات.

- طبيعة المنطقة :

تعتبر منطقة الأزرق واسعة المدى ومتشعبة، حيث انه هناك حوالي ٧ كم بيـن الأزرقين.

- طبيعة البحث :

تعتبر طبيعة هذا البحث متنوعة ومتشعبة بسـبب تداخـل العوامـل البيئيـة والبشرية .

- النظرة الاجتماعية :

إن كون الباحث امرأة، يزيد من صعوبة البحث وخصوصـا فـي منطقـة حدودية نائية، وفي مجتمع لا يتقبل سفر المرأة لوحدها ، مما يعيق سـهولة الحركة والتنقل .

- الصعوبات المادية :

بسبب ما ذكر فيما يتعلق بالنظرة الاجتماعية اضطرني الأمر لاصطحاب أحـد أفراد أسرتي للإقامة معي في الميدان ، ما زاد الاعبـاء الماديـة. وكذلـك زادت الأعباء المادية بسبب صعوبة المواصلات، وبعد المسافة.

- عدم دقة المواعيد:

كثير من البيانات والمعلومات استنفذت من وقتي الكثير، فالأمر الذي يحتـاج ليوم أو يومين كان يستغرق معي أسبوعا أو أسبوعين، وفي أحيانٍ كثيرة كنـت لا احصل على شيء، ان عدم احترام المواعيد من قبـل بعـض الأشـخاص والمؤسسات تسبب في تأخير كثير من الأمور الهامة للبحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدراســـات السابقـــــة

إن الدراسات الاجتماعية للأزرق تكاد تكون معدومة، إذ لا يتم تناول الأزرق إلا فـي كتب بعض الرحالة الذين مروا في منطقة الزرقاء إلى الجزيرة العربية، واما باقي الدراسـات فهي ذات طابع علمي حيوي تتحدث عن الحيوانات والنباتات البرية ، ومنطقة الأزرق غنيـة بالدراسات التي تتعلق بالوضع المائي والطيور المهاجرة والمقيمة، باختصار تمـت دراسـة المنطقة من ناحية بيئية مادية بحتة وأغفلت تلك الدراسات اهمية العنصـر الإنسـاني، ولـم تدرك أهميته إلا مؤخرا وهنا يأتي دور الانثربولوجيا في دراسة الإنسان ودور الايكولوجيا فـي الربط بين البيئة المادية والثقافية، وقد عزمت على الربط بين هذين الحقلين بالرغم من اتسـاع مدى كل منهما والصعوبة والتشتت الذي تعرضت له .

تقسم الأدبيات التي تتناولها الدراسة إلى ثلاثة أجزاء :

الدراسات الوصفية والتاريخية

ركزت الدراسات الوصفية التاريخية على المؤلفات التي تركها الرحالة والمستشـرقون الذيـن مروا بمنطقة الأزرق ووادي السرحان للتوجه إلى نجد والحجاز أمثال (فالين ، الليدي بلنـت، موزيل ، فيلبي) .

الدراسات العلمية

وذلك من خلال الرجوع للدراسات: الجيولوجية، والمناخية، والدراسات التي تعنى بالغطـاء النباتي والحيواني.

الدراسات الانثروبولوجية والايكولوجية

وهي أهم الدراسات التي تخص موضوع البحث أما القسمين السابقين فهما عاملين مسـاعدين في الحصول على البيانات الأساسية التي تتعلق بالبيئة المادية وكمرشـد فـي عمليـة الربـط والتحليل، وقد أوردت أهم الدراسات في هذا المجال .

جاء في إعلان مؤتمر ستوكهولم للبيئة عام ١٩٧٢ ان ***البيئة*** هي ***(كل شـي يحيـط بالإنسـان*** ***Every Thing Around The Man)*** . ومن خلال هذا المفـهوم الشـامل والعـام يمكـن إن نميز بين نوعين من البيئة هما:-

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **البيئة الطبيعية:**

ويقصد بها *(كل ما يحيط بالإنسان من معطيات حية أو غير حية وليس للإنسان أي دخل في وجودها مثل الصخور وموارد المياه وعناصر المناخ والتربة والنباتات والحيوانات البرية وغيرها)*، وهي عناصر أو معطيات وان كانت تبدو في ظاهرها منفصلة عن بعضها إلا أنها ليست كذلك في واقعها الوظيفي، إذ تعمل عناصر البيئة الطبيعية وفق حركة ذاتية من ناحية وحركة توافقية مع بعض البعض من ناحية أخرى وفق نظام معين غاية في الدقة والانسجام تحكمه النواميس الكونية الإلهية، نطلق عليها النظام الايكولوجي الطبيعي **Physical Eco-System** .

- **البيئة المشيدة Man- Made Environment :**

ويقصد بها *(كل ما أضافه الإنسان من عناصر أو معطيات بيئية تمثل نتاج تفاعله واستغلاله لموارد بيئته الطبيعية)*. من أمثلة هذه المعطيات؛ العمران، وطرق النقل والمواصلات، والمزارع، والمصانع، وغيرها من الأنشطة البشرية.

(عبد المقصود، ١٩٩٧ :٢١ -٢٥).

يرى الباحث (Bresler, 1967: 10) أن الايكولوجيا تهتم بثلاث علاقات يمكن اختصارها بثلاثة أسئلة :-

- كيف تؤثر البيئة في الكائن؟
- كيف يؤثر الكائن في البيئة؟
- كيف يؤثر الكائن بكائن آخر في سياق البيئة التي يتواجد كل بها؟ .

إن ظهور المداخل الإيكولوجية هو ظهور حديث وقد بدأ في الخمسينات من هذا القرن ومن رواد هذا المدخل (جوليان ستيوارد) الذي يوضح كتابه **Theory of cultural change** ان المدخل الأيكولوجي يتضمن كلا من المشكلة والمنهج ، *المشكلة في اختبار إذا ما كانت هذه التوافقات البيئية للمجتمعات الإنسانية تتطلب أنماطا محددة من السلوك .*

يحتوي منهج ستيوارد على ثلاث إجراءات هي:

١- تحليل العلاقة بين البيئة ونظام مورد الرزق (Subsistence)

٢- تحليل أنماط السلوك المرتبطة من خلال تكنولوجيا مورد الرزق

٣- التحقق من المدى الذي يؤثر فيه نمط سلوك معين في تكنولوجيا نظام مورد رزق معين على باقي الجوانب للثقافة (steward, 1955: 36-42).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

باختصار إن مدخل الايكولوجيا الثقافية يفترض العلاقة بين المصادر البيئية وتكنولوجيا مورد الرزق والسلوك المطلوب لخلق تكنولوجيا لهذه المصادر....إن مدخل ستيوارد أعطى الأهمية لمورد الرزق(Subsistence)، فالحصول على المأوى والطعام هي حاجات ملحة وعاجلة في كل المجتمعات، وأنماط العمل في مستوى تكنولوجيا معينة كلها مقيدة في قدرتها لاستغلال المصادر إن هذا المدخل يتضح بشكل جيد في دراسته لجماعات *الشوشوني الجنوبيين* . يسكن *الشوشوني* في الحوض العظيم بأمريكا الشمالية في ارض شبه جافة مع وجود مصادر كثيرة متفرقة ، و الشوشوني صيادون وجامعون ، ويتضح الاستغلال الأفضل للموارد من قبل الأفراد ، وهم بالرغم من انهم يشكلون تركيزات سكانية عالية في الشتاء لكنهم لا يؤلفون جماعات مستقرة ، وبهذا فان الجماعات تظل في حالة مرنة (*Fluid*) لضمان استغلال كاف لموارد الحوض (Steward, 1955: 101-121).

بالنسبة لستيوارد فان الشوشوني يمثلون حالة متطرفة للقيود المفروضة من البيئة على الخيارات المتاحة لثقافة معينة، وقد افترض أن الأثر المباشر للبيئة على السلوك يتناقص كلما طور التعقيد التكنولوجي قدرة الانسان في تعديل البيئية، حتى انه اقترح إن العوامل الاجتماعية في المجتمعات المعقدة ستكون أكثر أهمية في شرح التغيير من موارد الرزق أو البيئة.

قام ستيوارد في عام ١٩٣٦ بمقارنة بين جماعتين من الجامعين والصيادين من بيئات حادة الاختلاف، والجماعات المختارة تسكن في أقاليم مبنية على الفرق (*Bands*) وتتصف بالانحدار الأبوي والإقامة الأبوية والزواج الخارجي، إذ استخدم الحتمية البيئية في إظهار التشابهات الاجتماعية بين جماعات مختلفة مثل *البوشمن* في كالاهاري وسكان استراليا الأصليين وأقزام الغابات الماطرة . واظهر ان التماثلات الايكولوجيه بين هذه الجماعات تتجلى في؛ الكثافة السكانية المنخفضة ، المشي على الأقدام كوسيلة للتنقل، وصيد حيوانات متفرقة لا تتواجد بأعداد كبيرة، وبين ان وسائلهم المحدودة في التنقل قد قلصت المدى الذي يمكن استغلاله بفعالية لذلك فضلوا البقاء في كثافات منخفضة (Sreward,1955: 122:142).

ان هذه المقارنة الكلاسيكية للفرق الأبوية الانحدار من خلال استخدام مثال الصيادين /الجامعين تبرز ان هذه الجماعات ذات اتصال شديد بموطنها، ولهذا فان التفاعلات بين الطبيعة والإنسان تكون عالية الوضوح بينهم.

لم يكن ستيوارد صائبا في كل آرائه ولكنه حفز آخرين لدراسة التداخلات والتفاعلات لمجتمعات الصيادين والجامعين، وقام بتوسع الايكولوجيا الثقافية لتشمل الخصائص السياسية، والدينية، والعسكرية، والفنية للثقافة ، وكان تركيزه على علاقة السبب والاثر، ولكنه نجح في توضيح العلاقات الوظيفية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقدم الباحث Moran في كتابة Human adaptability مدخلا جيدا للنشأة الانثربولوجيا الإيكولوجية وروادها واهم الدراسات التي ظهرت في حقل الانثربولوجيا ولها صلة وثيقة بالبيئة والايكولوجيا، فهناك دراسة ل (Barth) يقدم فيها تحليل ممتاز للتغير الدوري بين الرعي والزراعة بين جماعة (Persian Basseri) ، فالناس تقدم على الزراعة على أسس نجاح وفشل أنشطة الرعي ، وقام (Edgenton) سنة ١٩٧١ بدراسة يرى فيها إن الاتجاهات والقيم وصفات الشخصية للمزارعين والرعاة ستختلف بسبب اختلافات أكيدة في مورد الرزق ، وجد أن استجابات الأفراد تعبر عن البيئات السابقة التي يمتلكها في الماضي ، يرى ان الممارسات البيئية لها تأثير سببي على الاتجاهات التي عملت لفترة طويلة من السنين، ويستنتج ان أشخاصا لهم موارد رزق مختلفة (مزارعين ورعاة) من قبيلة واحدة متشابهون أكثر من أشخاص لهم نفس مورد الرزق (مزارعين) من أربع قبائل ، تعكس دراسته ان *(الثقافة هي نتيجة توافقات لوضع محدد -Situation Specific Adjustment تعكس التفاعل لتكيف الأفراد لظروف بيئية معينة بوسائل تقنية معينة)* ويبين أيضا أهمية الدراسة التي قام بها (Bennett) عن المزارعين المعاصرين التي يظهر فيها إن السيطرة على الموارد يمكن إن تكون نتيجة لخيارات عقلانيه وليس بالضرورة أن تكون مبنية وجاهزة، وأنماط متجسدة كما كانت تظهر الدراسات السابقة. إن استراتيجية الأنثروبولوجيا الايكولوجيه هي دراسة مدى واسع من الاستجابات الإنسانية للمشكلات البيئية(Moran, 19979: 51-53).

يوضح Moran أيضا ان تحليلات النظم(Systems Analysis) أصبحت مدخلا مفيدا للانثربولوجين، حيث أنها بدأت بنموذج شمولي من المفاهيم والتداخلات لنظام بيئي(Ecosystem) والتركيز على العمليات الوصفية والكمية. إن نظرية النظم تزودنا بإطار واسع لتحليل الواقع الامبيريقي ولإيجاد التقاطع مع حدود الأفرع الأخرى، وتشير نظرية النظم لشمولية الانثربولوجيا فهي نظام متكامل بكامله، ولا يمكن فهم جزء بمعزل عن الاجزاء الأخرى للنظام الداخلي ..... وهناك المدخل الاثنوايكولوجي وهو مدخل مختلف لدراسة علاقات البيئة/ الإنسان وقد نما هذا المدخل بسبب تطور حقل الدراسات الاجتماعية واللغوية...إن هدف هذا المدخل هو تزويدنا بفهم افضل لكيفية أدراك الناس لبيئاتهم وكيف ينظمون ادراكاتهم، ....ان التركيز كبير على الجوانب الادراكية اكثر من الجوانب السلوكية في الدراسة الثقافية من خلال التصنيفات المحلية (Native Taxonomies) إن جمع البيانات في الاثنوايكولوجي يهدف لاختيار مصطلحات السكان المحليين للنباتات والحيوانات والحشرات ولانواع التربة ، المواضيع ترتبط بالتصنيف تبعا للخصائص المتغايرة لها، من خلال هذه التغايرات يمكن الوصول إلى الخصائص التي تعتبر مهمة والتي ليست كذلك إن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا المدخل يريد حقيقة واضحة وهي ماذا يعرف الناس عن بيئتهم وكيف يصنفون المعلومات التي تؤثر بما يفعلونه لبيئتهم. إن هذا المدخل يخبرنا عن القواعد الثقافية واللغوية ولا يخبرنا الكثير حول سلوك الناس .(Moran, 1969: 54-59).

هناك دراسة لـ(Geertz, 1969: 24) بعنوان Two Types of Ecosystems ميز فيها بين نمط زراعة الغابات الاستوائية (Swiddin Agriculture) وبين نمط زراعة الأرز المسمى (Sawah) في إندونيسيا؛ حيث إن الاول يمتاز بكثرة الأنواع الحية والنسب العالية من المواد العضوية بسبب عملية القطع والحرق (Slash and Burn)، في حين يعتبر الري والسقاية المنتظمة هي العامل الأساسي في زراعة الأرز، والحاجة لعدد من المزارعين موزعين في وحدات، يمتاز هذين النمطين للاستجابة المضادة للزيادة السكانية، إذ لا تفضل الزيادة السكانية في النمط الأول بينما هي مفضلة في النمط الثاني.

وضح (Geertz) ان العوامل السياسة والتاريخية هي جزء من البيئة الكلية التي تتكيف لها الجماعات ويجب إن لا تعتبر ثانوية، اراد إن يشرح تطور الزراعة الاندونيسية فاستخدم مفهوم (Ecosystem) للتركيز على موارد البقاء والتكنولوجيا وركز على المنظور التاريخي ليساعده في تفسير ركود الاقتصاد الاندونيسي كنتيجة للأنماط الاقتصادية المؤسسة خلال عهد الاستعمار الهولندي. لقد قمت بالاستفادة من دراسته في تحليل العوامل البيئية والاقتصادية وذلك من خلال التركيز على المنظور التاريخي واستخدام مفهوم النظام البيئي.

ودراسة ل (Piddocke, 1969 : 130-151) بعنوان The Potlach System of the Southern Kwakiutl يحاول الباحث اعادة بناء نظام البوتلاش خلال العقد الاخير من القرن الثامن عشر، يرى ان نظام البوتلاش كان مهما كمورد للبقاء للسكان الاصليين في فترة ما قبل الاستعمار، وذلك من خلال آلية التحكم بتبادل الغذاء بين الجماعات التي تتمتع بفائض مؤقت إلى الجماعات التي تعاني من نقص مؤقت، فموارد البقاء في تلك المنطقة متعددة ومبعثرة مثل الاسماك، والتوت البري، والصيد البري والبحري، لذلك لم تكن المجاعة بالشي الغريب ، فنقص الموارد وتفرقها يشكل تهديدا للبقاء لذلك شعر السكان انهم سيكونوا عرضة للمجاعة أو الموت إذا لم يأخذوا طعاما من جماعات أخرى. كان نظام البوتلاش يعقد في مناسبات عديدة ولم تكن له وظيفة محددة بل عدة وظائف، منها اعادة توزيع الطعام والثروة وتثبيت المكانات الاجتماعية. إن هذا النظام يتوائم بنجاح مع الموارد الانتاجية المتنوعة والمتفرقة ومن خلال عملية التبادل تتمكن الجماعات من العيش في تلك المنطقة .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وتبرز أهمية هذه الدراسة في معرفة مدى تأثير توزيع الموارد في تطوير سلوك الجماعات للاستفادة القصوى من الموارد النادرة الموجودة في بيئة معينة وذلك من خلال عملية التبادل.

دراسة ل (Sweet, 1969 : 158-170) بعنوان **North Arabia and the Camel Pastoralism Minimal Camping Unit** يهدف الباحث في هذه المقالة لتوضيح طبيعة الحد الأدنى لوحدات التخييم بين رعاة الجمال في شمال الجزيرة العربية وعلاقته بالوحدات الأخرى في القبيلة، ان هذه الوحدة الصغرى **Tribal Section** تتحكم في عدد من تقنيات واقتصاديات رعاة الجمال في شمال الجزيرة العربية وتبين خصائص البناء التعاوني وعملياته وعلاقته في ضبط المصادر الإنتاجية، إن التحكم والحماية لهذه المصادر منوط بهذا الجزء من القبيلة وتتم إدارته من خلال نظام اعادة التوزيع **(Redistribution)**. يمتاز هذا الجزء بالمرونة في الحجم والتنظيم الداخلي في استجاباته للاحوال الإيكولوجية وينظم حركة الرعي والدفاع عن القطعان وتبجيل وتعظيم الغزو والسلب. فالاتساع الكبير لأراضي القبيلة وطول الترحال للرعي من أهم سمات رعاة الجمال وهي سمات مطلوبة بسبب تفرق وتوزيع الكلأ **(Vegetation)** وتقلب وندرة الامطار ، إن مؤسسية **(Institutionalization)** الإغارة على القبائل البدوية الأخرى للحصول على الجمال هي تطوير لمراسيم الأخذ **(Take- Away)** في مقابل مراسيم العطاء **(Give–Away)** عند هنود شمالي أمريكا إن السلب هو تبادل اقتصادي للسلع بين الجماعات ، عندما يكون المرعى وفير فان الجماعة تجعل خيامها متقاربة ولكن في السنين الفقيرة فأن الأسر والأفخاذ تتوزع على مسافات اكبر وتزداد الحركة والترحال فهناك توازن بين الحراك والوحدات الصغرى والحماية .

وتعد عملية الأخذ واعادة الأخذ من خلال السلب وسائل لتدوير وتوزيع المصادر النادرة في بقعة واسعة، فحجم قسم القبيلة يختلف بين قبائل (**الرولة، مطير، شمر**)، وهذه الاختلافات تعكس الاختلافات الإيكولوجية بين الأراضي القبلية وهنا يكمن فاعلية الحد الأدنى للتخييم ويكون الانقسام إلى أفخاذ وعائلات وسائل وآليات لمواجهة الأخطار ويتم التوكيد على ذلك من خلال ايدولوجية معينة في المجتمع البدوي. إن هذه الدراسة من الدراسات الإيكولوجية النادرة التي تتناول منطقة الصحراء العربية باعتبارها منطقه صحراويه جافة وتبرز اهميتها في نظري إن هذه الجماعات كانت ترتاد بادية الشام والتي من ضمنها منطقة الازرق، وعلاقة التخييم بالمرعى والاحوال الإيكولوجية مشابه في كثير من جوانبه للترحال والتخييم عند البدو في منطقة الأزرق، إذ تزداد الحركة والترحال وتكون الخيام متباعدة في سنين الجفاف، في حين تكون الخيام متقاربة في السنين الخصبة.ولكن هناك اختلاف واضح

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بين هذه الدراسة وبين الوضع الحالي في الأزرق إذ لا تشكل الإبل حاليا موردا اساسيا للبقـــاء بالاضافة لانتهاء عملية السلب والغزو بي القبائل، توضح هذه الدراســـة الحالـــة الاجتماعيـــة والاقتصادية للقبائل في بادية الشام والتي كانت هذه القبائل تتنقل فيها في رحلاتها الدورية .

دراسة لـــ (Wagley, 1969: 269-278) بعنـــوان **Cultural Influences on Population** يقوم فيها باختبار العلاقات بين العوامل الثقافية والاجتماعية للسكان في الفـــترة التي تلت الاحتكاك الأوروبي لقبيلتين الاولى قبيلـــة (Tenetehara) فـــي شـــمال الـــبرازيل والثانية قبيلة (Tapirape) في وسط البرازيل ، إن كلا القبيلتين تستوطنان في مناطق بيئيـــة متشابهة ولهما تقريبا نفس الوسائل التقنية للتكيف مـــع البيئـــة، كـــانت (Tapirape) قبـــل الاحتكاك الاوروبي أصغر وأكثر ثباتا، بينما كـــانت (Tenetehara) ضعفـــها فـــي الحجـــم والتوسع، في هذه القبيلة كان وأد الأطفال فقط في حالة التوائم التي يعتقد أنها نتيجة علاقـــة الام مع قوى غيبية خطرة ، وعلى العكس فإن (Tapirape) كانت بالإضافة لوأد التوائم تقـــوم باتخاذ خطوات لتحديد حجم العائلات إذ يجب إن لا يكون للمرأة اكثر من ثلاثة أطفال علـــى قيد الحياة ويجب إن لا يكونوا من نفس الجنس أيضا.

إن البناء الاجتماعي والقيم الثقافية لأي من المجتمعين يرتبط وظيفيا بالكثافة الســـكانية، فقد ظل مفهوم حجم العائلة عند (Tapirape) كما هو حتـــى بعـــد ارتفـــاع الوفيـــات بســـبب الاحتكاك الاوروبي والامراض التي جلبوها، لذلك كان البناء الاجتمـــاعي عندهـــم أكـــثر مقاومة وقدرة للبقاء، أما (Tenetehara) فان الاضمحلال السريع للسكان أدى إلى تمزيـــق التنظيم الاجتماعي الطقوسي لها وأثر أيضا على النظام الداخلي للتوزيع والانتـــاج .بالإضافـــة إلى الوسائل التقنية وطرق الحصول على موارد البقاء فان البناء الاجتماعي والقيـــم الثقافيـــة أيضا .

تبرز أهمية هذه الدراسة في توضيح وجود جماعات سكانية مختلفة ثقافيـــا فـــي بيئـــة متشابهة، وكيفية تكيف هذه الجماعات للتغيرات التي تطرأ عليها وذلك تبعا للاختلافات الثقافيـــة والاجتماعية، وهذا مشابه لوضع الجماعات السكانية المختلفة التي تتواجد في واحـــة الأزرق، إذ تكيفت هذه الجماعات مع الظروف الجديدة حسب ثقافاتها والبناء الاجتماعي لكل جماعة.

دراسة لـــ (Barth, 1967: 363-375) بعنـــوان **Ecological Relations of Environment and Cultural Factors** يدرس الباحث ثلاث جماعات اثنية فـــي ولايـــة Swat بالباكستان وهي:-

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- الجماعة الاولى هي (Pathan) وهم مزارعون مستقرون يعيشون في مجتمع طبقي، مورد الرزق مبني على تطور الزراعة المعتمدة على المحراث، المحاصيل الاساسية هي القمح الذرة الارز .

٢- الجماعة الثانية هي (Kohistani) يمارسون الزراعة ويتنقلون بالقطعان، ويعيشون في جبال عالية وبيئة مناخها قاس و مليئة بالغابات، في حين يعيش الباثان في وديان واسعة ومنطقة حارة.

٣- الجماعة الثالثة هي (Gujars) وهم اصحاب قطعان رحل، إن هذه الجماعة تتنقل بقطعانها في مناطق الجماعتين .

إن توزيع الجماعات العرقية محكوم بالمناطق الطبيعية (Natural Areas) ولكنه محكوم أيضا بمناطق مناطق ايكولوجية محددة (Ecological Niches) وذلك من خلال تنظيم الجماعات السياسي والاقتصادي لكي تكون قادرة على استغلال تلك المناطق.

إن الجماعات الإثنية تؤسس نفسها في منطقة إقامة ذات طابع مشترك Co-Residence لضمان استغلال المناطق الإيكولوجية المختلفة واقامة علاقة اقتصادية تكافلية كما يحصل بين الـ Pathan و Gujars.

إذا كانت الجماعة الإثنية قادرة على استغلال نفس المنطقة الإيكولوجية كاملة، فان الجماعة الأقوى عسكريا تحل محل الأضعف كما فعل الPathan و Kohistani .

إذا قامت الجماعات الإثنية المختلفة باستغلال نفس المنطقة الإيكولوجية فان الأضعف يقوم باستغلال المناطق الهامشية والحدودية كما يفعل Gujars. وتعد هذه الدراسة على درجة من الأهمية بالنسبة لي لأنها تتعلق بجماعات اثنية، ويوجد في الأزرق عدة جماعات إثنية هما العرب (البدو والدروز) والشيشان .فالبدو يستغلون المنطقة الإيكولوجية الجافة حول واحة الازرق، في حين يقوم الشيشان والدروز باستغلال المنطقة الرطبة حول البرك والينابيع في واحة الأزرق.

دراسة لـ (Vayda, 1969: 204-216) بعنوان **Expansion and Warfare among Swiddin Agriculturists** يحاول الباحث ان يدرس العوامل الإيكولوجية التي تؤثر في الحرب عند قبيلة (Maoris) و قبيلة (Ibans) في نيوزلندة ، فقبيلة (Maoris) تحتاج إلى اراض كثيرة وهم يفضلون استخدام أرض مستخدمة من قبل جماعات أخرى، وبالقوة إذا لزم الامر، ويفضلون ذلك على التوسع في الأراضي البكر. إذ ان الوقت والجهد المبذول لتنظيف وحرق أرض جديدة واعدادها للزراعة اكثر بكثير من مما تتطلبه عملية الحرب نفسها .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في هذا النموذج تكون لحرب احدى الوسائل الايكولوجية للتوسع وزيادة السكان لاستغلال البيئة، أما قبيلة Ibans فان الحروب القبلية قليلة لاسباب ايكولوجية واجتماعية، فالمسافة بين تجمعات القرى اقل ولا حاجة للصراعات على الارض طالما إن الارض المتوفرة للزراعة موجودة ضمن أراضي القبيلة، واذا شكلت الزيادة السكانية مشكلة فهناك اجزاء أخرى يمكن التحرك إليها. توضح هذه الدراسة اهمية الحصول على الأراضي والصراع بين الجماعات والعوامل الإيكولوجية التي تساهم في نشوء الصراع على الاراضي، إذ تعتبر الأراضي في الأزرق مصدر كبير للتنافس والصراع بين الجماعات.

دراسة لـ (Sahlins, 1969: 395-414) بعنوان **Land Use and the Extended Family in Moala** يفترض إن العائلة الممتدة في جزيرة Moala تعتمد في بقائها على طقوس Customs معينة في امتلاك الأرض، فعند جماعة Keteira تم بناء العائلة التقليدية وتعزيزه، إذ إن استغلال موارد الأرض المتناثرة مسؤول عن استمرارية العائلة الممتدة، بالنسبة لجماعة Maroi فان الاعتماد على الأراضي في ضواحي واطراف القرية ساهم في الاعتماد على العائلة النووية ، وتقوم العائلة النووية بكل أنشطة استغلال الموارد و التوزيع وساهم اقتصاد المال **Money Economy** باختفاء العائلة الممتدة، أما الجماعة الثانية فانها تعزز نفسها وتعزز العائلة الممتدة في مواجهة اقتصاد المال. إن كل جماعة قد تكيفت وتوافقت لاستغلال المصادر المتواجدة وذلك من خلال التنظيم العائلي الملائم.

دراسة لـ (Rappaport, 1969:183-199) بعنوان **Ritual Regulation of Environmental Relations Among a New Guinea People.** إن أراضي Tsembaga في غينيا الجديدة والغطاء النباتي والحيواني **Biota** باعتبارها جزء من النظام البيئي (Ecosystem) تتصف ان المواد الأولية فيها دورية متغيرة كما هو الحال في الغابات الاستوائية الماطرة، إن دورة الطقوس المقامة مرتبطة بديموغرافية قطعان الخنازير وأماكن تربيتها، فتربية الخنازير يساهم في جعل الحدائق نظيفة من الأوساخ والفضلات وزيادة أعداد الخنازير يعد ثروة فهي تؤدي خدمات صحية وزراعية، فالأعداد القليلة من الخنازير تبقي مناطق السكن نظيفة، وتقوم بتعشيب الحدائق وتحريك التربة للزراعة المقبلة ، أما الأعداد الكبيرة فإنها تؤدي إلى إتلاف المحاصيل في الحدائق وخلق مشاكل بين أصحاب الخنازير واصحاب الحدائق ، ان اهل Tsembaga لا يقومون بذبح الخنازير خارج محتواها الطقوسي بل من خلال احتفالات مرتبطة دائما بمناسبات عديدة مثل الحرب والمرض والخسارة والموت، يقول الناس انهم يؤدون تلك الطقوس لتوكيد علاقتهم مع القوى الغيبية العلوية، إن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عملية الطقوس تساهم في تعزيز الصلة مع البيئة وتقيد عملية الحرب والقتال إلى الحد الـذي لا يشكل خطر على السكان،كما أنها تقوم بمهمة تعديل نسبة الأرض/ الإنسان، وتسمح بالتجـارة، وتوزيع الفائض من لحم الخنازير على السكان على شكل لحم غني بالبروتين وهم فـي حاجـة إليها وهي تقوم أيضا بتوثيق وتشريع العلاقات ***إن الأرض ومكوناتها هي بالنسبة لـهم نظـام بيئي منظم طقوسيا Ritually Regulated Ecosystem .***

دراسة لـ (Kroeber, 1969 : 350) بعنوان **Relations of Environmental and Cultural Factors.**، يقول كروبر انه (يمكن فهم الثقافة من خلال مصطلح العوامـل الثقافية ولكن لا توجد ثقافة مفهومة بدون الرجوع إلى العوامل اللاثقافيـة **(Noncultural)** أو ما يسمى بالعوامل البيئية). يدور البحث حول ست ولايات امريكيـة تنتـج حوالـي نصـف محصول الذرة في العالم، إن العوامل الخارجية على الزراعة نفسها هي التي جعلت منطقـة ذات معدل منخفض للذرة ومنطقة أخرى اكثر نجاحا وتخصصا، وهذه العوامل هي عوامـل ثقافية مثل تدجين الحيوانات، الحاجة الاقتصادية وامكانيات التوزيع، وسـائل النقـل، الادوات المتطورة، إن زراعة الذرة تعتبر من الأنشطة الثقافية ولكنـها مشـروطة بعوامـل طبيعيـة (Natural) مثل المناخ والتربة والري، إن الاختلاف في الأثر ناتج عـن العوامـل الثقافيـة والبيئية معا .

ودراسة لـ (Fox, 1979 : 33-38) بعنوان **A Tale Of Two States: Ecology and the Political Economy of Inequality on the Island of Roti**

قام الباحث بدراسة الأسس المادية للتغير الاجتماعي في شرق إندونيسـيا، والتركـيز على ولايتين صغيرتين في تلك الجزيرة والتي تظـهر الاختلافـات المهمـة فـي تنظيمـهم الاجتماعي والسياسي، وذلك من خلال المنظور التاريخي وكيف إن هذه المتغيرات الاجتماعيـة والايكولوجية تتداخل في عملية التطور المتشعبة، وتشير سجلات الهولنديين في القرن السـابع عشر ان ولاية Termanu كانت هي المسيطرة في الجزيرة وكـانت قوتـها مبنيـة علـى السيطرة على مناطق مهمة لزراعة الأرز، والأرز مادة ضرورية لكل الولائم : انه بضاعـة نادرة ، طعام ذو مستوى، وله اهمية في المراسيم والطقوس، وتعتبر تربية الجواميـس مهمـة كأدوات ووسائل للانتاج ووسيلة للتبادل والتوسع في زراعـة الارز، ولكـن عنـد مجـيء الهولنديين ظهرت امامها التحديات واصبحت ضحية للتمزق السياسي في القرن التاسع عشـر واضمحلت قوتها .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما ولاية Thie فعلى العكس إذ كانت لها هيمنة قليلة، ولم تكن لها ثروة من الجواميس وحقول الارز بل كانت تعتمد على تربية الخنازير وهي لا تحتاج لمراعي كبيرة، بالاضافة للانتفاع بأشجار النخيل، ولقد ازدادت قوة هذه الولاية واتسعت أراضيها، بعكس ما حدث للولاية الأخرى وقد ساهم الاستعمار الهولندي في زيادة هيمنة هذه الولاية .

دراسة لـ(Ellen 1979: 71-69) بعنوان **Sago Subsistence and the Trade in Spices ; A Provisional Model of Ecological Succession and Imbalance in Moluccan History**

إن الملكيات المميزة في اقتصاديات Moluccan تعتمد على النخيل Metroxylon كمصدر اساسي للنشا الذي له اهمية في الاقتصاد المحلي والاقليمي المرتبط أيضا بانتاج البهارات وتطور تجارتها، قام الباحث بفحص العلاقة بين تطور الانتاج والتجارة لمادة جوز الطيب والتوابل المستخرجة منه وكبش القرنفل، وقام ببناء نموذج يفسر التاريخ الاقتصادي والبيئي بين الفترة ١٤٥٠ -١٧٠٠ ، ان الأنماط المحلية لا يمكن فهمها إلا من خلال علاقة توالي وتطور التغيرات الإيكولوجية والعوامل الخارجية في تلك الفترة، إن العلاقات الاجتماعية المعاصرة في Moluccan لا يمكن فهمها إلا كجزء من النظام الكلي، والذي هو محصلة الزيادة السكانية المختلفة، والتوسع التجاري، والتمركز السياسي وتقسيم العمل الايكولوجي.تبرز أهمية هذه الدراسة في أنها توضح مفهوم التعاقب البيئي واختلال التوازن في تاريخ تلك المنطقة.بالاضافة إلى توضيح التغيرات البيئية والعوامل الخارجية التي ساهمت في ظهور هذه التغيرات، إذ تتعرض الأزرق لوضع مشابه يمتاز باختلال التوازن والتعاقب البيئي.

دراسة لـ(Peterson, 1979 : 124-125) بعنوان **Territorial Adaptations Among Desert Hunter - Gatherers: The !Kung and Australians Compared**

قام الباحث بدراسة التماثلات بين جماعة Kung! في صحراء كالاهاري، وبين سكان الصحراء الاستراليين من ناحية تنظيم الأراضي والاقاليم، ان مدخل الايكولوجيا الثقافية سيقودنا إلى توقع بان هناك تشابهات قوية بين هاتين الجماعتين سواء في محددات السلوك تجاه الاقاليم أو الايدولوجية .

يعيش معظم الاستراليين في مناطق تمتاز بشح المياه، ولكن مصادر مياههم لها افضل توزيع، إن طبقات عديدة من الصخور غير المنفذة تتواجد بالقرب من السطح في اجزاء كبيرة من الصحراء أي بعمق ١٠-٢٠ قدم عن السطح، ويمكن الوصول للماء في أي موقع من خلال حفر الآبار عبر الرمل الذي يحمي المياه من التبخر، وعلى العكس فان رمال

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كالاهاري تقع على تكوينات صخرية منفذة للمياه تسمح بتسربها بعيدا، ويمكن الحصول على الماء من مواقع مركزية معينة تكون فيها الصخور غير منفذه، ولهذا فان الKung! يشكلون عدة فرق Bands تتشارك بآبار معينة وهذا ما ليس شائعا في الصحراء الاسترالية، مما يجعل الفرق قريبة من بعضها البعض خصوصا في الفصول الجافة وهذا يعني انهم أكثر تزاورا من الاستراليين الموزعين واكثر سرعة في اختيار مكان السكن المؤقت.

دراسة لـ (Bonte, 1979 :220-232) بعنوان **Pastoral Production , Territorial Organization and Kinship in Segmentary Lineage Societies.**

تمت دراسة الانقسامات في الفخذ ***Lineage*** عند المجتمعات الرعوية وشبه الرعوية المرتبطة بالأسس البنائية، هذا الشكل يتم تطويره في تلك المجتمعات حيث تقوم العلاقات القرابية بضبط العلاقات الاجتماعية والانتاج ، ان تنظيم الأقاليم يظهر كشرط أساسي لتوزيع المصادر الطبيعية والعملية الانتاجية .

وتساهم العوامل الإيكولوجية في الظروف المفضلة للانقسام والتي تظهر عندما تكون الظروف البيئية غير جيدة مما يسرع في عملية الانقسام، والاحوال الإيكولوجية المحددة مثل الاختلاف والتباين في المصادر الطبيعية تجعل وجود الجماعات البشرية صغير نسبيا، فقبيلة رولة البدوية في الصحراء السورية يمتازون بأنهم اصحاب قطعان جمال، يقومون بالتجمع في فصل الصيف حول الواحات وحول مدينة دمشق، وفي الشتاء ينتفعون من المراعي الموجودة في الجنوب . إن تنقلهم طويل ولكنة يتبع نمطا منتظما ومستقرا نسبيا، إن حقوق الرعي مبنية على مستوى القرابة وعلى الحمولة.

تبرز أهمية هذه الدراسة في التركيز على أهمية العلاقات القرابية في اقتصاد الرعي وذلك لضمان استغلال الموارد الطبيعية، فالجماعات المتنقلة حول منطقة الأزرق تعتمد على الرعي وتمتاز بكونها مجتمعات قبلية تعتمد على القرابة، وتتوزع هذه الجماعات في مناطق الرعي حسب الانقسامات القبلية.

وهناك دراسة للدكتور أحمد أبو زيد عن النسق الإيكولوجي، وذلك في دراسة ميدانية قام بها في منطقة (الواحات الخارجة) الواقعة في الصحراء الليبية، يبين الباحث إن العوامل الطبيعية تلعب دورا هاما في تشكيل حياة الناس ونشاطاتهم الاقتصادية ونظمهم الاجتماعية حيث تتصف هذه الواحة بالانعزال النسبي عن وادي النيل ووجودها في وسط الصحراء ، وندرة الامطار واعتماد السكان على المياه الجوفية في الشرب والزراعة، هبوب الرياح على الواحة على مدار السنة، وزحف الكثبان الرملية ، وكثر الحشرات الطفيلية والموسمية وتهديدها للزراعة. ويستنتج الباحث من دراسته للواحة عدة ملاحظات:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملاحظة الأولى، هي أن ندرة الامطار وعدم وجود انهار لم يمنعا الناس في الواحة من ممارسة الزراعة واتخاذها مهنة لهم يعتمدون عليها في معاشهم وذلك لوجود الموارد الغنية بالمياه الجوفية، ولكن العيون والآبار تتعرض بشكل دائم لخطر الردم أو لخطر نضوب المياه من المورد المحلي الذي يغذيها، وبالتالي لا يستطيعون الركون للزراعة وحدها كوسيلة للعيش مما أدى إلى إهمال أمر استصلاح الأراضي من ناحية والى البحث عن وسيلة أخرى تكون اكثر ضمانا للرزق بدون هجر الزراعة، وقد انتهى بهم الأمر إلى الالتحاق بالوظائف الحكومية الدنيا في الواحة أو الهجرة إلى وادي النيل والمدن الكبرى.

والملاحظة الثانية، إن سكان الواحة يعيشون في صراع دائم لا ينقطع مع الظروف البيئية السائدة هناك، فندرة المطر وصعوبة الوصول للمياه الجوفية والرياح والحشرات الطفيلية كله عراقيل وصعوبات تشل من إمكان استغلال هذه الموارد كما يجب.

الملاحظة الثالثة، هي إن استجابة الناس لهذه الظروف الطبيعية المعادية تتفاوت تفاوتا كبيرا بين رد الفعل العنيف الذي يجند كل القوى البشرية في الواحة إلى عدم المبالاة والتسليم المطلق وذلك تبعا لشدة الخطر والإحساس بعنفه.

الملاحظة الرابعة تتلخص في إن قوى الطبيعة التي يصعب التحكم فيها مثل الرمال والجراد، تثير الكثير من الرهبة والرعب والخوف اكثر من غيرها وتدفع إلى مزيد من التعاون بين أقسام وجماعات كبيرة من السكان، كما أنها تلجئهم إلى الاستعانة ببعض القوى غير الطبيعية (أبو زيد،١٩٧٨:١٠٧-١١٦).

إن هذه الدراسة هي من الدراسات القليلة التي تناولت الواحات من منظور انثربولوجي ايكولوجي، وبالرغم من تشابه الواحات الخارجة مع واحة الأزرق في بعض الجوانب إلا إن هناك اختلافات كثيرة، إذ تتشابه الواحتان في الاعتماد المباشر على المياه الجوفية والارتباط الشديد بين الإنسان وعناصر البيئة.

ولكن واحة الأزرق تمتاز بوجود ينابيع وبرك ومستنقعات كثيرة، في حين لم يذكر ابو زيد عن وجود برك أو مستنقعات في الواحات الخارجة، وتمتاز الواحات الخارجة بوجود الكثبان الرملية التي تجتاح المنطقة وتهدد المزروعات، ولكن واحة الأزرق بالرغم من وقوعها في منطقة صحراوية لكن المناطق المحيطة بها تتصف باختلاف التربة فيها ولا توجد مشكلة كثبان رملية، ولكن الأتربة والغبار تكثر في فصل الصيف. ويختلف سكان الواحات الخارجة بان اعتمادهم الرئيسي على الزراعة في حين توجد في واحة الأزرق عدة أنشطة مختلفة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

البيئة الطبيعية

للأزرق

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الموقع والطبوغرافية

تبلغ مساحة الأردن تقريبا حوالي(٩٠ ألف كم مربع) ويشكل الإقليم الصحراوي ثلاثة أرباع المساحة الكلية، تتميز المعالم الكلية لسطح الأردن بامتدادها الطولي من الشمال إلى الجنوب وتنقسم إلى ثلاثة أقاليم :

١- إقليم وادي الأردن، أو الأخدود الأردني (وادي الأردن، البحر الميت، وادي عربة).
٢- إقليم المرتفعات الجبلية.
٣- إقليم البادية الأردنية : وهي هضبة متوسطة تمتد شرقا وتشكل جزءا من بادية الشام كما تشكل معظم مساحة الأردن (حوالي ٧٢%) وسطحها متنوع المعالم.

<u>وينقسم إقليم البادية إلى ثلاثة مناطق هي:</u>

١- **بادية حسمى** : وتمتد من رأس النقب وحتى الحدود الأردنية- السعودية ومن أبرز معالمها ، وادي رم، وجبل رم وهو أعلى جبال الأردن، وجبل أم عشرين.
٢- **أرض الحماد**: وتمتد من رأس النقب حتى الحدود الأردنية – العراقية في الشمال الشرقي.(الحماد عبارة عن حجارة صغيرة نسبيا مكونة من الصوان والحجر الجيري).
٣- **أرض الحرة** : جزء من حرة بادية الشام ذات الصفة البركانية، وتمتد جنوب غرب سوريا عبر شرق الأردن (وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة ، ١٩٩١: ٢٩٣).

الحـــرة : تنتمي الحرة البازلتية بشمال البادية الأردنية لواحدة من أكبر حرات شبه الجزيرة العربية وهي عبارة عن نطاق طفحي يترامى على امتداد مسافة ٤٥٠ كم من جنوب غرب سورية عبر شمال شرق الأردن، فالأراضي السعودية المتاخمة لوادي السرحان من الشرق حتى مشارف منخفض الجوف، ويوجد ثلثه بالسعودية وربعه بالأردن والباقي بسورية، وتتألف أرض الحرة من سلسلة من الطفوح البركانية المتعاقبة التي انبثقت من جوف الأرض خلال أحقاب جيولوجية تراوحت بين الميوسين والهلوسين.

لهذه الحرة أهميتها البالغة كمورد للماء فهي بارتفاعها المفاجئ تجاه قمة جبل الدروز بسورية تستدر أمطارا وفيرة، تشكل أحواض التغذية السطحية للعديد من الأودية وأكبرها اليرموك، ويرجع الفضل لهذه الحرة في انبثاق عدد من العيون من تحت أغطية البازلت بواحة الأزرق(البحيري، ١٩٧٣ :١٤٤-١٤٥).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

واحـــة الأزرق : تواكب الطرف الجنوبي الغربي لأرض الحـــرة بـالأردن سلســلة مــن المنخفضات الطبوغرافية، تعبر عنها مجموعة من القيعان الكبرى ابتداءً من قاع خنة شـــمال شرق قصر الحلابات، وانتهاءً بقاع الهزيم على الحدود الأردنية السعودية. اكبر هذه القيعـــان يوجد بمنطقة الأزرق حيث تشغل المستنقعات الدائمة والملاحات أدنى البقاع، بينمـــا تنتشـــر القيعان الطينية الجافة بأرض المنخفض، فلا يغمرها الماء سوى فترات محدودة فـــي أعقـــاب سيول الشتاء. وقد كان منخفض الأزرق أثناء الأدوار المطيرة في البلايستوسين مقرا لسلســلة من البحيرات التي امتد بعضها نحو شمال الغرب حتى شـــمل قـــاع خنـــة فـــي أوج فـــترات الرطوبة، وتشاهد الرواسب الجبسية الملحية المنتمية لقاع تلك البحـــيرة فيمـــا بيـــن الأزرق والعمري، وكانت تنتمي إليها طبقات من الطين والطمي التي يمكن تمييزها بألوانها الضاربـــة للزرقة أو الخضرة على الطريق بين قريتي الشيشان والدروز، إلا ان رواسب القيعان الحديثـــة قد طمرت بقايا قاع البحيرة القديمة في كثير من المواضع(البحيري، ١٩٧٣ : ١٤٦-١٤٨).

الموقـــــع: تقع واحة الأزرق ضمن محافظة الزرقاء وعلى بعد ٨٠ كم من مدينة الزرقـاء، وتبعد عن عمان ١٢٠كم، ترتفع عن سطح البحر بمعدل ما بين ٥٠٠ إلـــى ٥٣٠ م ، وتبعـــد عن الحدود السورية شمالا حوالي ٤٥كم، وعن الحدود السعودية جنوبا حوالي ٥٠كم ، أمـــا عن الحدود العراقية إلى الشرق فحوالي ١٧٠كم، وتقع الأزرق على خطوط عرض ما بيـــن ٤٣ - ٣١ وحتى ٥٠ - ٣١ ، أما خطوط الطول فهي ما بين ٤٥ - ٣٦ وحتى ٥٠ - ٣٦.

المنـــــاخ: المناخ السائد في الأزرق حسب تصنيـــف(كوبـــن)هـــو المنـــاخ الصحـــراوي الحار(BWH) ويبلغ المعدل السنوي لدرجة الحرارة في الأزرق ١٩,٢ درجة مئوية، يمتاز هـــذا المناخ بأنه حار صيفا وبارد شتاء، وحار نهارا وبارد ليلا، والفرق كبير في درجات الحـــرارة إذ تتراوح ما بين٥-٤٥ درجة صيفا ، وفي السنوات الباردة قد تنخفض إلى ما دون الصفـــر، وفي بعض السنوات الحارة قد تصل إلى ٥٠ درجة مئوية.

الأمطـــار: يسقط المطر في فصل الشتاء ما بين شهر أيلول وشهر نيسان ويتميز المطر فـــي حوض الأزرق بالعواصف الرعدية . يتراوح معدل سقوط المطر ما بين ٥٠ مليمتر في قـــاع العمري إلى حوالي ٤٠٠مليمتر في السنة فوق جبل العرب بسوريا، ويعتـــبر معـــدل ســـقوط المطر في الحوض بحوالي ٩٠ مليمتر في السنة.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

جيولوجية الأزرق

مناطـــق الأزرق:

يمكن[*] تقسيم منطقة الأزرق إلى أربعة أقسام :

- **القسم الواقع في الشمال الشرقي** من المنطقة وهو القسم المغطى بالصخور البازلتيـــة السوداء ومصدرها البراكين، وكثبان من التف البركاني المائلة للون البني، ويتواجد معـه معدن الزيولايت الذي يميل لونه للبياض، ويتكون هذا القسم من تلال مختلفـــة الارتفـــاع، وتغطي هذه الصخور تربة سوداء رمادية، وتربة ذات لون بني في منطقة المرتفعات.
- **الجزء الغربي والجنوبي** : وتظهر على سطحه الصخور الجيرية والصخور الصوانيـــة (المسماة بالحماد). ومعظمها مغطى بالحماد وتشكل السواد الأعظم من الجهـــة الغربيـــة ، وتعود إلى العصر الطباشيري والثلاثي والرباعي، ومعظم الجهة الجنوبية تربـــة عاريـــة قابلة للانجراف بمياه الامطار وبالرياح.
- **منطقة شرقي البرك** : وهي المنطقة الواقعة شرقي برك المياه الرئيســـة فـــي الأزرق الجنوبي ، وهي ما يعرف الان بالمحمية المائية وهي مكونة من تربة طينية .
- **منطقة قاع الأزرق:** وهي منطقة منبسطة تمتد لمسافة ١٠كم من الشمال إلى الجنـــوب وبعرض يتراوح ما بين ٢- ٤كم، وتحيط بالمحمية المائية على شكل ربع دائرة، وتمتـــاز بنسبة ملوحة عالية، وتظهر في منطقة قاع الأزرق المواد الطينيـــة والطمـــي والحصـــى والرمل والتي تحتوي على مواد طينية سوداء تعود في اصلها إلى الرماد البركاني، كمـــا توجد الترسبات الملحية والتي تشكل مصدرا هاما لاستخراج ملح الطعام.
- **المـــوارد المائيـــة :**

تعتبر المنطقة بأنها حوض مائي مغلق يمتد حوالي ١٢ ألف كم من بلدة الموقر وحتى الأراضي السورية، ويقع ٩٥% من هذا الحوض في الأراضي الأردنية ٤% في الأراضـــي السورية، و ١% في الأراضي السعودية يمتد حوض الأزرق من منطقة **(عليين)** فـــي جبـــل العرب(الدروز)بسوريا، ومساحته أكبر من مساحة لبنان، يبلغ ارتفاع منطقة القاع في حـــوض الأزرق بـــ(٥٥٠) م ويبلغ ارتفاع جبل العرب في جنوب سوريا ب(١٥٠٠) م أي ان الفـــرق بين الارتفاعين هو(١٠٠٠) م ، وهذا ما يسمح للمياه الساقطة على جبل العرب ومـــا حولـــه والانحدار إلى قاع الازرق.

---

[*] تم الحصول على هذه البيانات من سلطة المصادر الطبيعية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعد منطقة الأزرق هي اخفض منطقة في إقليم البادية الشرقية تتألف من ستة وديان رئيسة تصب في وسط الواحة:-

- **وادي راجل:** يأتي من داخل الحدود السورية ويتجه نحو الشرق ويلتف حول قاع الأزرق ويدخل إلى قاع الأزرق من المنطقة الجنوبية.
- **وادي حسان :** يصب في الجانب الشمالي من القاع.
- **وادي اسيخم:** يأتي من جهة الشمال الشرقي
- **وادي البطم ووادي مديسيسات:** يمر بالقرب من جبل العويند متجها نحو الجنوب ويصب في الزاوية الشمالية الغربية من القاع .
- **وادي الشومري ووادي الضبعي:** تمر هذه الوديان عبر محمية الشومري ثم تصب في قاع الأزرق من الجانب الجنوبي الغربي منه.
- **وادي جشا ووادي الغدف:** تأتي من الجنوب الغربي بمحاذاة محمية الشومري وتصب في القاع من الجانب الجنوبي منه.

ويعد وادي راجل أهم هذه الوديان، يستمر مسيله عادة حوالي شهر، ويستبشر الناس خيرا إذا سال وادي راجل لأن ذلك يعني ان موسم الملح سيكون جيدا في تلك السنة ، ويمتد هذا الوادي من سوريا وطوله حوالي ١٥٠ كم ، فيه غدران كثيرة تحتبس فيها المياه وتستمر حوالي شهرين وتتجمع حولها الغزلان والحيوانات البرية، وهي مفيدة لأصحاب المواشي الذين يسقون ماشيتهم. وقد أقيم سد على وادي راجل، بالإضافة إلى وجود سدين في سوريا على نفس خط وادي راجل.

يمكن(*) تقسيم **الموارد المائية في الأزرق** إلى ثلاثة أقسام:-

المياه السطحية :

تسيل الامطار مباشرة بعد هطول الامطار في فصل الشتاء، حيث تمتلئ الاودية والمنخفضات بالمياه ابتداء من شهر كانون الثاني وحتى شهر آذار، أما في نيسان وأيار فعادة تزداد شدة العواصف الرعدية والتي تعقبها الفيضانات. حيث يمتلئ قاع الأزرق والعديد من القيعان الصغيرة في الحوض والتي يتبخر معظمها خلال الأشهر الأولى من فصل الصيف.
أما الينابيع التي كانت دائمة الجريان فقد جفت منذ عام ١٩٨٩ نتيجة للضخ الجائر من الآبار حيث ان مصدر هذه الينابيع هو المياه الجوفية.

(*) تم الحصول على هذه المعلومات من سلطة المياه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتراوح كميات الأمطار السطحية التي تسيل في الاودية وتتجمع في المنخفضات بحوالي ٢٧،٣٨ و ٦٩،٣ مليون متر مكعب في السنة.

المياه الجوفية المتجددة :

وتشكل المخزون المائي الجوفي لحوض الأزرق والذي يمتد بمسافة عشرات الكيلومترات من الشمال إلى الجنوب، وتوجد آبار سلطة المياه على مجاري هذه المياه وهي ستة عشر بئرا.

يبلغ معدل تغذية المياه الجوفية بحوالي ٤٤ مليون متر مكعب سنويا. ومصدر هذه المياه هي الجزء الذي يتسرب إلى داخل الأرض من مياه الامطار ومن المياه السطحية التي تسيل في الاودية وتتجمع في المنخفضات. بينما تبلغ كميات المياه المستخرجة من آبار سلطة المياه والآبار الخاصة في الحوض بحوالي ٤٧-٥٠ مليون مترا مكعبا في السنة، أي ان العجز المائي السنوي بالنسبة للمياه الجوفية يتراوح ما بين ٣ و ٦ مليون مترا مكعبا وقد تسبب هذا الضخ الجائر في هبوط منسوب المياه الجوفية بمعدل ٦٠ سنتمرا في السنة.

المياه المالحة :

وتتواجد في منطقة قاع الأزرق وتتراوح أعماقها ما بين سطح الأرض وعمق حوالي ٥٠م ، حيث تظهر بعد ذلك العمق المياه العذبة، وهذا المخزون المائي يعد مصدر ملح الطعام المنتج في المنطقة، حيث تتراوح نسبة الملوحة في المناطق البكر ٢٠%-٢٥% وفي المناطق المستغلة تنزل لتصل إلى ١٠% .

أما بالنسبة للينابيع وعيون الماء الموجودة في الأزرق فهي :

الينابيع في الأزرق الشمالي:	الينابيع في الأزرق الجنوبي:
❖ نبع العورة	❖ نبع البركة السوداء (وتدعى بركة النسوان)
❖ نبع المستدهمة	❖ نبع القبيسية
❖ نبع البردية	❖ نبع عين الأسد

وقد جفت جميع هذه الينابيع منذ عام ١٩٨٩ وقد ذكر لي بعض الشيشان ان الأزرق الجنوبي كان بها بركتان من الماء : البركة الزرقاء والبركة السوداء ، وكانوا يأخذون من ماء البركة السوداء لأقاربهم في الزرقاء لإزالة التكلس من الأباريق، وكانت النساء في الأزرق تستخدم البركة السوداء لغسيل الملابس والسباحة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الوضع المائي في الأزرق:

يعتقد ان منطقة الأزرق كانت عبارة عن بحر ثم تحولت إلى بحيرة ثم إلى ينابيع مركزية ثم إلى بساط واحات خضراء ، وهي الان تعاني من الجفاف والتصحر .

في الستينات أمر رئيس الوزراء السابق وصفي التل باستخدام خطوط بترول كركوك-حيفا والتابعة للشركة الإنجليزية IPC والتي توقف العمل بها بسبب نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، لتوصيل المياه من الأزرق إلى اربد، وظل الضخ مستمرا لمدينة اربد حتى أوائل السبعينات وبعد ذلك تم اكتشاف مصادر بديلة بدل الأزرق. ثم استخدمت تلك الأنابيب أيضا لضخ المياه من الأزرق إلى الزرقاء وعمان ولا زالت تستخدم حتى الآن.

بدأ الجفاف في الأزرق تقريبا بعد عام١٩٧٥ أي بعد إنشاء خط ناقل للمياه من الأزرق لمدينة عمان، وفي سنة ١٩٨٠ تم البدء بحفر الآبار واعترضت عدة منظمات آنذاك على اعتبار ان الأزرق محمية طبيعية ولا يجوز تغيير معالمها ، أخذت الحكومة ملحة للبحث عن مصادر بديلة أخرى وبدأ الضخ من ذلك المصدر الجديد واتضح أنه نفس المصدر المائي الأول ، ثم ازداد الضخ لعمان والزرقاء. قامت الحكومة بحفر ٢٧ بئرا في المنطقة وبدأ الضخ منها مما أدى إلى جفاف عيون العورة والمستدهمة في الأزرق الشمالي.

قامت الحكومة ما بين سنة ١٩٨٢-١٩٨٩ بحفر ١٤ بئرا ارتوازيا في منطقة (*العنقية*) التي تقع في شمال غرب الأزرق الشمالي، وقد انخفض منسوب المياه في المزارع وذلك بسبب الضخ اليومي لعمان والزرقاء . قام بعض سكان الأزرق الشمالي بحفر بئر بالقرب من نبع العورة بعمق ٨٠م ولكن لم يصل الحفر إلى الطبقة المائية المشبعة بالمياه، وتم حفر بئر آخر على مسافة أبعد من نبع العورة بقليل على عمق ١٥م ولم تظهر المياه أيضا.

كان يوجد بالاستراحة الحكومية نبع ماء تخرج منه مياه ساخنة على ارتفاع ١٦م وقد جف.

بدأ الجفاف أولا في برك الأزرق الشمالي سنة ١٩٨٧ لأنها أكثر ارتفاعا من الأزرق الجنوبي، وفي الأزرق الجنوبي تعرضت للجفاف تماما سنة ١٩٩٠ .

الطرق الرئيسة وأنابيب النفط :

تمتاز الأزرق بوقوعها على مفترق طرق دولية هامة ، وقد أحدثت هذه الطرق الحديثة تغيرات هامة في النواحي البيئية والسكانية ولأهميتها فقد ارتأيت ان اقدم بعض المعلومات المختصرة عن هذه الطرق، وتمتاز الأزرق ايضا بوقوعها قرب مواقع أنابيب النفط IPC في بلدتي الاجفور والاجفايف وقد كانت تتزود هذه المحطات بمياه الأزرق ، وبعد تعطل المشروع ، تم تحويل بعض الأنابيب لضخ المياه إلى اربد والزرقاء وعمان، وقد عمل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في خط أنابيب IPC بعض الأفراد الذين قدموا من مناطق شتى مثل دير الزور والخليل، ثم استقروا بالأزرق بعد ذلك.

تتميز هذه المنطقة بمرور أطول مسافة من الطرق الدولية (الرئيسية) فيها والتي تربط الأردن بالدول العربية الشقيقة(سوريا، السعودية، العراق) ومن أهم هذه الطرق:

- طريق الازرق- العمري-الحدود السعودية، ويمر عبر الأزرق الجنوبي.
- طريق الأزرق -الصفاوي (الاجفايف سابقا)-الرويشد (الاجفور سابقا)-الحدود العراقية، ويمر عبر الأزرق الشمالي.
- الأزرق-الزرقاء-المفرق-الحدود السورية.
- الأزرق-الزرقاء.
- الأزرق-الجويدة.

قامت الشركة الإنجليزية IPC في سنة ١٩٣٣ بإنشاء (شركة النفط العراقية) وتمتد خطوطها من كركوك حتى بادية الشام ثم تتفرع بعد ذلك إلى قسمين : خط إلى طرابلس وخط إلى حيفا. وخط حيفا يتجه نحو الغرب ويمر بمحطة (ايج ون: حيفا ١)غربي حوران، ثم يمر بمحطة (ايج تو: حيفا ٢) شرقي القعرة، ثم بمحطة (ايج ٣: حيفا ٣)، ثم يدخل إمارة شرق الأردن، فيمر بمحطة (ايج فور: حيفا ٤)، ثم يخترق صخور حرة الراجل إلى ان يبلغ محطة (ايج فايف: حيفا ٥) ثم يمر من جنوبي خربة أم الجمال، ومن محطة المفرق ثم من جنوبي قرية الحصن إلى ان يهبط الغور ليجتاز نهر الشريعة، ثم إلى كوكب الهوا في فلسطين ثم إلى مرج بني عامر إلى ان يبلغ مصبه في البحر شمالي مدينة حيفا. وطول خط طرابلس من كركوك إلى ٩٥٥ كم ، أما طول خط حيفا فيصل إلى ١١١٢ كم (زكريا، ١٩٨٣: ٦٣-٦٤).

وقد توقف خط كركوك حيفا في سنة ١٩٤٨ بسبب احتلال الصهاينة لفلسطين وبقي الخط معطلا، وقد تم استخدام بعض الأنابيب لضخ المياه من الأزرق إلى اربد ثم لضخ المياه من الأزرق إلى الزرقاء وعمان. اشتهرت منطقتي الاجفور والاجفايف بهذين الاسمين إلى ان تم تغييرهما إذ حل اسم الصفاوي بدل الاجفور وسميت بالصفاوي نسبة إلى وادي الصفاوي، وحل اسم الرويشد بدل الاجفايف نسبة إلى وادي الرويشد ، وتبعد الرويشد عن الأزرق حوالي ٥٠كم، وينقل النفط حاليا من العراق عبر صهاريج تمر من خلال الأزرق الشمالي إلى مصفاة البترول في الزرقاء ، وتشكل هذه الصهاريج خطرا كبيرا لان النفط الخام ينساب منها في الطريق مما يجعل الطريق لزجة ويساهم في حدوث حوادث السير هذا عدا عن كثرة التجاوز عن الصهاريج والشاحنات البطيئة، وتتكرر حوادث السير بشكل كبير على هذا الطريق مما جعل السكان يطلقون على طريق الزرقاء – الأزرق (طريق الموت) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الغطاء النباتي

كـــان يغطي منطقة الأزرق غطاء واسع المدى من النباتات على امتداد منطقة الواحـــة والمنطقة الواقعة ما بين الأزرق الشمالي والجنوبي ومنطقة الوديان المحيطـــة بقـــاع الأزرق، وكان يغطي المنطقة في فصل الربيع والصيف مختلف أنواع النباتات والحشائش التي تعتمـــد عليها الحيوانات التي ترد إلى المنطقة للحصول على الماء والكلأ من شمال الجزيرة العربيـــة وجنوب سوريا ومختلف مناطق البادية الأردنية، فقد كانت آلاف من قطعان الأغنـــام والإبـــل تجوب منطقة الأزرق في فصل الربيع.

وكان يوجد في منطقة الدشة (المحمية المائيةحاليا) نوعان من الأعشاب التي كـــانت تتغذى عليها الجواميس والأبقار والخيول ، وكانت تنبت في بداية الربيع وحتى نهاية موســـم الصيف وكان الأهالي يقومون بجمع هذه النباتات ونقلها إلى البيـــوت وتخزينـــها مـــن أجـــل استخدامها كعلف في الشتاء .

تمتاز هذه المنطقة بانتشار نباتات الرتم والشيح والقيصوم والقبا في مجـــاري الاوديـــة المختلفة، ومن الشجيرات الصحراوية التي تستخدم للرعي هناك الفرس والقطف والحمـــض، أما النباتات المائية فهي الحلفا والسمار والقصب الفارسي وأبو سيلة وغيرها.

وأهم ما كان يميز واحة الأزرق هو شجر النخيل الذي كان يتواجد بكـــثرة ولكـــن لا يوجد منها الان إلا عدد قليل جدا .

الحيوانـــات

الحيوانات البرية : تدل القصور الأموية الموجودة في منطقة الأزرق على وجود أنـــواع كثرة ومتنوعة من الحياة البرية آنذاك ، إذ يوجد على جدران قصر عمرة رسومات للغـــزلان والأرانب البرية ، وكذلك مشاهد لصيد الحمار البري السوري، وفي قصر الحلابـــات هنـــاك لوحات فسيفسائية للفهد المرقط (الشيتا) والذئب والأرانب البرية والغزلان، وكل هذا يدل علـــى غنى تلك المنطقة بهذه الحيوانات ، وقد انقرضت بعض هذه الحيوانات والبعض الآخر مـــهدد بالانقراض.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يلاحظ في الأزرق وجود ارتباط بين تسمية كثير من الوديان والينابيع بالحيوانات والنباتات مثل وادي الرتم ووادي البطم ، وكذلك عين الأسد، ووادي النعام ، ووادي أبو الجاج، وادي الضبعي وغيرها .

كانت الوديان المحيطة بالأزرق مثل وادي البطم موطنا لكثير من الحيوانات المفترسة مثل الأسد والنمر والفهد وانقرضت هذه الحيوانات في بداية هذا القرن ،لكن هناك أنواع أخرى لا تزال موجودة مثل الضبع والذئب وابن آوى والثعلب والوشق وتتواجد في مناطق شرق وجنوب الأزرق.

كان يوجد في المنطقة لعهد قريب عدد كبير من الحيوانات البرية التي اشتهرت بها منطقة الأزرق مثل بقر المها والغزال الصحراوي والنعام والحمار البري السوري ، وقد انقرضت هذه الحيوانات في بداية هذا القرن ولم يبق إلا غزال الريم الذي انقرض في أواخر الستينات، وكما ان الأرنب البري على وشك الانقراض.

الطيور: أغلب الطيور في الأردن هي طيور مهاجرة تسلك في رحلتها خلال رحلتي الخريف والشتاء طريقين هما:

- ❖ طريق وادي الأردن ، البحر الميت ، وادي عربة ثم خليج العقبة.
- ❖ عبر واحة الأزرق :

التي تشتهر بوجود الماء طوال العام إضافة إلى وجود الملجأ الآمن في وسط الصحراء مما جعل ملايين الطيور تهاجر كل عام في فصل الخريف من سيبريا وشرق أوروبا عبر هذه الطريق باتجاه قارة إفريقيا، ثم تعود في فصل الربيع إلى موطنها وكان بعضها يمكث في واحة الأزرق لفترات زمنية مختلفة. وقد سجل ٣٦٠ نوعا من هذه الطيور منها ٢٨٠ نوعا في الأزرق وحده، وقد قلت أعداد هذه الطيور كثيرا بسبب الجفاف الذي تعاني منه الأزرق.

وقد تعرضت هذه الطيور للصيد بأعداد كبيرة مما أدى إلى انخفاض أعدادها تدريجيا، وتقدر أنواع الطيور الموجودة حاليا ب ٣٠ نوع، وأما الطيور المهاجرة فهي نادرة جدا.

الثدييات : كان يوجد الكثير من الحيوانات في واحة الأزرق مثل الجواميس والأبقار والخيول والحمير وقد قام الشيشان بجلب الجواميس من بحيرة الحولة بفلسطين وذلك في أوائل الثلاثينات ، وقاموا بإحضار الأبقار من منطقة حوران وعجلون والبلقاء كذلك ، وأحضروا الخيول أيضا ، وتم جلب الحمير الى الأزرق في الخمسينات من فلسطين .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأسمـــــاك: قام بعض الطيارين البريطانيين بإحضار ثلاثة أنواع من الأسماك من مصـــر في بداية العشرينات وتم وضعها في برك المياه في الأزرق ، فتكاثرت و أصبحـــت مصـــدر غذائي رئيسي لسكان المنطقة حتى نهاية الثمانينات، والأنواع التي تم إحضارها هي : البلبـوط (أبو شنب)، المشط ، أبو قشرة، وكلها انقرضت في أواسط التسعينات.

وقد قامت جمعية الأزرق التعاونية بإدخال سمك الكارب في أوائل الثمانينات إلـــى الأزرق إلا أنها لم تنجح بسبب قلة الماء .

الزواحـــف والحشـــرات : ان الجزء الشمالي الشرقي من البادية الأردنية غني بـــالزواحف التي تمتاز بألوانها الخاصة المميزة وتشمل الأفاعي السامة والحراذين والسحالي المختلفـــة، كما وتوجد أنواع من الحشرات والعناكب(وزارة الشؤون البلديـــة والقرويـــة والبيئـــة، ١٩٩١ :٥٥-٥٧).

المحميات الطبيعية في الأزرق

بدأ الاهتمام الرسمي بإنشاء المتنزهات القومية في الأردن عـــام ١٩٦٥ حيـــن طلـــب جلالة الملك الحسين من الحكومة اعداد برنامج وطني لحماية الطبيعـــة وإنشـــاء المتنزهـــات القومية، حيث أعدت مخططات رئيسية بالتعاون مع خبراء دوليين لعدد من المواقع كـــالبتراء مثلا. وقامت الحكومة بحجز ما مساحته (٥،٢٥٠) كم مربع من أراضـــي البادیـــة الأردنيـــة ليطلق عليها اسم أول متنزه قومي في الأردن وسمي *متنزه الأزرق القومي الصحراوي*. وقـــد حال دون تأسيس هذا المتنزه مرور البلاد بظروف صعبة عام ١٩٦٧ نتيجة الاحتلال، إضافة إلى ظهور كثير من المشاكل والمعوقات أهمها:

- وجود قريتين كبيرتين في وسط المتنزه هما : قرية الأزرق الشـــمالي وقريـــة الأزرق الجنوبي حيث قدر عدد سكانهما بنحو ٥ الآف نسمة .
- بناء الطريق السريع الذي يربط الأردن بالعراق وبالسعودية حيث شق المتنزه إلى ثلاثة أقسام كبيرة .
- ضخ المياه من واحة الأزرق إلى منطقة عمان والمناطق الشمالية من البلاد .
- مباشرة السكان المحليين في استخراج الملح من المنطقة .
- ممارسة سكان المنطقة لأسلوب الرعي الجائر .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الصيد الذي كان مسموحا به والصيد الجائر الـــذي ســاهم فــي فنــاء الكثــير مــن الأنواع الحية .
- وجود قواعد جوية عسكرية في وسط المتنزه .
- عدم استصدار التشريعات الخاصة بالمتنزهات القومية .

ونتيجة لهذه المعوقات فقد اصبح من الصعب تأسيس متنزه الأزرق القومي الصحراوي، لــذا تبنت الجمعية الملكية لحماية الطبيعة استراتيجية جديدة مهمتها إنشاء وتأسيس محميات طبيعيــة على مساحات صغيرة من الأرض تهدف إلى المحافظة على المجموعات النباتيــة والحيوانيــة البرية وإكثارها عن طريق حمايتها بسياج يحيط بها ، يوجد في الأزرق عدة محميات طبيعيــة وهي :

❖ محميــة الشومــري للأحيــاء البــرية:

أول محمية للأحياء البرية، أسستها الجمعية الملكية لحماية الطبيعة في منطقــة وادي الشومري عام١٩٧٥ وتبلغ مساحتها (٢٢)كم مربع ، وهي محاطة بالسياج والسلك الشــائك . وتشكل الأودية فيها ٦٠% من مساحتها وباقي المساحة أراضي مستوية ومغطاة بالحماد .

وقد تم توطين قطيع من المها العربي إلى موطنه الأصلي في الأردن في هذه المحميــة بعــد الاتصال مع الصندوق الدولي لحماية الأحياء البرية WWF .ويجري حاليــا إكثــار الغــزال الصحراوي (الريم والعفري) والنعام والحمار البري السوري.وقد تم تســجيل ١١ نوعــا مــن الثدييات في المحمية و١٣٤ نوعا من الطيور أغلبها طيور مهاجرة ، إضافة إلى ١٣٠ نوعــا من النباتات البرية مثل القطف والشيح والطرفة والرتم.

❖ محميــة الأزرق المائيــة:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى واحة الأزرق المائية الواقعة فــي الجهــة الشــرقية مــن الأردن، وهي تشكل جزءا من مساحتها البالغة (١٢) كم مربع تغطيها الــبرك والمســتنقعات المائية، وتعتبر مأوى للطيور المهاجرة ما بين إفريقيا وآسيا ، وقد اعتــبرت محميــة الأزرق المائية بموجب معاهدة (رامسار) منطقة مائية ذات اهمية دولية للطيور المهاجرة فيها، كمــا اعتبرت هذه المحمية غنية بالأحياء البرية النباتية والحيوانية وهي شبه مغطاة بالنباتات المائيــة كالحلفاء والقصيب والعرقد والاثل العطري المحلي، ومن أهــم حيواناتــها البريــة ابــن آوى والثعلب الاحمر والضبع المخططة والذئب والوشق والعديد من القوارض.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

❖ محميـــة الأزرق الرعويـة الصحراويـة :

أنشئت هذه المحمية بجهد مشترك بين الجمعيـــة الملكيـة لحمايـة الطبيعـة ووزارة الزراعة وذلك لتوفير المرعى لحيوان المها العربي الذي يعيش في محمية الشومري والـــذي ازدادت أعداده بشكل كبير بالإضافة للعمل على إكثار واطلاق الغزلان والنعام والحمر البريـة، وتقع هذه المحمية بمحاذاة محمية الشومري وتبلغ مساحتها (٣٠٠) كم مربع (وزارة الشـــؤون البلدية والقروية والبيئة، ١٩٩١ : ٥٩-٦٤).

آثار الأزرق

منطقة الأزرق غنية بالقصور والقلاع ويرجع ذلك لأهميتها الاستراتيجية على طريـق القوافل ما بين بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ، وهي طريـق يسـتخدمه الحجـاج للوصول إلى الحجاز ، ومحطة للتزود بالمياه، وامتازت بوجود الواحات ووفـرة النباتـات والحيوانات والطيور. القصور القلاع الصحراوية والآثار التي خلفتـها الحضـارات السـابقة كثيرة لذلك سأورد أهمها:

قصـــر الأزرق:

بني هذا القصر في العصر الروماني وهو مبني من حجر البازلت الاســود مسـتطيل الشكل، ثم أعيد تجديده في عصر صلاح الدين الأيوبي، وبعد ذلك قام عز الدين ايبك بترميمـه ليكون محطة انطلاق خلال الحروب الصليبية، وفي العصر الحديث فقد اسـتخدمه الضـابط الإنجليزي لورنس كمنطلق للثورة العربية الكبرى وكمركز إقامة له.

قصيـــر عمـــرة :

وهو من أهم القصور الأموية، يقع هذا القصر إلى الجنوب الغربـــي مـن الأزرق ، ويبعد عنها مسافة ٣٠ كم ، ويقع إلى الشرق من مدينة عمان، ويبعد عنها مسافة ٨٥ كـــم، يقع هذا القصر في وادي البطم الذي سمي كذلك لكثرة أشجار البطم فيه ، التي تعطي ظـلالا في اشهر الحر، أما في الربيع فتتكون غدران ماء ترد إليها الغـــزلان والحيوانـات البريـة المختلفة ينسب بناء هذا القصر إلى الوليد بن يزيد الذي قضى فترة حياته يتنقـل بيـن الازرق وادي الغدف، كان يستخدم القصر للصيد وللاستحمام، ويقع بين قصر الحرانة والأزرق .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قصـــر الحـــرانة :

يقع إلى الجنوب الغربي من قصر عمره، ويبعد مسافة ٥٥ كم إلـــى الشـــرق مـــن مدينة عمان، وهو من القصور الأموية الصحراوية وقد أقيم على شكل قلعة حربية، ويبدو انـــه قد انشيء لمقاصد دفاعية، وقد تم بناؤه في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك.

قصـــر الغـــويند :

يقع على الجهة الجنوبية الغربية من جبل العويند الذي يقع على طرف سلسلة الجبـــال الممتدة الموازية لوادي البطم من الشمال .

قصـــر اسيـــخم :

ويقع إلى الشرق من الأزرق الشمالي، إلى الشرق من وادي حسان ، وهو مبني مـــن الصخور البازلتية، وكلمة اسيخم هي تصغير لكلمة أسخم والتي تعني في اللغة السواد ، وســـمي كذلك لان معظمه مبني من الصخور السوداء ،ويميل البدو لاستخدام التصغير في كلامهم.

قصـــر الحمـــام أو الســـرح :

يقع إلى غربي الأزرق ، ويبعد مسافة ٢ كم إلى الجنوب الشرقي من قصر الحلابـــات بني في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، يوجد في القصر حمامان

قصر الحلابات :

يقع غربي الأزرق، ويبعد مسافة ٢٥ كم إلى الشمال الشرقي من مدينـــة الزرقـــاء، ويعتقد انه شيد لأغراض دفاعية في العصر الروماني، وتمت إعادة بناء القصر وزخرفته فـــي العصر الأموي .

قصر عين السل :

يقع إلى الشمال الشرقي من قلعة الأزرق، ويبعد عنها مسافة حوالي ٢ كم ، وهو بنـــاء متواضع ويعتقد انه بناء أموي .

قصر الطـــوبة :

يقع هذا القصر في منطقة صحراوية تبعد عن قصر الحرانة مسافة ٤٧ كـــم ، وهـــو قصر أموي يعتقد انه للوليد بن يزيد، وتبرز أهمية هذا القصر انه يقع على طريـــق القوافـــل التي تربط الجزيرة العربية ببلاد الشام.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تاريخ الاستيطان في الأزرق

الأزرق في العصـــور الحجـرية:

تعتبر منطقة الأزرق والصحراء الشرقية الأردنية من أكثر المناطق التي أجريت فيـها أبحاث تتعلق بفترات العصور الحجرية بشكل عام والقديم بشكل خـــاص، وهـــي جـــزء مـــن المناطق التي قام هنري بزيارتها خلال مسوحاته الأثرية التي أجراهـــا بيـــن الفـــترة ١٩٢٥و ١٩٥٠ وكذلك قام لانكستر هاردنج بجمع بعـــض الأدوات الصوانيـــة مـــن منطقـــة الأزرق (كفافي، ١٩٩٢ : ٢١) . ويمكن القول ان منطقة الأزرق قد خضعت للبحث من قبل علمـــاء ما قبل التاريخ اكثر من غيرها من المناطق الأردنية الأخرى، ربما يعود السبب إلى انتشـــار عدد كبير من مواقع العصور الحجرية على شواطئ بحيرة الأزرق القديمة؛ ففي المســـوحات التي قام بها(هنري فيلد)خلال العشرينات استطاع التعرف على مواقع من المرحلة الأولى مـن العصر الحجري القديم، أهمها على موقع عين الأسد الذي يقع على بعد ٢كم إلى الجنوب مـــن ازرق الشيشان وعلى بعد ٧٥٠م إلى الغرب من الطريق المعبدة المؤدية إلى واحة الشـومري، ونبع الأسد أحد الينابيع المهمة الواقعة على الأطراف الشمالية والغربية والجنوبيـــة لحـــوض الأزرق، ويعتقد (غاري رولفسون) ان بحيرة اللسان في منخفض وادي الأردن وتبلغ مسـلحة منطقة تجمع المياه لحوض الأزرق اكثر من ١٢,٠٠٠كم مربع، وهي تقارب مســـاحة تجميـــع المياه لحوض الجفر، أما المياه التي كانت متجمعـــة في حـــوض الأزرق فقد كانت تغطـــي ما مساحته ٥٤٠٠ كم مربع (كفافي، ١٩٩٢: ٧٧). ويذكر (اندرو جـــيرارد) ان الأحـــوال البيئية خلال مرحلة كبارا في مناطق وادي جيلات وجبل العويند والأزرق كانت اكثر رطوبـــة من الوقت الحالي مما ساعد في توفير غطاء نباتي لهذه المناطق، فكثرت فيها الحيوانات التـــي كانت مصدرا غذائيا مهما للإنسان إبان تلك الفترة وقد كشفت الأعمال الأثرية عن عـــدد مـــن مواقع مرحلة كبارا التي انتشرت على جوانب وادي جيلات وفوق جبل عويند وحـول الأزرق ربما استغلت كمراكز صيد مؤقتة، وكذلك يظهر من دراسات البقايا العظميـــة الحيوانيـــة ان الغزلان كانت هي الوجبة المفضلة لسكان تلك المنطقة إضافـــة لحيوانـــات أخـــرى منتقـــاة وخاصة الثديية منها إضافة للأدوات الصوانية التي تميزت بأنها جاءت على غالبيتـــها أدوات صغيرة الحجم ودقيقة، فقد عثر في موقع عويند (١٨) علـــى حجـــارة بازلتيـــة وخـــرز مـــن الأصداف وبقايا من المغرة الحمراء (Ochre) وهذا يؤكد ان الإنسان قد توصل لمعرفة طحـــن الحبوب البرية قبل أكلها في مرحلة كبارا في الصحراء الأردنية. *مرحلة كبارا: هي المرحلة الكبارية حوالي -١٩٠٠٠-١٢٠٠٠ سنة من الوقت الحاضر- (كفافي، ١٩٩٢: ١٠٨).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الازرق في العصر الروماني:

يورد فردريك بيك في كتابه تاريخ شرق الأردن وقبائله ان الفيلة كانت تعيش في سوريا عام ١٢٠٠م . وان الأسود كانت تعيش فيها في أوائل العصر المسيحي ويقال أنها ظلت في الأزرق حتى أوائل القرن الثامن عشر. وفي العصر الروماني كان بين بترا وتدمر طريق قوافل معبده تمر من معان والجفر وباير والأزرق إلى قصر برقع .....لا بد من وجود قوافل مهمة في القديم بين الجوف ووادي السرحان والأزرق إذ ان خزان المياه الذي بين العمري وكاف يدل على انه بني لتزويد القوافل والمسافرين بالمياه ....عدا عن قلعتي قصر برقع والأزرق لم يكن هناك قلاع على حدود البادية. كانت قلعة الأزرق موجودة حوالي عام ٣٠٠ بعد الميلاد وقد عثر على كتابات تدشن البناء إلى الامبراطورين ديوقلينيان وماكسميان وقد كانت تستعمل غالبا لتأمين المياه للقوافل التي كانت تأتي من الشرق إلى بصرى أو صلخد أو تذهب إليه من هاتين المدينتين اكثر من استعمالها كقلعة حربية (بيك، ١٩٣٥ : ٦٨ -٧٥).

الأزرق في العصور الإسلامية :

جعل الأمويون من دمشق عاصمة لهم فانغمسوا في الترف والدعة ولكنهم ظلوا يحنون إلى البادية ويرتادونها، ان هدوء الحالة في شرق الأردن وقربها من البادية ودمشق جعلاها مسكنا ثانيا للخلفاء يرتادونها، لم يعتد يزيد الأول ابن معاوية سكنى دمشق فهجرها ونزل البادية وكذلك فعل مروان الأول فقد قضى معظم حياته بين البدو، وكان الوليد بن يزيد يتنقل بين القسطل والأزرق، تقع معظم أبنية الدولة الأموية في الجزء الشرقي من شرق الأردن واهما قصر الحرانة، وقصر العمري في وسط البادية وحمام الصرح وقصر طوبة وقصر باير وقصر المشتى .

ذكر فريدريك بيك ان (ايبك بن عبد الله) في العصر المملوكي قام ببناء قلعة الأزرق التي هي الآن في حالة خربة تسكن داخل أسوارها عائلات درزية وقد اكثر من المخافر والقلاع على طول الطريق لحماية القوافل التي كانت تذهب إلى الحجاز أو تأتي منها (بيك، ١٩٣٥: ١٤٧-١٤٨).

في سنة ١٧٠٠م خرج عرب السرحان من حوران إلى وادي الأزرق حيث ضربوا خيامهم وامتدت مضاربهم من الأزرق شرقا إلى الوادي المعروف باسم وادي السرحان الذي يبدأ بعرض عشرة كم ويمتد في السعودية إلى ٢٠٠كم.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في سنة ١٨٠٩ زحف **الوهابيون** على الأزرق في توجههم نحو دمشق للاستيلاء على جميع الأراضي السورية ونشر دعوتهم فيها، الا ان إبراهيم باشا فاجأ الوهابيين وحملهم على العودة إلى موطنهم في نجد.

في ١٩٠٥ هاجرت بعض عشائر **الشيشان** إلى تركيا ثم حضر بعضهم وسكن الأزرق ، وسكنوا قرب البرك الجنوبيه .

في سنة ١٩١٨ اتخذ **لورنس** من الأزرق مقرا لنشاطاته في الزحف على دمشق ونسف سكة حديد الحجاز لاعاقة إرسال المدد للجيش التركي في الحجاز. وقد كانت وفرة المياه وجودتها السبب الذي حمل الامير فيصل ولورنس أثناء الثورة العربية الكبرى على اتخاذ تلك البقعة مقرا لحركاتها في فصل الشتاء، بدأت القوات النظامية سيرها من أبو اللسن إلى ان بلغت الأزرق في أيلول سنة ١٩١٨ وقد هيئت القوة مكانا لنزول الطائرات في حين أخذت العشائر تتوافد على الأزرق وفي طليعتها مائة فارس بقيادة عوده أبو تايه و٣٠٠ فارس بقيادة نوري الشعلان من عشائر الرولة .

في سنة ١٩٢٥ وعلى اثر انتهاء الثورة السورية ضد حكم فرنسا نزح عدد كبير من **الدروز** واستقروا في قصر الأزرق مؤقتا واخذوا يقومون باستخراج الملح كما اخذوا يزرعون مساحات محدودة من الأرض (العابدي: ١٩٧٨، ١٦٢-١٦٣) .

أود ان انوه إلى اهمية وادي **السرحان** بالنسبة للأزرق فهذا الوادي يتردد ذكره كثيرا في كتب الرحالة سواء للداخل إلى الجزيرة العربية أو القادم منها باتجاه بلاد الشام أو القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية وأيضا بالنسبة للقبائل التي كانت تقصد بادية الشام في فصل الصيف للإقامة والمرعى، ان وادي السرحان ليس واديا بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة ، إذ انه منخفض واسع يمتد من الجنوب إلى الشمال وتنحدر فيه أودية كثيرة من جميع جهاته.

ذكر حمد الجاسر ان سكان شمال غرب الجزيرة العربية قديما هم من قبيلة بني كلب ويجاورها من الناحية الشمالية قبيلة طيء والقبيلتان قحطانيتان وهما من أقوى القبائل التي كانت تحل شمال الجزيرة وتمتد منازل بني كلب حتى تصل إلى حدود العراق شرقا والى الشام شمالا ويجاور قبيلة كلب من الناحية الغربية قبيلة عنزه العدنانية النسب ومن الجنوب الغربي قبيلة غطفان، وقد امتدت هاتان القبيلتان إلى منازل بني كلب في وادي السرحان وما بقربه حيث يذكر الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ان قبيلة ذبيان سكنت الوادي الذي سماه بياض قرقر ، كما ان قبيلة رولة انتشرت في هذا الوادي في عصور متأخرة وهي من قبيلة عنزه، ومما لا شك فيه ان قبيلة الشرارات كانت تقطن الوادي وتقطن أيضا في الجوف.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقبيلة بني كلب في القرن ١٤ هجري بعد ما أدركها الوهن والضعف فزالت دولتهم وقويت عليهم قبائل أخرى كانت تجاورهم ومنهم طيء وعنزه اللتان قويتا فاستولى فرع من طيء على بلاد الجوف إلى عهد قريب في القرن السادس حتى القرن الثالث عشر، حيث حل محلى هؤلاء فرع من عنزه وهي من قبيلة الرولة . (الجاسر: ١٩٧٠،٤٣-٤٤).

وقد عَبَرت الرحالة الليدي آن بلنت بوادي السرحان في رحلتها إلى نجد مرورا بالجوف وتذكر ان وادي السرحان هو منخفض فوضوي غريب ، من المحتمل انه قاع لبحر قديم مثل البحر الميت ، وتوجد آبار عديدة هنا، (بلنت: ١٩٦٧، ١٨).

أورد عوض البادي في كتابة (الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية) نصوصا مترجمه لرحالة عبروا إلى منطقة الجوف مرورا بوادي السرحان، (البادي :١٩٩٧)

ذكر الرحالة الفنلندي (فالين) في كتابه صور من شمالي جزيرة العرب بان اكثر الشرارات يعيشون في وادي السرحان ومنه ينتقلون إلى النفود ومنه إلى جبال الشراه... وأهل الجوف يعدون مواضع الماء في الطريق من الجوف إلى دمشق وهي النبك (في وادي السرحان) ومريرة ، وغراب ، وأزرق، وقراقر، والحازم، وبصرى (في نقرة الشام).... وينزل الشرارات والرولة في الأجزاء الشمالية من وادي السرحان، ويضرب بشر والشمر في المنحدرات (فاليـــن:١٩٧١، ٥٨،٥٩،٨٤).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

سكان الأزرق

www.manaraa.com

ظلت واحة الأزرق كما رأينا من خلال الاستعراض السريع لتاريخها ذات أهمية كممر للقوافل ومكان يزود المسافرين والقبائل بالمياه والمرعى، ولسوف نرى ان القبائل كانت تتعاقب في السيطرة على وادي السرحان وواحة الأزرق وكانت الغلبة للقبيلة الأقوى، أما القبائل التي تضعف فكانت إما ان تتجه للشمال حول قرى بلاد الشام أو أن تتراجع إلى مواطنها في الجنوب أو الشرق، وظل الحال على ما هو علية حتى أوائل هذا القرن، وفي رأيي هذا هو السبب في عدم وجود قرى بالأزرق فلم تكن هناك جماعات مستقرة، إذ ان كون المنطقة ممرا جعلها تفتقد سمة الأمان والاستقرار، فاصبحت منطقة تمتاز بالخراك وعدم الاستقرار والامن، اذ اشتهرت قلعة الأزرق في أوائل هذا القرن بكونها مكانا لقطاع الطرق واللصوص، وفي رأيي هذا هو السبب الرئيسي في عدم وجود قرى بالازرق فلم تكن هناك جماعات مستقرة، وان نشأة القرى الحالية كانت نشأة حديثة العهد وذلك بتوافد الدروز والشيشان إلى المنطقة واستقرارهم فيها، وقد ساهم نشوء إمارة شرق الأردن على مساعدة هذه الجماعات على الاستقرار. وقد بلغ عدد السكان في الأزرق كما يلي(*):

عدد السكان	سنة ١٩٩٤	سنة ١٩٩٨
الأزرق الشمالي	٢٧٣١	٥٧٨٣
الأزرق الجنوبي	٢٢٠٧	٢٢٨٥
البدو الرحل	١١٧٤	١٣٧٦

قرى الأزرق

الأزرق الشمالي أو(أزرق الدروز):

تقع في الجزء الشمالي من منطقة الأزرق في ارض مغطاة بالصخور البازلتية السوداء، وهي منطقة تمتاز بالتلال المختلفة الارتفاع وتربتها بركانية مائلة للسواد، وهي تربة خصبة وجيدة للزراعة، تقع بلدة الأزرق الشمالي حول قصر الأزرق الأثري، وتتبع اداريا لمديرية قضاء الأزرق وهي جزء من محافظة الزرقاء .

غالبية سكان الأزرق الشمالي هم من الدروز ويقال لهم (**بني معروف**) وقد قدموا من من جبل الدروز في سوريا ومن لبنان، ولكن هناك عائلات غير درزية تقيم هناك منذ الثلاثينات من عشائر **السرحان** واليهم ينسب وادي السرحان في الأزرق، وهناك بعض البدو من **أهالي**

(*) تم الحصول على هذه البيانات من دائرة الإحصاءات العامة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجبل ويقال لهم (جبلية) قدموا من منطقة جبل العرب بسوريا، والقيسي ويقال لهم (القيسية) حضروا من فلسطين قبل نكبة فلسطين ١٩٤٨، اذ اشتغلوا حراس في خطوط التابلاين في منطقة الأزرق، وهم يمتلكون الآن أراض ومحلات كثيرة في الأزرق الشمالي، يقدر عددهم بحوالي ٢٥ عائلة يعمل معظمهم في التجارة والاعمال التجارية. وبعد حرب الخليج سنة ١٩٩١سكنت الأزرق بعض عائلات من عشيرة الزياد ويقال لهم (الزيادية).

الأزرق الجنوبي أو(أزرق الشيشان):

تقع قرية الأزرق الجنوبي في منطقة منبسطة اقل انخفاضا من الأزرق الشمالي ، يبعد الأزرق الجنوبي عن الشمالي حوالي ٧كم، تمتاز منطقة الأزرق الجنوبي بوجود برك الماء الرئيسية فيها وهي مكونة من تربة طينية خصبة، والحدود الطبيعية التي تفصل الأزرق الشمالي عن الجنوبي هي وادي الرتم او (الرتامة) وسمي كذلك نسبة الى النبات الذي ينبت فيه، تتبع مديرية قضاء الأزرق وهي كذلك جزء من محافظة الزرقاء، يتكون سكان الأزرق الجنوبي من الشيشان الذين قدموا من بلاد القوقاز سنة ١٩٠١ لاسباب دينية، مروا عبر تركيا وسوريا ثم استقروا في مدينة الزرقاء وقرية السخنة، في سنة ١٩٣٣ حضر منهم حوالي ١٥عائلة إلى الأزرق واستقروا فيها، كانوا يستخدمون الخيل والجواميس ويعيشون حول برك الماء الموجودة هناك والمعروفة باسم (الدشة) أو (البصة)، وقد أقيمت المحمية المائية حديثا في نفس المنطقة، وقد سكن الأزرق مع بدء تأسيس إمارة شرقي الأردن عدد العائلات التي قدمت من سوريا واغلبهم من دير الزور ويقال لهم (ديرية)، وسكن الأزرق من البدو بعض عائلات من قبيلة عنزة، واستقر أيضا بعض أفراد البدو الذين يعملون في الجيش العربي واغلبهم من الحويطات، وكذلك بعض العائلات من بني صخر ويقال لهم (الصخور) وذلك في أوائل الخمسينات، كما واستقر بعض البدو الذين يربون الماشية حول منطقة الأزرق في الخمسينات واغلبهم من بني صخر، وهناك بعض البدو من الشرارات.

في الستينات استقرت بعض العائلات الفلسطينية التي كانت تقوم بقطع نباتات الحلفا والسمار لعمل الحصر وكراسي القش بعد عام ١٩٦٧ واثر نكبة فلسطين حضرت عائلات أخرى، وبعد ١٩٧٥ حضرت اعداد اكبر للعمل في المطاعم والكراجات والمحلات التجارية وغيرها وأغلبهم من الفلسطينيين، وهم غير مقيمين في الأزرق اذ ان غالبيتهم من سكان الزرقاء وهم يتنقلون بين اماكن عملهم وسكناهم، وهناك بعض العمال من جنسيات مصرية يعملون في مختلف المهن وعمال من جنسيات سودانية يعملون على الشاحنات وفي التسويق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجماعات الإثنية في الأزرق

مفهـــوم الجماعـــة الاثنيـــة:

من المفهومات الرئيسية في العلوم الاجتماعية مفهوم الجماعة العرقيـــة أو الإثنيـــة (Ethnic group) وكلمة إثنية مشتقة من أصل يوناني (Ethno) بمعنـــى شـــعب أو أمـــة أو جنس، وفي العصور الوسطى كان يطلق هذا اللفظ في اللغات الأوروبية على من هم ليســـوا مسيحيين او يهودا ، ولكن في العصور الحديثة أصبح اللفظ يستخدم في العلوم الاجتماعيـــة ليشير إلى **أي جماعة بشرية يشترك افرادها في العادات والتقاليد واللغة والدين وأي ســـمات أخرى مميزة بما في ذلك الملامح الفيزيقية والجسمانية.**

وملاحظة هذا التميز في هذه الصفة أو الصفات المشتركة في أفراد جماعة معينـــة، وتباينـــها عن جماعات بشرية أخرى ينطوي على عنصر ذاتي وعلى عنصر موضوعي .

العنصر الموضوعي هو وجود الاختلاف أو التباين بالفعل في أي من المتغـــيرات المذكـــورة أعلاه(اللغة، الدين، الثقافة، الأصل المكاني، السمات الفيزيقية).

أما **العنصر الذاتي** فهو ادراك أفراد الجماعة وإدراك الجماعات الاخرى القريبـــة منـــها لـــهذا التباين والاختلاف، وهو ما يؤدي إلى الشعور بالانتماء إلى جماعـــة معينـــة فـــي مواجهـــة الجماعات الاخرى.

وقد تتفاوت درجات كل من العنصرين الموضوعي والذاتي من موقف لآخـــر ومـــن مرحلـــة تاريخية إلى أخرى، فالتباين الموضوعي في اللغة، مثلا قد تتفاوت درجاته مـــن الاختـــلاف الكامل (مثل الارمنية والعربية) إلى الاختلاف الطفيف في اللهجات في إطار نفس اللغة(مثـــل اللهجة العراقية أو المصرية أو المغربية)، ويصدق نفس الشيء على التباين الديني الذي قـــد تتفاوت درجاته من الاختلاف الهائل (ديانات توحيدية سماوية في مقابل ديانات غير توحيديـــة)، إلى اختلاف أقل درجة مثل التباين (داخل الديانات) التوحيدية (التباين بين اليهودية والمســـيحية والإسلام)، إلى اختلاف مذهبي أقل (مثل البروتستانتية والكاثوليكية فـــي المســـيحية، ومثـــل السنة والشيعة في الاسلام)، إلى اختلاف طفيف في الطقوس والممارسات (مثـــل المـــدارس الفقهية الاربعة في الإسلام السني وهي الحنبلية والمالكية والشافعية والحنفية).

والمهم من وجهة نظر التفاعل والعلاقات بين الجماعات الإثنية ليس هو عنـــاصر التبـــاين أو درجة تفاوتها، بل ما يترتب عليها من حدة في الادراكات الذاتية، ومـــن موقـــف واتجاهـــات اجتماعية- سياسية، وانعكاس ذلك في انماط السلوك والعلاقات تجاه الجماعات الإثنية الأخـــرى المجاورة لها أو المتفاعلة معها. فقد يكون الاختلاف الموضوعي في أي من المتغيرات الإثنيـــة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كبيرا ولكن أفراد الجماعات المتفاعلة أو المتجاورة لا يضفون على هذا الاختلاف أهمية تذكر، ولا يرتبون علية نتائج موقفية أو سلوكية ذات بال، ويمكن ان يكون العكس صحيحا، فقد يكون التباين الإثني طفيفا للغاية بين جماعتين، ومع ذلك تضفي كل جماعة على ذلك الاختلاف الطفيف أهمية قصوى، وترتب كل منها عليه مواقف حدية وأنماطا من المعتقدات العدائية والسلوك الصراعي المتبادل، كذلك قد يأخذ أحد المتغيرات الإثنية (مثل التباين في الدين أو اللغة) اهمية قصوى في مرحلة تاريخية معينة، وتتضاءل أهمية نفس المتغير تماما في مرحلة تاريخية أخرى بين نفس الجماعات في نفس المجتمع أو نفس الرقعة الجغرافية.

ومن الخصائص الاجتماعية التي تميز الجماعات الإثنية – إلى جانب اختلافها عن غيرها في متغيرات اللغة أو الدين أو السلالة أو الأصل القومي....الخ خاصيتان مهمتان:

الأولى: ان عضوية الجماعة الإثنية هي **عضوية غير تطوعية**، فأفراد الجماعة يولدون فيها، ويرثون خواصها الإثنية مثل الدين أو اللغة أو لون البشرة. وبالتدريج يكتسبون بقية خواصها الثقافية والمزاجية فالفرد عند مولده لا يختار الجماعة الإثنية التي ينتمي اليها – أي انه لا يقرر ان يكون ابيض البشرة أو اسودها ، ولا يقرر ان يكون مسيحيا أو هندوسيا فكل هذه الصفات تفرض على الفرد قبل أو عند مولده، وحتى بعض الخصائص الإثنية الممكن تغييرها –مثل الانتماء المذهبي أو الديني – لا يتم عادة إلا بعد ان يصل الفرد إلى مرحلة عمريه اكبر، أما عند ولادته فهو أسير للجماعة الإثنية التي ينتمي إليها والداه، لذلك عادة ما يطلق على هذه الصفات الإثنية اسم (السمات الإرثية).

الثانية: هي خاصية **التزاوج الداخلي** (endogamy) فالأغلبية العظمى من أفراد أي جماعة إثنية ينتهي بهم الحال إلى الزواج من أفراد نفس الجماعة الإثنية من الجنس الآخر، وهذه الخاصية ليست بصرامة الخاصية الأولى ، فقد يحدث التزاوج بين أفراد ينتمون إلى جماعات اثنية مختلفة.ولكن الشواهد الميدانية كلها تشير إلى ان ذلك هو استثناء عن القاعدة العامة.

ولعل هاتين الخاصيتين هما المسؤولتان عن حفظ الكيان الجماعي البشري والثقافي لأي جماعة إثنية، فعن طريق العضوية الجبرية عند المولد تضمن الجماعة تجديد صفوفها، وتتأكد عملية الاحلال والتعويض عمن تفقدهم الجماعة من أعضائها نتيجة الوفاة، أما التزاوج من الداخل فيتم من خلال الضغوط الاجتماعية والنفسية المستمرة – بشكل مباشر أو غير مباشر– على أفراد الجماعة الإثنية من الجنسين، فالتكيف الحضاري (Cultural Conditioning) منذ الصغر يجعل عضو الجماعة الإثنية راغبا ومفضلا للزواج من داخل الجماعة، ومن جهة أخرى اذا ساورت الفرد فكرة التزاوج من خارجها فان أدوات الضبط الاجتماعي (Social Control) والتي تتراوح بين التقريع والعقاب والعزل ، عادة ما تثنيه عن الفكرة ،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما إذا تسامحت الجماعة الإثنية اكثر من اللازم في مسالة التزاوج من الخارج فـان وجودهـا ككيان متفرد يصبح مهددا بخطر الانصهار والذوبان(إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٣-٢٦).

وقد درج علماء الاجتماع الغربيون على اعتبار كل جماعة مختلفة موضوعيا ويـدرك هذا الاختلاف ذاتيا ، بمثابة جماعة اثنية ، سواء كانت جماعة قومية أو دينية أو مذهبيـة أو لغوية أو جماعة ذات نمط معيشي متميز مثل البدو والغجر.. ان استخدام مصطلـح الجماعـة الإثنية اذن ينطوي على وجود جماعة أو جماعات إثنية أخرى تعيش معها في نفس المجتمـع أو الدولة، وعادة لا يقتصر الاختلاف والتباين بين تلك الجماعـات علـى احـد المتغـيرات الإثنيـة (مثل الدين أو اللغة أو الاصل القومي أو السلالة) ، بل ايضا على الحجم العـددي ومظاهر الغلبة والقوة الاجتماعية في اشكالها السياسية والاقتصادية والثقافية، ومن هنا ارتبـط البحث في موضوع الجماعات الإثنية بعلاقات الأقلية مع الأغلبية في نفـس المجتمـع ، ان التباين الاثني عادة ما يقترن بتباين كمـي وسـكاني وتبـاين كيفـي فـي نمـط العلاقـات التوزيعية....ان الوعي الاثني بالذات لا يتولد ولا ينمو لدى جماعة معينة إلا بسـبب وجـود علاقات الجيرة والتفاعل مع جماعات إثنية أخرى ، ان الإدراك الذاتي للتفرد أو الاختلاف عـن (الآخرين) هو نتاج لرؤية وإدراك هؤلاء الآخرين، ذلك ان معنى نحن وهـو والتبـاين بيـن ال(نحن)الجماعية وال(هم) الجماعية يكمل كل منـهما الآخـر علـى المسـتوى الادراكـي والسيكولوجي، فادراك فرد ما لكونه ابيض البشرة لا يتم إلا من خلال إدراكه لفرد آخر اسـود البشرة، وإدراك فرد لإسلاميته لا يتم إلا من خلال إدراكه لا يتـم إلا مـن خـلال إدراكـه لمسيحية أو يهودية فرد أو أفراد آخرين وهكذا.

والجماعة الإثنية تنمي في أفرادها هذه القدرة الادراكية مبكرا كجـزء مـن عمليـة التنشـئة الاجتماعية ، وكضرورة لحفظ كيانها الجمعي وتراثها الثقافي ، أو لتكريس مصـالح ومزايـا مكتسبة . كما ان الآخرين – الجماعات الإثنية الاخرى – بدورهم يفعلون نفس الشيء للنفـس الاعتبارات ، واحيانا يكون هؤلاء –الاخرون – عاملا أهم في تنمية الوعي الادراكي الاثنـي من خلال ممارسات التفرقة والتمييز في المعاملة والسلوك مع مـن ليسـوا مـن (جماعتـهم) وبالتالي ينمو عند افراد الجماعة الاخيرة وعي اثني مـتزايد نتيجـة الاحسـاس بالاضـهاد، وبتعبير آخر تنطوي العلاقات الإثنية صراحة أو ضمنا على آليات نفسية اجتماعيـة للإدمـاج (Inclusion) والاستبعاد (Exclusion) ، أي شروط من ينطبق عليه ان يكون من جماعـة أل (نحن)، وشروط من ينطبق عليه الاستبعاد من هذه أل (نحن) الجماعـة، ووضعـه فـي جماعة (الاخرين) أو أل (هم). (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٧-٣٠).

من خلال هذا التعريف الوافي للجماعات الإثنية الذي أورده سعد الدين إبراهيـم فـي كتابه تأملات في مسألة الاقليات ، أستطيع أن أخوض في التكوينات الإثنيـة المختلفـة فـي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأزرق وهذه التكوينات تختلف في تصنيفاتها فهناك جماعة اثنية لغوية وقومية وهي الشيشان وهناك جماعة اثنيه دينية مذهبية وهي الدروز ، وفي مقابل هاتين الجماعتين تبرز جماعة أخرى ممكن أدراجها كجماعة اثنيه وذلك لتميزها بوجود نمط معيشي مميز وهم البدو.

➢ الـــدروز:

مـــن هـــم الـــدروز؟ الدروز هم جماعة تكونت في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، وقد برزت إلى الوجود استجابة لدعوة انتشرت في القاهرة في عهد الخليفة الفاطمي السادس الحاكم بأمر الله، صدرت الدعوة في سنة ٤٠٨ / ١٠١٧، وكانت تسعى إلى إبلاغ جميع الناس، وانتشر الدعاة واقبل الناس يعتنقون الدعوة، غير أنه بعد الانقلاب على الدعوة الذي أعقب غيبة الحاكم(خرج الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى الصحراء ولم يعد، ولهذا الخليفة أهمية كبيرة عند الدروز)، عاد كثيرون ممن كانوا اعتنقوها إلى مذاهبهم السابقة، واستمرت الدعوة زهاء ربع قرن بعد هذا التاريخ وأقفلت سنة ١٠٤٤/٤٣٦ . إن الذين بقوا متمسكين بالمذهب الدرزي الجديد كانوا يسكنون في أكثريتهم مناطق جبلية لا يسهل وصول الغرباء إليها ، واهم مناطق تواجدهم وأقدمها هي في جنوبي لبنان ووادي التيم عند جبل الشيخ، ويقيم الآن عدد كبير من الدروز في جبل الدروز بحوران، لكن استيطانهم فيه قريب العهد إذ يعود إلى العقد الثاني من القرن ١٧م، وبقيت جماعات صغيرة من الدروز في قرى الجبل الأعلى وفي جوار حلب وغوطة دمشق، والدروز في فلسطين يسكنون في صفد وعلى سفح جبل الكرمل (ابو عز الدين، ١٩٨٥: ٩-١٣).

لايمكن فهم مذهب الدروز إلا من خلال فهم مذهب الشيعة اذ ان الدروز هم أحد فروع الشيعة كحركة سياسية، بدأت بشيعة علي وكانت بدايتها حول الخلاف الذي قام حول من يخلف النبي ..محور مذهبهم هو النظر للإمام بصفته حامل النور الإلهي وقد لازمتها **فكرة الرجعة** (وتقوم على اعتناق فكرة رجعة الإمام المنتظر الذي سيملأ الأرض وحقا بعد ما ملئت ظلما وجورا)، أي عندما يحين الوقت سيعود المهدي المنتظر ليملأ الأرض عدلا. والدروز يطلقون على عقيدتهم اسم مذهب التوحيد ويسمون أنفسهم **بالموحدين**، فأساس عقيدتهم وحدانية الله المطلقة.. وعقيدتهم في التوحيد لا تختلف عنها عند الفاطميين، وعقيدة الفاطميين مشبعة بالفلسفة الافلاطونية الحديثة ويعتقد الدروز ان نفوس البشر خلقت كلها دفعة واحدة وعددها ثابت لا زيادة فيها ولا نقصان. وعند الموت تنتقل النفس إلى جسد آخر فالجسد ليس سوى قميص للنفس، ولا تنتقل النفس إلا لبشر وهذه هي عملية التقمص (ابو عز الدين، ١٩٨٥ :١٤٠-١٤٨).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ان الدروز درجوا على كتمان مذهبهم عمن سواهم . وللتقية دور في هذا التستر فالتقية هي ستر المذاهب إذا تعرض الفرد أو الجماعة للخطر بسبب المعتقد..... وجاء في(الشريعة الروحانية) إلغاء الرق وإلغاء تعدد الزوجات. (أبو عز الدين،١٩٨٥ : ١٥٤).

ينتمي الدروز إلى أصول عربية، واكثر القبائل التي استوطنت بلاد الشام قبل الإسلام كانت من عرب الجنوب، والى هذه القبائل ينتسب الدروز، ويرى المستشرق الألماني اوبنهايم الذي نقل عن مرجع درزي موثوق ان الدروز عرب دخلهم مزيج قليل من الأكراد، وكتب الباحثان الإنكليزيان هوغارت وجوترود ان العنصر السائد في الدروز عربي مضافا إلى امتزاجهم بسكان الجبال من أصل أرامي (أبو عز الدين، ١٩٨٥: ١٥).

أما الاعتقاد السائد بين الدروز والمتوارث جيلا بعد جيل هو أصلهم العربي الذي يرجع إلى قبائل سكنت سورية منها قبل الإسلام ومنها جاء بعد الفتح. والمجتمع الدرزي مجتمع مغلق فلهم تقاليدهم وثقافتهم الخاصة ويمتاز نظام الزواج عندهم بأنه داخلي فهم لا يزوجون إلا في نطاق الطائفة، وللمحافظة على استمرارية الزواج ضمن الطائفة فان كثير منهم يتزوجون من الدروز الذين في سوريا .

حضر الدروز إلى الأردن من جبل العرب شمالي الازرق، وذلك بعد عدة حروب خاضها الثوار في سوريا ضد الاستعمار الفرنسي بقيادة سلطان باشا الاطرش، وقامت القوات الفرنسية باحتلال السويداء في جبل العرب. فقرر الثوار إرسال نساءهم وأطفالهم إلى مدينة الزرقاء شمال عمان ليكونوا في مأمن من بطش الفرنسيين وليواصلوا الدفاع الجبل. واستمرت المعارك بين الثوار والفرنسيين ومن اشهرها حروب المقارن والتي استمرت اكثر من ستة أشهر واشترك فيها عدد من القادة الوطنيين مثل شكري القوتلي، وعادل أرسلان وشاكر العاص وغيرهم. وانتهت هذه الحروب سنة ١٩٢٧م ، وكان من نتيجتها انسحاب الثوار .

بعد احتلال منطقتي اللجاة والصفا في جبل العرب انحدر المجاهدون نحو الأزرق وكان عددهم يزيد عن ثلاثة آلاف نسمة ومن هناك أخذوا يشنون حرب عصابات على مراكز الفرنسيين في الجبل، وقاسوا شظف العيش لانهم اعتمدوا على ما يكسبونه من الفرنسيين ومن تبرعات المؤتمر السوري والشخصيات الوطنية، ولم تكن هذه التبرعات كافية فقد قضى الثوار عشرة سنوات يعيشون في الصحراء كما يفعل البدو. بدا الاستعمار الانكليزي بالتعاون مع الاستعمار الفرنسي بالضغط على الثوار لحملهم على الاستسلام لفرنسا. ونتيجة الضغط عليهم قام الثوار بالنزوح مع عيالهم إلى مكان يدعى العمري بوادي السرحان في الأردن، ومكثوا هناك اسبوعا فلاحقتهم القوات الانكليزية واضطرتهم للجلاء عنها فنزلوا الحصيدات على الحدود السعودية الاردنية، ولم تمهلهم القوات الفرنسية سوى ١٣ يوما ثم أجلتهم إلى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجنوب فنزلوا بالنبك التابعة للعربية السعودية وعاشوا فيها خمس سنين، ولما صعب العيش عليهم لاعتمادهم على الصيد والرعي ولضآلة التبرعات قاموا بالتفرق في جهات عديدة، فبقي قسم منهم في النبك وعاد قسم آخر إلى الحديثة في السعودية وتوجه قسم ثالث إلى الكرك في شرق الأردن بعد ان أخذت منهم الحكومة عهدا بعدم القيام بأية تحركات واستمرت هجرتهم حتى وقعت المعاهدة السورية الفرنسية في سنة ١٩٣٦ والتي كان من شروطها عودة الثوار إلى الوطن وانضمام جبل العرب إلى سورية الأم ، فعاد معظمهم إلى بلادهم في العام التالي (العيسمي،١٩٦٢: ١٧٧-١٨٤). ويلاحظ المرء وجود صورة سلطان باشا الاطرش في معظم بيوت الدروز في الازرق، فهم يعتزون به ويفتخرون بأنهم أحفاد الثوار.

يروي الدروز انهم عندما نزلوا الأزرق قاموا بالسكن في قلعة الأزرق، واستمر بقاؤهم في قلعة الازرق حتى عام ١٩٤٠، وفي سنة ١٩٢٤ تم تقسيم اشجار النخيل المحيطة بالقصر بين سكان القلعة، وحصلت كل اسرة على حصتها من اشجار النخيل، وتم إعطاؤهم تراخيص بحمل السلاح. في سنة ١٩٢٢ قام سلطان باشا الاطرش بالثورة على الاستعمار الفرنسي وقد تم اختياره فيما بعد قائدا عاما للثورة السورية ضد الاستعمار الفرنسي. وفي عام ١٩٢٧ لجأ سلطان باشا الاطرش ومعه عدد من الثوار إلى قصر الأزرق وأقاموا فيه، وقد طلب الانجليز من الباشا تسليم اسلحتهم لكنه رفض، ثم بدأت فرنسا تضغط على الاستعمار الانجليزي في الأردن لتسليم الثوار، وكانت الطائرات الفرنسية تلاحقهم، فأرسل الباشا إلى الملك عبد العزيز بن سعود بالسماح لهم باللجوء إلى منطقة النبك في السعودية، فهرب الثوار إلى منطقة الحديثة قرب الحدود السعودية واقاموا في بلدة النبك من قريات الملح وهناك تعلموا استخراج الملح وطبقوا ما تعلموه في الأزرق.

وفي عام ١٩٣٠ عاد من النبك قسم منهم واستقر في الأزرق والقسم الاخر ذهب مع الباشا إلى منطقة الكرك حيث استمر بقاؤهم فيها حتى عام ١٩٣٧ وبعدها عاد الباشا إلى سوريا ، وبعد عام ١٩٤٠ خرج الناس من قصر الازرق وقاموا ببناء بيوتهم خارج القصر .

رجع القسم الاكبر إلى جبل الدروز وبعضهم استقر بالأزرق، كان للقصر باب شرقي وباب غربي من الحجر وعند الاحساس بالخطر كانوا يغلقون الابواب، كان عددهم تقريبا ٩عائلات وكانوا يحتمون بالقصر من الحيوانات المفترسة التي كانت تمتلئ بها الأزرق آنذاك. كانت البيوت مسلحة خوفا من قطاع الطرق والوحوش، ولم تكن المرأة تستطيع ان تخرج من القلعة إلا بمرافقة رجل مسلح .

يورد حمد الجاسر في كتابه (في شمال غرب الجزيرة العربية) ان النبك تبعد عن قرية الحديثة الواقعة بقرب الحدود الأردنية حوالي ٢٤كم وهي صغيرة تحتوي عدة مبان قليلة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من الطين ، يسكنها أناس دروز، وبقرب تلك المباني بئر عذبة كثيرا ما يردها البادية من بني صخر والحويطات.... سهل النبك الفسيح المقفر لا بناء ولا مأوى غير خيام المجاهدين المنتشرة فيه ... ان المجاهدين من بني معروف وبعض السوريين لما اضطروا إلى الانسحاب من وجه سبعين الف جندي فرنسي ومسترزق بعد قتالهم زهاء عامين لجئوا إلى الأزرق من أرض شرقي الأردن ثم عبروا الحدود الىالاراضي السعودية وأناخوا في وادي السرحان، بنبك قريات الملح. (الجاسر، ١٩٧٠: ٦٠٣) .

يعتبر الدروز اول الجماعات التي استقرت في واحة الأزرق، اذ لم تكن هناك تقسيمات حدودية، وفي سنين المحل (الجفاف) كان الدروز يحضرون من منطقة جبل العرب شمال الأزرق إلى واحة الأزرق مع حلالهم ومواشيهم لأنها كانت منطقة كلأ جيدة، وكانوا ينزلون عادة في أواخر فصل الصيف، يقول الدروز ان الأزرق كانت مرعى للدروز، وقد طالب مصطفى باشا الاطرش الباب العالي التركي بتفويض الأزرق للدروز، كانت هذه الجماعات تقيم في الأزرق وتعود إلى جبل العرب عند الشعور بالخطر.

يذكر (Lewis) في كتابه Nomads and settelers in syria and jordan 1800-1980. ان أول جماعة من الدروز غادرت لبنان واستقرت في جبل حوران (جبل الدروز) كانت في سنة١٧١١ في أعقاب الحرب بين فتنة بين القيسية واليمنية في وقعة عين داره، ثم تبعتهم جماعات أخرى، وزادت الهجرات في بداية القرن التاسع عشر حيث أقاموا في قرى وعملوا بالزراعة وتربية الاغنام (Lewis, 1987: 78) ويذكر أيضا ان هذه الهجرات أدت إلى زيادة في عدد السكان ثم زادوا بعد ذلك زيادة طبيعية مما أدى إلى التوسع في الأرض والحصول على أراض جديدة والاستفادة من الموارد الطبيعية لجبل الدروز التي كانت كافية لأعالتهم.(Lewis, 1987: 95).

- **الشيشان:**

من هم الشيشان؟ ان موطن الشيشان الاصلي يقع شمال هضبة القوقاز، وبلاد القوقاز تضم عدة شعوب ، منهم الشركس والارمن والداغستان وغيرهم، تمتاز بلاد القوقاز بجبالها الوعرة ووديانها السحيقة وممراتها الضيقة وغاباتها الكثيفة، وتمتاز بتنوع شعوبها ولغاتها، فالشيشان لهم لغتهم الخاصة وهي المجموعة الشيشانية (**الوبناخ**)، وهم يدينون **بالدين** الإسلامي ومذهبهم هو السنة ، معظم الجاليات القوقازية التي هاجرت خلال النصف الثاني من القرن الماضي ومطلع هذا القرن إلى الإمبراطورية العثمانية (دار الإسلام) واستوطنت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في شمال تركيا وبلاد الشام(سوريا والأردن وفلسطين) والعراق وهم من الشيشان والشراكسة والداغستان المسلمين، وقد قاومت هذه الشعوب الحملات والحروب التي قام بها الاحتلال الروسي للقوقاز لأكثر من قرنين بعد ذلك قامت روسيا ببسط كامل سيطرتها على القوقازعام١٨٦٤ بعد حروب دامية أدت إلى هلاك أو هجرة أو تهجير قسري لما يزيد على مليونين من الشعوب الإسلامية في القوقاز.

يقيم الشراكسة في مدن وادي السير وناعور والرصيفة ، بينما يقيم الشيشان في الزرقاء وصويلح والسخنة والازرق الجنوبي(أزرق الشيشان) . (بيلو، ١٩٧١ :٤٢-٦٨) .

كان أول استقرار للشيشان في الاردن في الزرقاء سنة ١٩٠٢، وفي الرصيفة سنة ١٩٠٤، في سنة ١٩٠٥ قدم مهاجرون آخرون من القوقاز إلى الاناضول ثم إلى الأردن بعضهم سكن في صويلح والاخر سكن في السخنة و في العشرينات من هذا القرن لم يزد عدد الشيشان عن الف نسمة ، وان تضامنهم لم يسبب مشكلة بعد الحرب العالمية الاولى بل على العكس فقد أصبحوا مواطنين مخلصين في الحكومة الناشئة للأمير عبد الله وكانوا جنود وسياسيين واداريين وعندما تأسس الجيش العربي كانت لهم أهمية كبيرة ومناصب عديدة ، ان التغيير الكبير الذي حصل للشيشان والشركس كان بعد سنة ١٩٤٨ وتدفق اللاجئين الفلسطينيين، مما ساهم في التسريع في التحضر وارتفاع أسعار الأراضي وتحولت القرى الشركسية والشيشانية إلى مدن كبيرة وتحضرت بالكامل ولم يبق منهم مزارعين وقام الكثير منهم ببيع الأراضي، باختصار لقد كان الشيشان والشركس يعملون رعاة في الجبال ثم أصبحوا مزارعين في البلقان وسوريا، وغالبيتهم الآن سواء في سوريا او الأردن أصبحوا سكان مدن . ويذكر المؤلف ايضا نبذة عن مناطق الشيشان ومنها الأزرق، فأزرق الشيشان تأسس سنة ١٩٣٢ وغالبيته من الشيشان وعدد الأسر ما بين عام ١٩٠٦-١٩٣٨ كانوا حوالي ١٥ اسرة وقد قدموا من الزرقاء وصويلح وأخذوا قطعانهم وخيولهم إلى الأزرق في نهاية العشرينات وقاموا بالزراعة وبناء البيوت سنة ١٩٣٢ وحصلوا على الاراضي سنة ١٩٣٣ (Lewis,1987:209-116).

يذكر الشيشان بأنهم قدموا إلى الأردن من بلاد القوقاز سنة لاسباب دينية سنة ١٩٠١ عبر تركيا واستقروا في مدينة الزرقاء وقرية السخنة ، ثم حضرت حوالي ١٥عائلة إلى الأزرق واستقرت فيه سنة ١٩٣٣ وكانت تستخدم الخيل والجواميس، وتعيش حول برك الماء الموجودة هناك والمعروفة باسم (الدشة) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتحدث الشيشان عن قدومهم للبلاد الاسلامية عند وصولهم منطقة باب الهوى بالقرب من حلب خلعوا أحذيتهم هناك لأنهم وطئوا الاراضي الاسلامية المقدسة، والشيشان شديدو الاعتداد بأنفسهم والاعتزاز بقوميتهم ويفاخرون بشجاعتهم في الحروب والتصدي لجبروت روسيا .

بعد ان استقر أول فوج من المهاجرين الشيشان في منطقة الزرقاء بقيادة زعيمهم الدين الحاج عبد الله النقشبندي، وردت اليهم رسائل من القفقاس يسال فيها مرسلوها عن إمكانية وجود أراض ملائمة لسكن المزيد من المهاجرين الشيشان، ويسمون هجرتهم بأنها هجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ، وقد أدت هذه الرسائل إلى قيام الحاج عبد الله العثماني بتوجيه أمره إلى عدد من أعضاء الحركة الدينية المسماة (بالمريدية) بالاستعداد للسفر إلى الجهة الشرقية من الزرقاء للبحث عن أراض صالحة للسكن وكانت بغيته واحة الأزرق، وفي طريقهم للازرق ظهر لهم جبل متوسط وهناك صعد أحد أفراد الفرقة وهو الحاج مرزا بن سلمرزا قمة الجبل فشاهد مياه الأزرق وخضارها، فنزلت الفرقة في تلك الأراضي وتفرق افرادها يستطلعونها، وبعد ان تجمعوا ذهبوا إلى قلعة الأزرق حيث وجدوا الشيخ حديثة الخريشة فاكرم وفادتهم ورحب بهم. سبب البحث عن أراض جديدة في منطقة الأزرق هو رغبة الكثير من العائلات الشيشانية في قفقاسيا بالهجرة إلى الأراضي المقدسة. وفيما يلي أسماء بعض القبائل الشيشانية التي سكنت الأزرق:

١-قبيلة غادوري (الأوخ) ومنهم آل آرزمل.
٢-قبيلة تشينكروي (الأوخ) ومنهم اسرة آل ابو بكر.
٣-عشيرة أيدي، ومنها أسرة يعقوب.
٤-عشيرة تشوبلوي، ومنها اسرة عيلام جي.
٥-قبيلة علي روي، ومنها آل شوقي (ناشخو، ١٩٩٨: ١٤٠-١٤٢).

وقد اختلفت الآراء حول الهدف الذي دفع الدولة العثمانية إلى توطين أعداد من الشركس والشيشان في بلاد الشام، ومن هذه الاسباب حماية الخط الحديدي الحجازي من البدو الذين رأوا في انشائه تهديدا لمصالهم التجارية، ولم ينظروا إلى مروره من بلادهم بعين الارتياح.
ورأي آخر هو توطين هذه الجماعات بهدف تشكيل حاجز بشري بين البدو والفلاحين، وحماية الفلاحين من غزوات البدو على قراهم. وكذلك فان الدولة العثمانية شعرت أنها تحمل التزاما دينيا وأدبيا تجاه الشركس والشيشان الذين ناضلوا بشدة من أجل قضية الإسلام والإمبراطورية العثمانية، فوطنتهم في الجولان والبلقاء التي لم تكن أراضيها مستغلة بشكل كامل، ولا سيما ان المهاجرين كانوا مزارعين وبحاجة إلى الأراضي الزراعية للعيش.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلا ان الهدف الأساسي من وراء إسكان الشركس والشيشان في لـــواءي حـــوران والبلقـــاء، وبخاصة في شرق الأردن كان هدفا عسكريا بالدرجة الأولى، فقد أرادت الدولـــة العثمانيـــة الوقوف أمام أطماع الانجليز في السيطرة على مصر والجزيرة العربية، وبالتالي قطع الطريـــق البحري لجدة الذي كان يخدم الحجيج إلى بيت الله الحرام، ومن هنا رأت ان تزيد مـــن عـــدد سكان حوران والبلقاء، فعملت على إسكان المهاجرين فيهما وتوطين البدو واستحداث تشكيلات عسكرية جديدة لحفظ الوحدة الجغرافية للجزيرة العربية والعراق(ناشخو، ١٩٩٨: ٥٣-٥٤).

- **البـــــدو:**

مـــن هـــم البـــدو؟ انهم أقدم الجماعات التي كانت تقيم بالأزرق، كـــانوا يقيمـــون فـــي الأزرق أوقاتا معينة من السنة ويأتون من مختلف المناطق في شمال الجزيرة العربية وباديـــة الشام للرعي وسقي الإبل والاغنام، ومن أفضل الكتابات الحديثة المفصلة عـــن حيـــاة البـــدو وهجراتهم هو ما كتبه الباحث Musil في كتابـــه Arabia Deserta الـــذي زار منطقـــة الجزيرة العربية في أوائل هذه القرن وعاش مع البدو عدة سنوات، ووثق لمرحلة مهمـــة مـــن تاريخ البدو، إذ طرأت عليها تغيرات كثيرة بعد ذلك بسبب التغيرات السياســـية والاجتماعيـــة التي حدثت لاحقا في الجزيرة العربية. ويعرض في كتابه حياة القبائل العربية ويفصل بشـــكل خاص طبيعة الرحلات التي كانت تقوم بها القبائل العربية وخصوصا قبيلة رولة التي كـــانت تتنقل بعدة مناطق، ويصف خط سير الترحال، بداية من اطراف مدينة دمشق ثم المرور بعـــدة اماكن وصولا إلى النبك والجوف عبر وادي السرحان والازرق وانتهاء بالجوف والنفوذ.

لم يستقر البدو بشكل كامل في الأزرق إلا حديثا أي بعد تأسيس امارة شـــرق الأردن فالبدو لا يحبون السكن قرب السيول والوديان وذلك لخفة متاعهم وعدم تحملهم البرد والمطـــر، فهم يقصدون البادية في الشتاء وهو ما يدعى **بالتشريق** وفي الصيف فانهم يتجـــهون باتجـــاه الغرب وهو ما يدعى **بالتغريب** حول مدن وقرى بلاد الشام حيث العشب والماء الوفـــير . أي أنهم كانوا يقيظون في هذه المناطق في اشهر الصيف.

لقد كانت الأزرق بالنسبة للبدو مورد ماء و مرعى خصبا في اثناء ترحالـــهم وتجوالـــهم فـــي مناطق البادية فقد كانت هناك قبائل عربية كبيرة تحضر من شمال الجزيرة العربية عـــبر وادي السرحان والازرق باتجاه بلاد الشام. من هذه القبائل :-

© Arabic Digital Library Yarmouk University

عنـــــــــزة: هذه القبيلة هي احد بطون ربيعة العدنانية وهي من أقوى وأكثر القبائل عددا ، ذكر نيبور في القرن الثامن عشر ان عنزة أعظم وأقوى قبيلة فـــي صحـــراء ســـوريا، ذكـــر Lewis في كتابه **Nomads and Settlers in Syria and Jordan, 1800-1980** أن رولة وهي فرع من قبيلة عنزة وهي قبيلة مترحلة (Nomadic) كانت تمر بقطعانها بيـــن سوريا ونجـــد عبر الأزرق ووادي السرحان في فصل الصيف والربيع، كانت رولة الأكـــثر بداوة بين فروع القبيلة الأخرى، فقد كان أفرادها يمتلكون اعدادا ضخمة من الإبل والاغنـــام، وكان شيوخ الافرع الأخرى من عنزة يمتلكون بعض الأراضي للزراعة ولكن لم يفعل ذلـــك أي من شيوخ الرولة، قدر عدد خيامهم ســـنة ١٩٤٠ بـــ ٥,٥٠٠ خيمـــة وعـــدد الإبـــل بـــ١١٦,٠٠٠، وقد كان هناك عداء كبير بين بني صخر وبين رولة وكانت الغـــارات بينـــهم شيء شائع.

ولكن في صيف عام ١٩٥٦ حدثت تغيرات اذ غادر معظم الرولة الاراضي السورية بسبب الجفاف وأيضا بسبب الجفاء والكراهية بين شيخهم الشعلان وبيـــن الحكومـــة الاتحاديـــة فـــي سوريا. وعبر القسم الرئيسي من هذه القبيلة عبر الأزرق وقد قدر عدد جمالهم التـــي كـــانت تشرب فيها بحوالي الف خمسين جمل وذلك لمدة شهرين قبل ذهابهم إلى وادي السرحان. من غير المألوف ان لا بني صخر ولا غيرهم اهتم لذلك، فمن الملاحظ ان اهتمام بنـــي صخـــر بالجمال قد اضمحل إلى الحد الذي ألغى المنافسة بينهم وبين رولة على الأزرق فقـــد تولـــدت خلافات بينهم وبين بني صخر اذ بقي الرولة رحل ويسعون إلى تجنب ان يكونوا مرؤوســـين من قبل الحكومات التي يتحركون فيها، وعلى العكس فان بني صخر فقد تخلوا عن الترحـــال واصبحوا مواطنين أردنيين واصبحوا على صلة وثيقة بالدولة . حـــاولت الحكومـــة الاردنيـــة المساعدة في فترة الجفاف الذي كان قاسيا وأدى إلى خسائر كبيرة بتزويد القطعان بالمياه مـــن خلال شاحنات للجيش، لقد تعلم البدو من هذا الدرس الاستعانة بالآليات من سيارات وبكبـــات وغيرها، وهذه بدورها أدت إلى تقليص المساحات التي يتحركون فيها والوصول إلى المكـــان المطلوب بوقت اسرع من الإبل ....لقد وجد كثير من البدو وسائل أخرى للعيش غـــير تربيـــة الابل حيث بدات الارقام تتقلص تدريجيا في الستينات وزاد تقلصها في السبعينات وخصوصـــا في سنين الجفاف في النصف الثاني من السبعينات.(Leweis, 1978:137-138).

ان الجفاف جعل قبيلة رولة تتحرك باتجاه الجنوب فقد كانت الخسائر ضخمة فقدوا فيها معظـــم الاغنام و٧٠%من الإبل، و في نصف هذا القرن لم يعد هناك تواجد لهذه القبيلة فـــي الباديـــة الشمالية، معظمهم بقي العربية السعودية أوانه استقر، ان التغير كان سريعا جدا في في نهايـــة الخمسينات وبداية الستينات بسبب الجفاف والظروف السياسية والتطورات الاقتصادية كل هـــذا ادى إلى تلاشي انماط الهجرات القديمة(Lewis,1987: 194).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في بداية هذا القرن كانت المناطق الممتدة من دمشق وحوران إلـــى الأردن ووادي الســرحان والجوف واقعة تحت سادة قبيلة عنزة، وقد استقر معظم افراد هذه القبيلة في المملكة العربيـــة السعودية. ويوجد الان في الأزرق حوالي ثلاث عائلات من قبيلة عنـــــزة وكـــانوا فـــي البداية يعملون هجانة في البادية ثم تقاعدوا واستقروا بالازرق، وعلاقاتهم وطيدة مع أقاربـــهم في السعودية وبينهم علاقات مصاهرة، اما فرع رولـــــة فقد استقر اغلبهم فـــي القريـــات بالسعودية وفي الأردن يسكن بعضهم في منطقة الريشة والفيضـــة علـــى الحـــدود الســـعودية الاردنية العراقية، وتتنقل جماعات من هاتين القبيلتين حول منطقة الأزرق في فصل الصيـــف لرعي أغنامهم والاتجار بالحلال وهم يمتلكون جوازات سفر مختلفة .

الشـــــرارات: اغلبهم يقيم بالقريات في السعودية بعضهم يتنقل حـــول منطقـــة الأزرق فـــي الصيف ويسكن منهم في الأزرق عائلات قليلة تعمل في تربية الاغنام.ويقيم معظم الشـــرارات في منطقة العين البيضاء شمال شرق الأزرق.ويقيمون في بيوت شعر.

بني صخـــــــر: وهم من بدو وسط الأردن تقع منازلهم غرب الأزرق في منطقة الموقـــر وزيزياء أم العمد ونتل وغيرها.

ذكر Lewis ان بني صخر كانوا في بدايـــة القـــرن التاســـع عشـــر بـــدو رحـــل (Nomadic)يعتمدون على تربية الابل، وكانوا ينزلون صيفا غرب منطقة البلقاء فـــي الأردن وبعضهم يتجه إلى الشرق من اربد او جنوب حوران، وفي الشتاء فانهم يتجهون إلى الشـــرق او الجنوب الشرقي من وادي السرحان وما ورائه، ولم يكن اعتمادهم بالكامل علـــى الجمـــال كمورد رزق فهناك قوافل الحج التي كانت تمر في الأراضي التي يرتحل اليها بنـــي صخـــر صيفا وشتاء والتي كانت تشكل مورد رزق هام، كان الشيوخ ورجال القبيلة يزودون الجمـــال والجمالة بالقوافل ويتقاضون من الحكومة العثمانية لقاء حمايتهم لقوافل الحج، بالاضافة لذلـــك فقد كانوا يأخذون (الخاوة) من اهل مدينة السلط ومن بعض القرى عندمـــا كـــانوا فـــي أوج قوتهم. وكانت الخاوة تدفع اما نقدا او على شكل حبوب وبضائع.

في العشرينات من هذا القرن كانت المرحلة حرجة وعم الجفاف، وسيطر عبد العزيـــز بـــن سعود على الحجاز، ونصت اتفاقية الحدود على وقوع وادي السرحان ضمن سيطرتهم وذلـــك سنة ١٩٢٥، النتيجة ان بني صخر لن يتمكنوا من استخدام وادي السرحان أو قـــد يفعلـــون ذلك بصعوبة، وهذا امر مهم بالنسبة لهم، فالوادي فيه مغارات كانت تشكل مساكن بالنســـبة لهم، بالاضافة لوفرة العشب ووجود العديد من الغدران فيه، كل هذا كان يشكل جزأ اساســيا من مكونات الهجرة الدورية التي يقومون بها، والمنطقة المحصـــورة بيـــن الخـــط الحديـــدي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحجازي وبين الحدود الجديدة التي بقيت لهم كانت عبارة عن هضبة فقيرة بالعشب والمياه ولا تكفي قطعان الجمال. سنة ١٩٣١ قام كلوب باعداد بعض الرجال من قوات البادية في الجيش العربي ، وبعد اشهر اتفق الملك عبد الله وابن سعود على منع الغارات بين البدو ، بسبب العلاقات الحسنة مع السعودية فقد تيسر لبني صخر أحيانا استخدام وادي السرحان وكانوا يدفعون أحيانا للسعودية بعض الضرائب عن حيواناتهم، ولكن في العشرينات من هذا القرن ولغاية الثلاثينات تعرضت المنطقة لجفاف أدى لموت آلاف الجمال، وتحول كثير من الشيوخ الاثرياء إلى فقراء.

لم يحاول كثير من بني صخر اعادة بناء القطعان إلى المستويات السابقة لأن تجربة العقد الماضي كانت غير مشجعة، وتقلصت تربية الجمال للبيع وللتأجير ، ولكن ظل بعض الجمال يستخدم في حمل ونقل المحاصيل، وظل الاحتفاظ بالجمال كرمز للقوة والحرية. توجه بنو صخر لتربية الاغنام وللزراعة، واهتم شيوخهم باقامة المزارع ومتابعة شؤونهم في عمان، ساهمت آليات جيش البادية في جعلهم أحرار في الصحراء وتلاشى روح العداء تجاه الدولة والسلطة الذي كان في الماضي، لقد تكيفوا ضمن الحدود الجديدة المحصورة فحلت تربية الاغنام محل تربية الابل، وازداد عدد الشيوخ الذين يمتلكون الكثير من القطعان بأعداد كبيرة، لقد اتاح لهم الانتقال من تربية الابل إلى تربية الاغنام إلى الانخراط تدريجيا في اقتصاد السوق، ان الجفاف في الخمسينات جعل رجال القبيلة يقومون ببيع ما تبقى عندهم من ابل، لم يبق من هذه القبيلة التي كانت مترحلة بالكامل في اوائل هذا القرن إلا حوالي ٢% منهم يعيش في خيام ويمتلك الابل والاغنام قدر عدد خيام بني صخر سنة ١٩٤٠ بـ ٢،٠٠٠ خيمة (Lewis,1987:124-138).

وحاليا تسكن بعض العائلات من بني صخر في الأزرق، وخصوصا من الذين عملوا بالجيش وتقاعدوا، ويمتلك الكثير من الخريشة (الخرشان) وهم بطن من بني صخر مزارع بالعين البيضاء في الأزرق.

السرحان: منازل السرحان تقع إلى الشرق والغرب من سكة الحديد بين الحدود السورية والمفرق ومن قراهم؛ سما السرحان ومغير السرحان ومنشية الكعيبر ورباع وغيرها. يذكر فريدريك بيك في كتابه (تاريخ شرق الأردن وقبائلها) ان السرحان كانت أقوى قبائل حوران أعظمها سلطانا في القرن السادس عشر، وقد كانت على رأس حلف قبائلي كبير يدعى بأهل الشمال ويضم قبائل العيسى والفحيلي والفضل، خرج السرحان من حوران عام ١٦٥٠-١٧٠٠م ونزلوا الجوف وشرعوا في بناء الحصون والقلاع وانشاء الحدائق والمزارع،يقال ان وادي السرحان كان يدعى في الماضي بوادي الأزرق وانما اكتسب اهميته بعد ان احتله

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السرحان، وأنهم أقاموا في هذا الوادي بعد خروجهم من حوران ما يزيد عن سبع سنوات،ثم سيطرت قبيلة عنزة على منطقة الجوف وما حولها، ورجع السرحان إلى الشمال بعد ان هزمتهم قبيلة عنزة (بيك، ١٩٣٥: ٢٣٤).

سمعت من احد وجوه السرحان في الأزرق ان خروج السرحان من حوران إلى الجوف كان عودة إلى موطنهم في الجوف ، اذ تكن هناك حدود بين البلدان، وبعد ترسيم الحدود نصت الاتفاقيات على السماح للبدو بحرية التنقل والحركة ، وبعد فترة أصبح كل واحد يشعر بالانتماء لكيان دولة معينة، وقد ساهم دخول البدو في الجيش العربي على استقرار كثير من البدو وقد ساهم الجيش في تعليم البدو من خلال فتح المدارس.

ومما زاد في استقرار البدو ان المنطقة تعرضت لجفاف ومحل في الخمسينات مما جعل الدولة ترسل معونات (إعاشات) للبادية، يقول ان الجفاف أدى إلى موت كثير من القطعان وأن والده اضطر لبيع ما تبقى من القطيع لديه ثم سكن بلدة مغير السرحان ثم استقر بالازرق .

الحويطات: وتقع منازلهم في جنوب الأردن حول منطقة الجفر، لعبوا دورا مهما في الثورة العربية الكبرى ونشوء امارة شرق الأردن، يسكن الأزرق منهم حوالي ١٢ عائلة ، كانوا يعملون هجانة في الأزرق فسكنوا واستقروا بالازرق، ولهم علاقات وطيدة مع اقاربهم في الجفر، وقد حضر بعد ذلك كثير من الحويطات وسكنوا حي حمزة في الأزرق الجنوبي، ويقدر عددهم ب٤٠٠ شخص يسكن معظمهم في بيوت شعر ويربون الأغنام، ان ما ساهم في زيادة عددهم في الأزرق، هو مجيئهم إلى الأزرق للبحث عن خدمات أفضل مثل التعليم والوظيفة، ومنهم من استقر بالازرق بسبب مشاكل مع عشيرته .

أهل الجبل: ويقال لهم (الجبلية) وهم جماعة شبه مترحلة(Semi-nomadic) وهي من القبائل السورية ويؤلفون حوالي عشرة عشائر، احيانا تعتبر السردية واحدة منهم ويقيمون بجوار جبل الدروز وهم شبه مستقرون ويعملون كرعاة او عمال في جنوب سوريا والاردن، ويفضلون العمل في الأردن لأن الاجور التي تدفع لهم أكثر منها في سوريا وهم يعبرون الحدود من مناطق جبل الدروز إلى الأردن لرعاية قطعان شيوخ بني صخر واصحاب قطعان آخريين، في حين ان بني صخر وعنزة يترفعون عن العمل كرعاة عند الاخريين . (Lewis, 1987: 159).

يحضر كثير من بدو الجبلية إلى الأردن بسبب حرية الحركة التي تتاح لهم ووجود فرص عمل اكثر يعملون في تربية الاغنام ويقيمون في بيوت شعر ويتنقل معظمهم بين الارسوريا،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعمل كثير منهم في المزارع الحديثة التي تقع شرقي الأزرق. يقيم معظم الجبلية في منطقة العين البيضاء وتقع شمال شرق الأزرق في بيوت شعر.

الزيادية: قدموا إلى الأزرق في اعقاب حرب الخليج سنة ١٩٩١وهم من قبائل جنوب العراق ويطلق عليهم أحيانا (البدون) وهو اسم يطلق على البدو الذين كانوا يعيشون في الكويت ولم تمنحهم الحكومة الكويتية الجنسية، وقد حضروا للأردن وتم منحهم الجنسية الاردنية، وكان بعضهم يتجول ذلك في المناطق الصحراوية حول الأزرق وذلك قبل حرب الخليج واثناء ذلك اشتروا بعض الأراضي وبدأ بعضهم بالاستقرار وهم يعملون بتربية الأغنام ويتنقلون في بيوت شعر.يقدر عددهم بحوالي ٧٠٠ ، ويذكر السامرائي في كتابه القبائل العراقية ان (عشيرة آل زياد، أصلها من الرولة من عنزة، وكثرتها في قضاء السماوة وهي عشيرة كبيرة معروفة ونخوتها(أولاد مبارك) ورئيسهم العام في السماوة بريد آل جميل). (السامرائي، ١٩٨٢: ٢٨٢).

الكثافة السكانية

يتوزع الدروز في الأزرق الشمالي حول منطقة قصر الأزرق وحول ينابيع العورة والمستدهمة ويمر فيها الطريق الدولي المؤدي إلى العراق، اما عرب الزيادية فيقيمون إلى شمال القرية ويقومون بالرعي وتربية الأغنام. الكثافة السكانية في الأزرق الشمالي اعلى من الجنوبي، والتجانس السكاني في الأزرق الشمالي اكثر.

في الأزرق الجنوبي يتوزع اغلب الشيشان حول بـرك الميـاة (**القياسي**) واما الباقي فيتوزعون في مختلف الجهات، يمتاز مجتمع الأزرق الجنوبي بأنه مجتمع مفتوح فيستقطب مختلف الافراد والجماعات، وهو مجتمع لا يمتاز بالتجانس ففيه الشيشان والبدو والفلسطينين وغيرهم، ولكل جماعة خلفية ثقافية وأسلوب معيشة مختلف .

تمتاز الكثافة السكانية في الأزرق وخصوصا حول المنطقة السكنية بالتذبذب حسب فصول السنة فعند هطول أمطار في منطقة الرويشد نجد ان كثيرا من اصحاب القطعان يتوجهون من الأزرق للرعي هناك ، واحيانا يحضر إلى الازرق بعض الجماعات من مناطق بعيدة، وعندما كنت في الميدان ذات مرة سمعت ان بعض عشيرة الاحيوات قدموا من الجنوب لرعي قطعانهم في منطقة الأزرق، وهذه الجماعات تستفيد عادة من الخدمات في الازرق وخصوصا الخدمات الصحية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الهجرات السكانية

تجمع معظم الدراسات على ان **الهجرة هي التغير الدائم أو شبه الدائم لمحل الإقامة**، وهنـــاك عدة أنماط للهجرات منها :-

- **الهجرة البدائية:** وتستند إلى محك بيئي بحت فهي نتيجـــة حتميـــة لقصـــور الفاعليـــة الإنسانية في السيطرة على الشروط الطبيعية بحيث تغدو في هذه الحالة قوة طرد بيئويـــة (Ecological Push) ومن أمثلة ذلك، النمط الحياتي التجوالي الذي تمارسه الجماعـات البدائية والجماعات البدوية في جهات مختلفة من العالم، وخصائص هذه الجماعات أنها لا ترتحل بعيدا عن مكان إقامتها الدائم وأنها لا تغير أسلوب حياتها وطرائق معيشتها.
- **الهجرة الالزامية أو الاجبارية:** Forced Migration فاذا كانت الـــهجرات البدائيـــة نتيجة للضغط البيئي، فان هذا النوع من الهجرات نتيجة للضغط الاجتماعي والسياســـي، وتسود هذه الهجرات المجتمعات التي يغلب على نسقها السياسي طابع الديكتاتوريـــة مثـــل عملية التهجير الإلزامية التي قام بها الاتحاد السوفيتي لبعض الجماعات المختلفة .

وربما تكون هجرة الفلسطينيين من بلادهم الأصلية (فلسطين) اسطع مثال ضربته الصهيونيـــة العنصرية على ذلك النوع من الهجرات القهرية. ويدخل تحت هذا النمط أيضا الهجرات التـــي تنجم عن ضغط ديني أو إكراه سياسي أو تمييز عنصري، وكذلك الهجرات التي تنجـــم عـــن الحروب الطاحنة كهجرة الجماعات الباكستانية.

- **الهجرات الحرة:** ان الهجرات السابقة تتم بدون رغبة المـــهاجرين فـــهجرة البدائييـــن نتيجة لنقص وسائلهم في صد احتياجاتهم البيولوجية وعدم القـــدرة فـــي الســـيطرة علـــى الظروف الطبيعية القاسية، وهجرات الضغط والإكراه يكون دور المهاجرين فيـــها ســـلبيا، أما الهجرات الحرة فتكون فيها رغبة الأفراد عنصرا بارزا وواضحـــا ومميـــزا ، ومـــن أمثلتها هجرة الأوروبيين فيما وراء البحار. (الربابعة، ١٩٨٤: ٧١-٧٢).

شمل هذا التصنيف لأنماط الهجرات كل الجماعات المهاجرة في الأزرق تقريبا، فتقـــع الهجرات الدورية لقبائل البدو الرحل ضمن الهجرة البدائية التي ترجع لاسباب ايكولوجية.

اما هجرة باقي الجماعات في الأزرق فتقع ضمن الاجبارية أو القسرية، فهجرة الدروز مـــن جبل العرب إلى الأزرق ترجع لاسباب سياسية، وهجرة الشيشان من القفقـــاس إلـــى البـــلاد العربية ترجع للحروب ولأسباب سياسية دينية، وهجرة الفلســـطينيين مـــن فلســـطين ترجـــع للحروب ولأسباب سياسية، وهجرة الزيادية إلى الأزرق ترجع لأسباب سياسية، امـــا هجـــرة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العائلات القيسية وبعض الجماعات السورية فتقع ضمن الهجرات الحـــرة ، يمكـــن تلخيـــص الهجرات التي تعرض لها الأزرق على النحو التالي:

- هجرة الدروز من جبل العرب واستقرارهم بالأزرق الشمالي في العشرينات.
- هجرة الشيشان من بلاد القوقاز واستقرارهم بالازرق الجنوبي في الثلاثينات.
- هجرة جماعة القيسية من فلسطين وبعض أهالي الرقة ودير الزور للعمل في خطـــوط النفط.
- استقرار بعض افراد البدو ممن عملوا في البادية والجيش من مختلف مناطق البادية.
- هجرة بعض العائلات من فلسطين بعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ .
- هجرة المزيد من العائلات بعد احتلال فلسطين و على اثر هزيمة سنة ١٩٦٧ .
- هجرة جماعات من بدو (اهالي الجبل) في سوريا واستقرارهم بالأزرق .
- استقرار مزيد من العائلات من الزرقاء وغيرها بعد شق طريق الأزرق ١٩٧٥ .
- آخر الهجرات في الأزرق هي مجيء عرب الزيادية في اعقاب حرب الخليـــج ١٩٩١ واستقرارهم في الأزرق.

أما في الوقت الحالي فان الهجرات السكانية في الأزرق الشمالي قليلة، إذ تنحصـــر داخـــل جماعة الدروز أنفسهم وبحكم طبيعة المجتمع المغلقة، فان تقاليد الزواج المتبعة الـــزواج تتـــم ضمن نطاق الجماعة نفسها سواء من الأزرق الشمالي او من جبل الدروز، فقد ظـــل الـــدروز على صلة وطيدة بمجتمعهم الأصلي وكثير من الدروز يحضرون للعمل في الأردن وهم غـــير مستقرين ويعمل معظمهم كفنيين في الدوائر الحكومية او الجيش، اما هجـــرات الجماعـــات الأخرى فليس من جديد سوى قدوم الزيادية الذين استقروا هناك بعد حرب الخليج.

بالنسبة للأزرق الجنوبي فأنه في حركة مستمرة، فبداية كانت هجرة الشيشان مـــن الزرقـــاء إلى الأزرق، ثم بعض العائلات الفلسطينية عقب الأعوام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، ثم اســـتقرار بعض البدو مثل بني صخر الذين تقع منازلهم إلى الغرب من الأزرق، والحويطـــات الذيـــن يسكنون الجفر وما حولها في الجنوب ويعد السبب الأكبر لاستقرارهم في الأزرق هو عملـــهم في قوات البادية التي يعتبر الأزرق مقرا لها، أما الهجرات المعاكسة فـــهي ليســـت بـــارزة ولكن بعض الشيشان تركوا الأزرق واستقروا في الزرقاء وصويلح حيـــث توجـــد تجمعـــات للشيشان، وحيث تتوفر الخدمات في تلك المدن بشكل اكبر، وبعضهم عمل في تلك المدن ثـــم عاد واستقر في الأزرق. ومن المحتمل ان يؤدي تفاقم المشاكل البيئية في واحة الأزرق إلـــى نزوح بعض الجماعات من الأزرق لاسباب بيئية وهذا ما يعرف بالهجرة البيئية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المساكن

تمتاز مدينة الأزرق بحداثتها اذ لا يزيد عمرها عن ثمانين سنة، وهذا بدوره يجعل مساكن الأزرق حديثة وليس لها تسلسل زمني وعراقة في البناء والعمران، وليس هناك تطور او تدرج ملحوظ ومميز في البناء والسكن.

ان المنازل في الأزرق الشمالي تمتاز بطابع خاص بحكم وجود الأزرق الشمالي في منطقة تمتاز بالحجار البازلتية ، فالبيوت مبنية من هذه الحجارة السوداء وكذلك السور الذي يلف معظم البيوت، وهذا يعطي المساكن طابعا مميزا ويضفي عليها جمالا، تمتاز منازل بني معروف بأنه بسيطة ومرتبة ومريحة، يحيط بالمنازل حدائق منزلية بسيطة يوجد في بعضها وحولها بقايا من شجر النخيل الذي كان يتواجد بكثرة هناك، لا يوجد تفاوت في بناء المنازل فلا يلاحظ بيوت للاثرياء او للفقراء داخل احياء الدروز السكنية اذ لا يوجد تفاوت طبقي ملحوظ بينهم . ولا زالت المباني التي بنيت في السابق تستخدم للسكن في الأزرق الشمالي أما المنازل التي تبنى حديثا فهي منازل اسمنتية تطلى من الخارج، وقد حلت هذه المنازل محل البيوت التي تبنى من الحجارة السوداء . لا يوجد في الأزرق عمارات بل بيوت مبنية من طابق او طابقين للسكن العائلة. يذكر Nelson في كتابه ان منازل الدروز يهيمن عليها البازلت بشكل كامل فالبيوت مغطاة بملايين الحجارة السوداء الصغيرة، وان هذا يعطيها منظرا قاتما وداكنا. (Nelson, 1975: 54).

وقد قدر عدد المساكن في الأزرق الشمالي بـ ١٩٩٦ سنة ١٩٩٤ (هذه البيانات من دائرة الاحصاءات العامة).

تمتاز المنازل في الأزرق الجنوبي بأنها متفرقة ولا يمكن تمييز أحياء خاصة بالشيشان وحدهم، فمنازل الشيشان موجودة بين باقي المنازل، ولكن التجمع الأساسي لهم هو حول الدشة أو المحمية المائية حاليا، منازل الشيشان القديمة كانت مبنية من الطين وكانوا يجلبونه من نفس المنطقة، وقد حاولت ان أرى بعض هذه المنازل واقوم بتصويرها ولكن لم يتبق شيء من هذه المنازل اذ قام المجلس القروي بهدم آخر هذه المنازل في العام المنصرم لأنها تشكل مكرهة صحية. تمتاز منازل الشيشان بالترتيب والتنظيم والبساطة وتحيط بها أسوار من الاسمنت المطلي وتتواجد في بعض المنازل بقايا من النخل الذي اضمحل في المنطقة. وقد ذكر Nelson في كتابه ان ازرق الشيشان يوجد في منطقة منبسطة اكثر من ازرق الدروز وهي اصغر منها واكثر انسجاما . (Nelson, 1975: 60).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اما باقي المنازل في الأزرق الجنوبي فهي متشرذمة وليس ليس لنمط بعضها ملاصق لبعض وبعضها بعيد عن الاخر، و المنظر العام للمنازل على الغالب يمتاز بالفوضوية والتناقض والمزاوجة بين القديم والحديث، فهناك بعض الناس لديهم حدائق حول المنازل وبعضها توجد منطقة مفتوحة مهملة، بعضها محاط بأسوار وبعضها محاط بالواح من معدن الزينكو أو عجلات السيارات والشاحنات التالفة وبعضها لا سور له ، هذا عدا عن وجود بعض منازل البدو الذين استقروا او يحاولون الاستقرار، والذين تتواجد بيوتهم بشكل متفرق ولا تشكل تجمعات معينة، وتمتاز بوجود بيت من الاسمنت بشكل غير منظم وحوله بيت شعر أو خيش وأحيانا بعض قطع من البلاستيك والخيش والواح الزينكو، وتتواجد الاغنام والخراف في حظائر مشيكة من المواد السالفة الذكر، ان هذه المساكن تفتقر إلى التنظيم والجمال والترتيب، لقد وصف نيلسون مساكن البدو بانها تمتاز بالنقاء والجمال وان منظرها يبعث على الراحة والهدوء والسكينة، ولكن الصورة أصبحت الان مختلفة.

هناك منطقة حديثة تقع اداريا ضمن الأزرق الجنوبي وهي حي الأمير حمزة، وحي الأمير حمزة حي حديث أنشئ سنة ١٩٧٨ حيث تم تقسيم الأراضي الواقعة جنوب غرب وادي الرتامة بين سكان الأزرق الجنوبي، والأراضي الواقعة شمال الوادي بين سكان الأزرق الشمالي. لا يوجد في الازرق الجنوبي نمط بناء العمارات، فكل البيوت مكونة من طابق او طابقين بقصد السكن العائلي. يوجد في الأزرق إسكان خاص بالجيش وهو إسكان القاعدة الجوية التي تقع في مدخل مدينة الازرق، ويسكن فيه حوالي مائة عائلة .

وقد قدر عدد المساكن في الأزرق الجنوبي بـ٤٤٥ في سنة ١٩٩٤ (هذه البيانات من دائرة الإحصاءات العامة).

نلاحظ الارتباط الوثيق بين المساكن وبين المعطيات والموارد البيئية فبيوت بني معروف تقع في منطقة الحرة التي تمتاز بوجود الحجارة البازلتية فيها، لهذا قام السكان استخدم هذه المادة في بناء بيوتهم، وكانوا يقومون هم أنفسهم ببناء البيوت فلديهم بنائين وحجارين وكانوا يمتلكون عدة الحجارة اللازمة لقص الحجر وكانت البيوت تبنى اما بالحجارة لوحدها واما باستخدام الطين والحجارة معا، وقام الدروز في السابق بجلب الكثير من الحجارة البازلتية من السور الروماني حول برك الماء في الأزرق الجنوبي او حجارة من القلاع والقصور القديمة واستخدموا هذه للحجارة في بناء المنازل. اما البيوت الحالية فهي تبنى من الاسمنت ولم يعد يستخدم الحجر البازلتي إلا ما ندر .

في حين قام الشيشان ببناء بيوتهم من الطين وكانوا يجلبون نوعين من التربة تتواجد حول الازرق، التربة الحمراء وكانت تستخدم لعمل الطوب، اما التربة البيضاء وهي تربة تحتوي على مواد كلسية فقد كانت تستخدم في تبييض الجدران، بعض الشيشان كان يقوم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ببناء بيته من الحجارة ، كانت البيوت غالبا تبنى من الطين الممزوج بالتبن ويترك ليتخمر عدة ايام ثم يصب في قوالب خشبية خاصة ويترك ليجف وبعد ذلك يكون جاهزا للبناء، معظم المنازل كانت تبلى من الطين وحده ولكن هناك بيوت بنيت من الطين والحجارة معا. وكان الشيشان يقومون ببناء منازلهم بأنفسهم وذلك باشتراك الجماعة نفسها والتعاون فيما بينهم ، اما البيوت الحالية فمعظمها يبنى من مادة الاسمنت، وذلك بغض النظر عن ثقافة الجماعة وهذا يدل على ان مادة الاسمنت قد حلت محل المواد السابقة والتي تتوفر في البيئة وذلك بسبب رخص الاسمنت وتوفرة وسهولة استخدامه في البناء ويدل أيضا على تأثر الجماعات المختلفة باهمية الخامات الحديثة في البناء.

نلاحظ ان كل جماعة قامت بنقل ثقافتها وخبراتها السابقة التي التعلق ببناء البيوت إلى إلى مواطنها الجديدة، وقد ساعدها على ذلك توفر نفس المواد الاولية فيها.

الوضع الاجتماعي

روابط النسب والمصاهرة:

تمتاز راوبط النسب والمصاهرة بين الدروز بانها محصورة ومغلقة ولا يسمح بتجاوزها، اذ يحظر على الشاب او الفتاة الزواج من خارج الطائفة وذلك للمحافظة على التقاليد والمعتقدات المتوارثة، ولقد سمعت ان احدى الفتيات خرجت عن تقاليد الطائفة وتزوجت برجل غريب ولم تتقبل الطائفة هذا الزواج، وسمة الزواج الداخلي(Endogamy) هي من اهم السمات التي تميز الجماعات الإثنية وتمتاز هذه السمة عند الدروز بحدتها وعدم السماح بتجاوزها للجنسين على السواء، ولهذا ينحصر الزواج ضمن الطائفة في دون التقيد باماكن السكن ، اذ ان لديهم علاقات مصاهرة مع اقربائهم في سوريا ولبنان.

أما بالنسبة للشيشان فهم جماعة عرقية تمتاز بوجود تقاليد صارمة واعتزاز كبير بقوميتهم، وهم لذلك لا يفضلون الزواج من خارج جماعتهم فمعظم الزيجات تتم في الجماعات مع أقاربهم المقيمين في السخنة والزرقاء وصويلح، وقد كانوا في السابق يتشددون تماما في عدم الزواج من خارج الجماعة أما الان فان الوضع قد تغير بالتدريج فقد التقيت بشيشانية قد تزوجت من رجل سوري، وهناك من تزوجوا بفتيات من فلسطين، ولكن هذا يظل ضمن حالات قليلة وحتى الزواج من خارج الجماعة يكون اقل تشددا في حالة الذكور فهناك رجال من الشيشان تزوجوا بغير شيشانيات ولكن الأمر يصبح اكثر صعوبة وتعقيدا في حالة الإناث، فهم لا يفضلون زواجهن من خارج الجماعة ، ومهما كان تشدد الشيشان في هذا الأمر إلا انه

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ليس بنفس الحدة التي يتسم بها مجتمع الدروز فالزواج من خارج الجماعة عند الشيشان ممكن ولكن غير مرغوب.ولعل هذا يرجع إلى ان الاختلافات الثقافية اقل حدة من الاختلافات المذهبية، فالمذهب السني الذي يعتنقة الشيشان ومعظم سكان الأردن ويشكل قاسم مشترك بينهم. أما عن علاقات المصاهرة بين البدو والشيشان في الأزرق فتكاد تكون معدومة داخل الأزرق اما خارج الأزرق فهناك بعض الحالات.

بالنسبة للبدو فقد كان الزواج في السابق محصورا في نطاق العشيرة ، من الملاحظ ان البدو أقل الجماعات انغلاقا في الأزرق، فهم برغم تفضيلهم زواج الفتاة ضمن العشيرة إلا ان لهم علاقات مصاهرة مع غيرهم من البدو، أما بالنسبة للرجال فهناك حرية في اختيار الزواج من أي من الجماعات. ولكن هذا لا ينطبق على جميع البدو في الأزرق فعرب الزيادية الذين قدموا للازرق حديثا لايرحبون بالزواج من خارج الجماعة ولعل ذلك يرجع لحداثة عهدهم بالمنطقة وعدم اندماجهم الكامل بالمجتمع. والبدو على الأغلب يفضلون الزواج من اقاربهم حيث تقع منازلهم الاصلية، فبني صخر يتزوجون من اقاربهم في منطقة الموقر، والحويطات من اقاربهم في الجفر، وهناك بعض العائلات من عنزة في الأزرق تزوج جميع افرادها من اقاربهم في السعودية .

أما عن الجماعات الاخرى مثل الفلسطينيين فهم كباقي الجماعات لا يحبذون الزواج من غيرهم، وحالات النسب والمصاهرة في الأزرق توجد بشكل قليل جدا اذ ان معظم الزيجات تتم مع اقاربهم في الزرقاء وعمان، ان كثيرا من الفلسطينيين الذين يعملون في الأزرق هم غير مستقرين اذ ان معظمهم من سكان الزرقاء يعملون في الأزرق ثم يعودون إلى بيوتهم في الزرقاء، وبالنسبة لاهل دير الزور والسورين فان لهم علاقات مصاهرة مع مختلف الجماعات وخصوصا مع عائلات من مدينة الزرقاء .

علاقات الجوار:

الجوار تتسم بانها علاقات مريحة عموما، فالدروز لهم علاقات جوار وثيقة بين بعضهم البعض ويعرف عنهم انهم يتزاورون بكثرة، فبعد العصر وفي المساء تقوم الأسر بتبادل الزيارات فيما بينها، ويقيم الدروز علاقات حسنة مع كثير من سكان الأزرق على اختلاف فئاتهم وهم يرحبون بذلك ولا تتصف علاقاتهم الاجتماعية مع الاخرين بالانغلاق والتقوقع، ويمتاز الدروز بلغتهم العربية السليمة وهم ينطقون كل حروف اللغة العربية بما فيها حرف القاف، وهم يشتهرون باحاديثهم المسلية فلا يمل الجالس بينهم لسردهم الشيق للوقائع والتواريخ والحكايات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الشيشان فيقيمون علاقات جيدة مع مختلف الجماعات القديمة والحديثة في الازرق، وغالبيتهم يجيدون اللغة العربية إلى جانب لغتهم الاصلية مما سهل اتصالهم بالجماعات الاخرى ، ويمتاز الشيشان بتمسكهم بتعاليم الدين الاسلامي ولكن من غير تشنج أو تعصب.
بالنسبة لمختلف الجماعات في الأزرق الجنوبي فهناك علاقات جوار مع مختلف الشرائح ، وذلك لان المجتمع يضم فئات عديدة، فمنظر مألوف وعادي ان تجد على الشارع الرئيسي شيشاني وفلسطيني وبدوي ومصري وسوري يتحدثون ويضحكون ويناقشون مواضيع مختلفة.
ان الشي الجيد الذي لمسته في الأزرق هو احترام خصوصية وحرية الفرد الشخصية فلا يحاول احد ان يفرض قناعاته على الاخرين حتى وان لم تعجبهم، ولعل ذلك يرجع لكونه مجتمع مفتوح يضم العديد من الثقافات ولكونه يقع في منطقة حدودية تبقيه على اتصال مع ثقافات أخرى مجاورة.

التعـــاون:

ان وجود مختلف هذه الجماعات الإثنية يجعل أوجه التعاون داخل كل جماعة اثنية على درجة عالية من القوة والثبات، والتعاون آلية تستخدمها هذه الجماعات لتوكيد وجودها وتميزها، وقد ظلت سمة التعاون في الأزرق واضحة بشكل كبير داخل اطار الجماعة نفسها وذلك لوجود ثلاث جماعات اثنية مختلفة كل واحدة لها مناطق ايكولوجية معينة، وزاد في ذلك عدم التجاور والتلاصق لهذه الجماعات، فكل واحدة كانت مكتفية بذاتها من خلال ما يتوفر في بيئتها ولكل جماعة انماطها الثقافية وتنظيمها الاجتماعي، ولكن شق الطرق الدولية ومجي جماعات سكانية أخرى من الزرقاء وغيرها ، جعل اوجه التعاون تتعدى اطار الجماعة الإثنية نفسها لتشمل مختلف الجماعات، وتعتبر الجمعيات التعاونية في الأزرق من اقدم وانجح الجمعيات وهي تضم مختلف الشرائح والجماعات، ويعتبر مصنع الملح مثالا على العمل الجماعي التعاوني في استغلال موارد البيئة، وتتجلى سمة التعاون بين سكان الأزرق بوضوح في مواجهة التحديات التي تتعرض لها الجماعات من خارج الأزرق مثل التحديات البيئية والمشكلات الادارية، ولقد ساهم في تعزيز سمة التعاون بين السكان كثرة المشكلات التي تعرض لها السكان مثل التدهور البيئي، ترحيل اهل الازرق، اغلاق الابار، ان هذه المشكلات أثرت سلبيا على معظم الجماعات وجعلها تتكاتف وتتعاون في ايجاد حلول لهذه المشكلات. وتبرز سمة التعاون بشكل اوضح بين سكان الأزرق عند وجود تحديات من خارج الأزرق على السكان والبيئة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التنـــــافس:

لم تكن سمة التنافس تبرز بوضوح قبل السبعينات من هذا القرن، فقد كـــان اقتصـــاد الجماعات يقوم على تأمين الحاجات الضرورية للانسان، إذ كان الاعتماد على نمط اقتصـــاد الكفاف، ولكل جماعة منطقة ايكولوجية محددة وتنظيمات اجتماعية مستقلة، وكـــانت المـــوارد البيئية تمتاز بالوفرة في مقابل الكثافة السكانية المنخفضة لمختلف الجماعات وهذا بـــدورة لـــم يؤدي إلى ظهور تنافس على الموارد، فسمة التنافس تبدأ بالظـــهور عندمـــا تكـــون الكثافـــة السكانية اكثر من الموارد البيئية التي تلبي حاجة السكان، وهذا ما حدث في الأزرق فتحـــول السكان من اقتصاد الكفاف المعتمد مباشرة على الموارد البيئية إلى ممارسة انشطة اقتصاديـــة أخرى، واختفاء التبادل كوسيلة لتوزيع الموارد الاقتصادية، وهيمنـــة الانشـــطة الاقتصاديـــة القائمة على النقد، كل هذا جعل سمة التنافس بين الجماعات وداخل الجماعـــة نفســـها تظـــهر بوضح اكثر، ولقد ساهم في ظهور هذه السمة اختلاف الأنشطة الاقتصادية بيـــن الجماعـــات وداخل الجماعة نفسها فهناك من يعمل بالجيش وهناك من يعمل في الدوائر الحكومية وهنـــاك من يعمل في التجارة وغير ذلك، ان هذه التنوع في الانشطة الاقتصادية الجديـــدة ادى إلـــى تفاوت في مصادر الدخل لمختلف الجماعات والافراد مما زاد في حدة التنـــافس.ان اختـــلاف وتفاوت مصادر الدخل خلق تنافسا بين السكان على الموارد البيئية، وعندما يشـــتد التنـــافس على الموارد البيئية ويرافقه ندرة أو نقص في هذه الموارد فان التنافس يتحول إلـــى صـــراع، وهذا ما يحصل حاليا بين الجماعات السكانية المختلفة فيمـــا يتعلـــق بموضـــوع الأراضـــي، فالأراضي هي إحدى المصادر البيئية المتبقية ، وتشكل حاليا مصدر صراع بيـــن الجماعـــات وبين أفراد نفس الجماعة نفسها، أراضي الأزرق هي أراضي تابعة لخزينة الدولـــة، وتقـــوم الدولة بتوزيع بعض الاراضي على السكان هناك، والتوزيع بحد ذاته يخلـــق صراعـــا علـــى الأراضي ويزيد في هذا الصراع ان الأزرق مجتمع غير متجانس، وسأتحدث بالتفصيل عـــن مشكلة الأراضي في الفصول القادمة.

الهويـــــة والانتمـــــاء:

معظم الجماعات السكانية في الأزرق هي جماعات حديثة الاستقرار، وهي جماعـــات يشترك معظمها بظاهرة الهجرات القسرية، فالدروز تعرضوا لهجرة قسرية بسبب الاســتعمار الفرنسي، والشيشان تعرضوا لهجرة قسرية من قبل روسيا القيصرية، والفلسطينيون تعرضـــوا لهجرة قسرية بسبب الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين، والزيادية ايضـــا هـــاجروا عقـــب حـــرب الخليج.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ان جميع هذه الجماعات ماعدا البدو وبعض العائلات السورية تشترك في انها ارغمت على الهجرة من اوطانها، ولكل جماعة من هذه الجماعات هوية وثقافة خاصة تدافع عنها، ان كل جماعة من هذه الجماعات لها ولاء وانتماء كبير لمواطنها الاصلية، وتشكل الهجرة القسرية والمعاناة المشتركة عاملا قويا في تمسك هذه الجماعات بهويتها بتاريخها وامجادها، فهذه الجماعات تشعر بالانتماء لموطنها الجديد في الأردن، ولكنها في نفس الوقت تواظب على تعزيز انتمائها لموطنها الاصلي، ومن الادلة الناصعة على هذا الانتماء توجه بعض الشيشان في الأزرق للجهاد ضد العدوان الروسي على جمهورية الشيشان سنة ١٩٩١، وقد استشهد بعض الشيشان من سكان الزرقاء هناك.

ويشعر البدو المقيمين في الأزرق بالانتماء حيث تقع منازل عشيرتهم، فالحويطات يشعرون بالانتماء لموطنهم في الجفر، وبني صخر يشعرون بالانتماء لموطنهم في منطقة الموقر. وتتضح هذا الانتماءات المختلفة اثناء الانتخابات، فكل شخص في الأزرق ينتخب في منطقة عشيرته ولا يظل من ينتخب في الأزرق إلا القليل جدا، فالحويطات ينتخبون في الجفر مع بدو الجنوب، والدروز ينتخبون في دائرة الزرقاء، والشيشان عن مقعد الشيشان في الزرقاء، وبني صخر مع بدو الوسط.

التطور الإداري والسياسي للأزرق

صدر قانون الولايات العثمانية سنة ١٨٦٤، وبموجبه اصبحت كافة الأراضي الأردنية جزءا من ولاية سوريا ، وكان والي سوريا يعتبر المرجع الإداري الأعلى لأهالي شرقي الأردن في كافة القضايا الإدارية والحقوقية والجزائية وغيرها ، وتوزعت أراضي شرقي الأردن على لواءين من ألوية ولاية سوريا وهما لواء حوران ولواء البلقاء وقد شمل هذا التقسيم على المناطق التالية:-

شمال الأردن : وهي المنطقة الجغرافية من نهر الزرقاء جنوبا وحتى نهر اليرموك شمالا وضمت إلى لواء حوران ، وشملت وحدتين إداريتين وهما : ناحية الرمثا قضاء عجلون.
جنوبي الأردن : وتشمل المنطقة الجغرافية من نهر الزرقاء شمالا وحتى وادي السرحان جنوبا، وقد ضمت المنطقة إلى لواء البلقاء بالفترة (١٨٦٨-١٨٨٨) ثم شكل لواء معان أو الكرك (١٨٩٢-١٩١٨) ، وتوزعت المنطقة على اربعة وحدات ادارية (**أقضيه**) وهي : -

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قضاء السلط :يضم الاراضي من الزرقاء شمالا إلى نهر الموجب جنوبا ، ومركزه (نابلس).
قضاء الكرك : يضم المنطقة الواقعة بين نهر الموجب شمالا وحتى وادي الحسا جنوبا .
قضاء الطفيلة : وتشمل ناحية الطفيلة والغور.
قضاء معان: شكل قضاء معان سنة ١٨٧٠م ضمن لواء البلقاء ويشمل هذا اللواء الأراضي الأردنية من وادي الحسا شمالا وحتى وادي السرحان في الأراضي السعودية وفي عام ١٨٧٤ فصل قضاء معان عن لواء البقاء والحق بلواء الشام (مركز الولاية) وفي عام ١٨٧٩ تم إلحاق قضاء معان بمتصرفية القدس واستمر الوضع حتى عام ١٨٨٠ حين أعيد اتباعه إلى لواء البلقاء واستمر حتى عام ١٨٨٧م حين اصبح ناحية يتبع اللواء نفسه واختفى من التشكيلات الإدارية حتى عام ١٨٩٢ حين تشكل لواء معان. (شقيرات، ١٩٩٢: ٥٢-٥٤) .

تحولت منطقة معان إلى قضاء من الناحية الإدارية في عام ١٨٩٥ وبقيت كذلك حتى عام ١٩١٨ ، ومن الناحية الجغرافية فأن قضاء معان كان يشغل الأراضي الواقعة بين وادي الفدان وحتى وادي السرحان، وكانت هذه الأراضي تضم العديد من القرى والعشائر البدوية . (شقيرات، ١٩٩٢: ٥٢-٥٤ ، ٢٠٧) .

نلاحظ ان الأزرق وهي ضمن وادي السرحان كانت تقع اداريا ضمن قضاء معان ، وكانت لها اهميتها كطريق للحج ، ولكن الأزرق اكتسبت اهميتها بعد نشوء إمارة شرق الاردن.
ففي عام ١٩٣٤ تم اعلان منطقة الأزرق على إنها قرية من قرى المملكة، ثم صار يطلق على التجمع السكني حول قصر الأزرق (ازرق الدروز) ، واما التجمع السكني حول برك المياه والقياسي في الجنوب (ازرق الشيشان).
في سنة ١٩٦٢ تم تشكيل مجلس قروي في الأزرق الشمالي ، ثم تحول إلى بلدية الأزرق سنة ١٩٩٤ .

في سنة ١٩٦٨ تم تشكيل مجلس قروي في الأزرق الجنوبي ، وهناك مطالبات لتطويره إلى بلدية.كما ان هناك محولات لدمج الأزرقين معا في بلدية واحدة.
في السبعينات تم استحداث ناحية الأزرق ، ثم أطلق على ازرق الدروز اسم الأزرق الشمالي، واطلق على أزرق الشيشان الأزرق الجنوبي.
في سنة ١٩٧٥ تم شق الطرق الدولية وربط الأزرق مع الحدود السورية شمالا والعراقية شرقا والسعودية جنوبا.
في عام ١٩٩٧ تم تطوير ناحية الأزرق إلى قضاء،وهي جزء من محافظة الزرقاء. والأزرق هي مقر لقيادة مقاطعة البادية الأردنية التي تتولى حماية تلك الجهة وفض المشاكل فيها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القيـــــادات المحليـــــة:

القيادات المحلية في الأزرق الشمالي هي :

المجلس البلدي: الذي يتكون من رئيس وأعضاء المجلس.

المخاتير: مختار بني معروف(الدروز) .مختار عشيرة الزيادية.

جمعية الأزرق التعاونية:المكونة من رئيس وأعضاء لجنة الادارة ، ورئيس واعضـــاء لجنـــة المراقبة، ومدير الجمعية التعاوني.

جمعية الأزرق للتنمية الاجتماعية : هناك فرع للاناث وفرع للذكور.

جمعية سيدات الأزرق التعاونية.

نادي شباب الأزرق الرياضي/ذكور.

القيادات المحلية في الأزرق الجنوبي:

المجلس القروي: رئيس وأعضاء المجلس .

المخاتير: مختار عشيرة الشيشان .

مختار عشيرة بني صخر

مختار عشيرة الحويطات.

جمعية واصدقاء واحة الأزرق: رئيس واعضاء مجلس الادارة .

جمعية الأزرق الجنوبي التعاونية للاسماك: رئيس واعضاء مجلس الادارة.

جمعية الأزرق لتنمية الثروة الحيوانية: رئيس واعضاء مجلس الادارة.

الجمعية الخيرية الشيشانية: رئيس واعضاء مجلس الادارة.

جمعية سيدات الأزرق الجنوبي للتنمية الاجتماعية: رئيس واعضاء مجلس الادارة.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الرابع

النسق الاقتصادي للأزرق

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يطلق الباحث Steward مصطلح لب الثقافة (Culture core) على عناصر الثقافة الأساسية ذات الصلة الوثيقة بعملية استغلال الموارد المتاحة للمجتمع من اجل المحافظة على البقاء كالوسائل التكنولوجية والتنظيمات الاقتصادية، وأية عناصر ثقافية أخرى تكون لها نفس هذه الصلة الوثيقة، أما العناصر الثقافية الأخرى فانه يسميها عناصر ثانوية، وهي التي تساعد على إضفاء مظهر التمايز بين الثقافات التي تتماثل من حيث لبها الثقافي (إبراهيم & الشنواني، ١٩٨٨: ٧٠).

يوضح لنا مصطلح لب الثقافة أهمية النسق الاقتصادي وارتباطه الوثيق بالموارد البيئية وبعملية استغلال هذه الموارد ، وتمتاز الأزرق بكثرة وتنوع الانشطة الاقتصادية بسبب كثرة وتنوع الموارد البيئية، وقد ساهم في إثراء هذه الانشطة وجود منطقتين أيكولوجيتين؛ فالأولى هي بيئة الواحة الرطبة والثانية هي بيئة الصحراء الجافة، ولكل منطقة أيكولوجية مواردها الطبيعية الخاصة ، وتمتاز أيضا بتفرد الانشطة الاقتصادية وتميزها، إذ تتشابه معظم القرى في الأردن في الاعتماد على زراعة القمح والزيتون كنشاط اقتصادي مألوف، أما الأزرق ففيها انشطة اقتصادية متعددة وهي:-

الرعي وتربية الحيوانات

- ***الإبل:-***

يعتبر الرعي أقدم نشاط اقتصادي في الأزرق، إذ ان طبيعة المنطقة الصحراوية ووجود نمط الحياة القبلية جعلا الأزرق منطقة رعي ممتازة، لقد أسهبت مسبقا في سرد الوضع السابق للمنطقة وسيطرة القبائل العربية على وادي السرحان بما فيه الأزرق وأهمية ينابيع المياه لهذا النمط الاقتصادي، ولقد ظل رعي الإبل هو النمط السائد في الأزرق ما بعد النصف الأول من هذا القرن، أما الان فان تربية الإبل أصبحت مجدا غابرا وسرعان ما بدأ هذا النشاط بالاضمحلال لعدة أسباب منها:

- انهيار الإمبراطورية العثمانية، وخضوع الدول العربية للاستعمار الأوروبي .
- وترسيم الحدود بين الدول العربية، مما أدى إلى فقدان خاصية الاتساع الجغرافي اللازم للتنقل في قطعان الإبل .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- انخراط أبناء البادية في الجيش وإقبالهم على التعليم في الأردن والدول العربية المجاورة.
- تشجيع الدول العربية على توطين البدو واستقرارهم ومنع الغارات.
- استخدام الآليات المختلفة، من سيارات وبكبات وشاحنات ومختلف الآليات ذات الدفع على العجلات الأربع.
- الجفاف الذي حل في العشرينات والخمسينات وأدى إلى نفوق كثير من الحيوانات مما جعل الكثيرين من البدو يصرفون النظر عن تربية الإبل.
- التغيرات التي أحدثها النفط في الدول العربية التي كانت تعتمد على انشطة الرعي.

كل هذه العوامل ساعدت في انحسار رعي الإبل عما كان عليه في الماضي، وقد وضح Lewis في دراسته السالفة الذكر عن وجود هذا النشاط الاقتصادي في منطقة الأزرق لفترة السبعينات ، ويوضح أيضا بعض الأسباب التي أدت إلى انحسار هذا النمط وأهمها الجفاف والظروف السياسية والتطورات الاقتصادية. وقد أخبرني أحد أفراد الحويطات في الأزرق ان (**كل بيت كان لدية عدد وافر من الإبل فقد كان الشخص العادي يمتلك حوالي١٥٠-٢٠٠ رأس من الإبل ، أما الان فان اقتناء الإبل اصبح قليلا، فتجد عند البيت حوالي ١٠-١٥ راس، وقد كان البعير الجيد يساوي حوالي ٧٠٠ دينار. وكنا نرحل بين كل البلدان العربية بسهولة**) .

في السبعينات لم يعد باستطاعة رعاة الإبل التحرك عبر الحدود السعودية بسهولة، وساهم استخدام السيارات والآليات في جعل الناس تستبدل الأغنام بالإبل ، وذلك لسهولة تربية الأغنام إذ ان الإبل تحتاج لمسافات شاسعة وهذه المسافات أصبحت محصورة بسبب الحدود بين الدول العربية، والجمال سريعة المشي تحتاج إلى من يلاحقها ويعتني بها وتحتاج إلى مراعي ومياه والجمل لا يعلف، والناقة تلد كل ١٢ شهرا في حين تلد الأغنام كل ستة أشهر، ولم تقم الدولة بحساب الإبل ضمن الثروة الحيوانية، كذلك فان استخدام الإبل كوسيلة مواصلات خصوصا في الصحراء كان لها أهمية قصوى في السابق ولكن دخول الآليات على اختلاف انواعها، جعل البدو يتحركون بسهولة ويسر داخل الصحراء دون الحاجة للإبل.

كان البدو يقضون الصيف في مناطق يقال لها (الديرة)، مثل سهول الرمثا، اربد ، حوران، هضبة الجولان، يتذكر أحد وجوه السرحان في الأزرق عندما كان صغيرا، بان قومه كانوا ينزلون غربي بحيرة طبرية وكانوا يرجدون الإبل للفلاحين (أي يؤجرونها)، فقد كان الفلاحون يقومون باستئجار الإبل من البدو ويستخدموها في نقل محصول القمح من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحصيدة إلى البيدر، وكان البدو يتقاضون بدل الأجرة حمل الجمل قمحا، وفي أحيان كثيرة كان يتم تبادل الملح بالقمح، كان البدو يحضرون الملح من القريات أو(قرى الملح) في شمال الجزيرة العربية ثم اصبحوا يحضرونه من الأزرق. أما في الشتاء فقد كان البدو ينزلون علدة في الشعبان (الشعاب)، كل ٤-٥ بيوت شعر تنزل في واد معين، وكانوا يشترون مؤونة الشتاء التي تتألف من حوالي عشر شوالات طحين من الكرك ومأدبا وعمان، وعادة ما يكون قسم من الإبل حلابات فتزودهم بالحليب، كان الطعام الأساسي الذي يعتمدون عليه هو السمن والجميد والتمر.

كان البدو ينزلون في الشتاء قرب العين البيضاء في شمال شرقي الأزرق، ولا يحبذون نزول الإبل في منطقة المستنقعات لان تربتها طينية زلقة ورخوة، فيعلق فيها البعير، وكانوا لا يفضلون ان يقيظوا في منطقة المستنقعات بسبب وجود الملاريا وبسبب وجود الذباب الاشهب(الأزرق) الذي كان يلسع الإبل والحيوانات، وكانت عين الاسد في جنوب الواحة هي المكان المفضل من قبل البدو، لقلة المستنقعات فيها.

حاليا تغيرت الصورة فقد اختفت الجمال نهائيا من واحة الأزرق، فنادرا ما ترى جملا ، ولكن من الممكن رؤية الجمال إذا اتجه المرء جنوبا باتجاه وادي الشومري، وفي الطريق إلى محمية الشومري أيضا . لم تعد للإبل أهميتها كما كانت، فقد استعاض البدو عن تربية الإبل بالإكثار من تربية الأغنام، ولكن ظهرت مؤخرا أهمية جديدة للإبل، فحليب النوق يوصف لمرضى السكري والسرطان وكثير من الناس يشترون حليب النوق للعلاج من هذه الأمراض، وهناك إقبال لا بأس به على هذا الحليب (لا أدري مدى صحة هذا الكلام من ناحية طبية)، ولكني سمعت حكايات كثيرة أثناء تواجدي بالأزرق عن أشخاص تداووا بحليب النوق وتم شفائهم، ولا يقتصر الأمر على عامة الناس بل ان كثيرا من المتعلمين يوصون بحليب الإبل لهذه الغاية، وقد قمت شخصيا بجلب بعض حليب النوق لشخص مريض بالسرطان .

ان ما يزيد من أهمية هذا الحليب عند طالبيه، هو ان الإبل غالبا لا تعلف بل تقتات على ما يتوفر في البرية من نباتات صحراوية، وهذا الأمر يعطي الناس شعور بالأمان والثقة فهم يتناولون طعاما طبيعيا بحتا خاليا من المواد الصناعية والهرمونات وطرق التسمين المختلفة، ان ما يزيد من أهمية هذا الحليب هو الانتشار السريع والكبير لمرض السرطان وهذا بدوره يودي للإقبال الكثير عليه ويزيد من سعره فقد سمعت ان الكيلو الواحد من حليب النوق قد بلغ عشرون دينارا، ولكن معظم البدو في الأزرق يعطون حليب النوق لمن يلزمه دون مقابل، ويصف البدو حليب النوق للمرضى بخلط قليل من بول الناقة مع الحليب، ويشربه المريض لمدة ثلاثة اشهر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

▫ الأغنام:-

لقد كان الدروز في السابق يحضرون من جبل العرب إلى واحة الأزرق لرعي أغنامهم في سنين الجفاف وفي أواخر الصيف، وعندما سكنوا بالأزرق استمروا بتربية الأغنام إلى جانب تربيتهم للأبقار، وظل هذا الوضع مستمرا لغاية السبعينات حيث اختفت تربية الأغنام عند الدروز بسبب الاعتماد على استخراج وتصنيع الملح، والاستفادة من شق الطرق الدولية، وقلة المراعي، ونفس الظروف التي أدت إلى تلاشي تربية الأبقار والجواميس أدت أيضا إلى تلاشي تربية الأغنام عند الدروز. أما الشيشان فلم يقوموا بتربية الأغنام لأنهم لم يعتادوا هذا النشاط الاقتصادي في القوقاز موطنهم الأصلي، واكتفوا في الأزرق بتربية الأبقار والجواميس. وأما البدو فقد شكلت تربية الأغنام العمود الفقري لمعيشتهم، فهي من أقدم الأنشطة الاقتصادية التي اعتمد عليه الإنسان في بقائه، ومن أهم الأنشطة الاقتصادية التي يعتمد عليه البدو في إقليم البادية الشرقية، وازدادت أهميتها بعد اضمحلال تربية الجمال.

مرت تربية الأغنام بتغيرات كثيرة خلال الخمسين سنة السابقة، فقد كان الاعتماد الأساسي للقبائل الرحل سواء قبائل عنزة أو بني صخر أو السرحان على تربية الإبل كنشاط اقتصادي أساسي، وتعتبر الأسباب التي أدت إلى اضمحلال تربية الإبل هي نفس الأسباب التي أدت إلى التوجه و الزيادة في تربية الأغنام، وقد كان ترسيم الحدود بين الدول العربية عائقا أساسيا في تربية الإبل التي تحتاج إلى أراض وأقاليم واسعة، بالإضافة للجفاف الذي حل بهم في العشرينات والخمسينات وجعلهم يلجئون إلى تربية الأغنام كبديل عن الإبل إذ ان حجم الخسائر فيها أقل، وساعدهم في ذلك توافر الآليات بأنواعها مما سهل في عملية الترحال والتنقل ضمن المناطق التي يسمح لهم بالتحرك فيها، فالأغنام لا تحتاج لأراض وأقاليم واسعة للتحرك فيها، كما وان توفر الأعلاف شجع على تربية الأغنام فلم يعد الاعتماد الأساسي على ما توفره الطبيعة من كلأ، ومشكلة المياه والجفاف وجدت حلا فصار يوجد أمام كل بيت شعر خزان مياه (تنك) تحسبا للجفاف وشح المياه، ان توفر خزان المياه والعلف جعل البدوي يشعر بالأمان اكثر وقل اعتماده الكامل على ما تمنحه البيئة من مياه وعشب ، ووجد حلولا لأوقات الجفاف وشح المياه في الصحراء وما حولها .

كل هذا أدى إلى اقتناء المزيد من القطعان في الآونة الأخيرة بشكل لم يكن مألوفا من قبل، وقد تسببت هذه القطعان بظهور مشكلة الرعي الجائر Over Grassing ويعرف الرعي الجائر أو المفرط بأنه (تحميل المرعى بأعداد كبيرة من الحيوانات، أو بأنواع معينة من الحيوانات لا تتفق وطبيعة وطاقة المرعى(عبد المقصود ، ١٩٩٧: ١٥٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعرضت مناطق المراعي إلي تعاقب بيئيEcological Succession، ويعرف التعاقب البيئي على انه (**عملية التبدل أو التغير من نوعية كائنات حية إلى نوعية أخرى في نفس المنطقة بحيث تصبح أكثر تنوعا وتطورا (غرايبة & فرحان، ١٩٩٥ :٩٤)**.

ان الرعي بواسطة الحيوانات يمكن ان يوقف عملية التعاقب أو يعكسها. ومن الجدير بالذكر ان هناك فرقا بين الرعي عن طريق الحيوانات البرية والرعي الجائر التي تقوم به الحيوانات الداجنة، فالأول هو في الأساس عملية طبيعية مشابهة لأي عملية طبيعية أخرى تؤثر في تحديد اتجاه التعاقب. اما الرعي الجائر فان تدخل الإنسان وزيادته لأعداد وأنواع حيواناته الداجنة يعمل على تغيير مراحل التعاقب بصورة غير طبيعية، فيقلل من المادة العضوية مما يقلل من انتاجية التربة ويحولها إلى منطقة صحراوية غير قادرة على الانتاج (الديسي،١٩٩٧ :٢٨٣-٢٨٤).

لقد أصبحت أعداد الأغنام تفوق القدرة الإنتاجية للمراعي، وأصبحت جميع مناطق الرعي سهلة متاحة ويمكن الوصول إليها في وقت قصير ويتم نقل قطعان الماشية في آليات متعارف عليها عند البدو باسم (**حصنيات**) وهي كما قيل لي عبارة عن سيارات لها راس مرسيدس طويلة ومكشوفة من الخلف، ويتم تصنيعها في سوريا خصيصا للبدو وتصلح للقيادة في الأراضي الصحراوية غير المعبدة ولا تحتاج لمهارة في القيادة وقد تقودها النساء أحيانا ، وأصبحت الأعداد الكبيرة من الأغنام تشكل عبئا على المراعي إذ ان الأغنام تأكل الأعشاب النامية أولا بأول دون السماح للنبات بفترة نمو كافية، وقد ساعد انحسار غطاء المراعي في البادية على تفاقم هذه المشكلة ، وهناك الكثير من النباتات البرية التي تعتمد عليها الأغنام في المراعي الصحراوية ، يذكر البدو ان النبات المفضل عند الأغنام هو (**الحمض**) والحمض عدة أنواع ، فمنه القطف والقطاط وغيرها وتمتاز هذه النباتات بوجود طعم ملوحة فيها تعطي للحم مذاقا جيدا وتجعل لونه احمر، يقول أحد أفراد الحويطات (**لقد كثر اقتناء البدو للأغنام ، فكثر الحلال عند الناس وقضى على المراعي فقد كانت الأغنام في السابق ترعى لفترة طويلة، أما الان إذا رعى الغنم شهر أو شهرين فهذه نعمة ، ان السيارات هي السبب في اقتناء الغنم ، وتربية الغنم أربح واسهل من تربية الإبل ، وسهولة المواصلات جعلت البدو تكثر الحلال فكثرت الأغنام وأكلت المراعي ، واضطر البدو لشراء الأعلاف حتى في فصل الربيع ، وازدادت المشكلة عندما ارتفع سعر الأعلاف حتى ارتفع سعر الطن من ٧٠ دينار إلى ١٢٠ دينار ، وزاد الطين بلة استيراد اللحوم من الخارج وهذا نزل من سعر الحلال فهبط سعر الخروف من مائة دينار إلى أربعين دينارا أو اقل، وصار الراعي مديون لمدة سنتين**).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد تقلصت الهجرات الدورية للبدو وانحسرت في مناطق محدودة، وتعتبر منطقة الحماد التي تقع إلى الشرق من الأزرق على الحدود السعودية العراقية السورية من اهم المناطق الرعوية واخصبها، إذ تمتاز بوجود نبات الحمض والصمعة والشيح والقيصوم وغيرها، وفي السنوات ذات الانتاجية العالية للمراعي تتم هجرة بدو الوسط والجنوب إلى منطقة الحماد الاردني في فصل الربيع، وخلال هذه الرحلة يتم المرور بمنطقة(العمري والغمر والهزيم والقطافي) في شرق الأزرق وتمتاز هذه المنطقة بوجود الشجيرات الرعوية فيها مما يجعلها بيئة مناسبة للمكوث فيها في فصل الشتاء، إذ تجد الأغنام ما تأكلة، وتنتشر بيوت الشعر خصوصا في منطقة القطافي وتعود في غالبيتها لبدو الشمال، اما بدو الوسط والجنوب فانهم يعودون إلى ديارهم في الشتاء ويرجعون في الربيع.

وفي رأيي ان الهجرات الدورية السابقة للبدو كانت اكثر رأفة بالطبيعة والمراعي، فهم يتركون المناطق التي رعوا فيها لفترة ويطلبون المرعي في مناطق أخرى وعند رجوعهم إلى المناطق السابقة بعد عدة اشهر تكون هذه الفترة كافية لنمو النباتات وتفتح الأزهار وإطلاق البذور ثم نموها ، ان هذه الدورة الطبيعية حافظت على الغطاء النباتي لأجيال طويلة وحالت دون التصحر وانقراض بعض النباتات.

كان العرب في السابق يتبعون نظام الحمى وهو(**النظام المبني على الأراضي الرعوية والقبلية ويقوم على حماية مناطق معينة من المراعي القبلية الشائعة للرعي فيها في فترة محددة**)، وكان هذا النظام موجودا قبل الإسلام ومطبقا في الجزيرة العربية واليمن وعمان وسوريا والأردن، وكانت المنطقة المحمية تتضمن حقوق الرعي للأفراد والقبائل طبقا لمدى قوتها ومكانتها. ان امتلاك واستخدام هذه المناطق القبلية المحمية يتم تعزيزه بين القبائل من خلال الاتفاق والتراضي أو بالقوة إذا لزم الأمر. ونظام الحمى مرتبط بنظام قبلي معقد مثل، حركة الهجرة، والاستقرار المؤقت ، ومختلف حقوق الرعي (Mashreq and Maghreb project , 1998:13).

وتبرز أهمية نظام الحمى في المحافظة على البيئة والنباتات والشجيرات الرعوية، وفي الوقت الحالي تبرز أهمية المحميات الرعوية التي ترعاها الدولية، كاستمرار لنظام الحمى الذي كان يقوم على حقوق قبلية.

ان الآليات المختلفة وخصوصا ذات الدفع على الأربع عجلات والتي تسير بمختلف الاتجاهات دون الالتزام بطرق معينة ساهمت على سحق النباتات التي ترعاها الماشية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خصوصا النباتات الصغيرة وحالت دون نمو البذور التي داستها العجـــلات وجعلـت تربتـها صلبة .

مسألة أخرى أدت إلى تشجيع البدو على تربية الماشية وزيادة أعدادهـــا، ألا وهـــي دعم الأعلاف لقد دعمت الحكومة في السابق أعلاف الحيوانات، فكانت أسعارها زهيدة وقـد قال لي أحد البدو مؤيدا رفع الدعم عن الأعلاف ان الأردن اصبح محطة تسـمين إذ تجلب الأغنام من السعودية والعراق ثم تسمن في الأردن ثـم تبـاع إلـى السـعودية وخصوصـا في موسم الحج وبهذا لا يستفيد الأردني من دعم الأعلاف . وقد أثرى كثير من المـهربين بتهريب الأعلاف إلى الأقطار المجاورة . منذ بضع سنوات قامت الحكومة برفع الدعم عـن الأعلاف ، وهذا الأمر سبب مشكلة كبيرة لأصحاب الماشية ، فالمراعي لم تعد كمـا كـانت في السابق والتصحر في البادية في تزايد، ثم كانت حرب الخليج التي ألقـت بظلالـها علـى المنطقة لتشكل عبئا إضافيا على أصحاب المواشي الذين عانوا من خسائر كثـيرة وصـارت الأغنام تباع بأسعار بخسة بسبب ارتفاع أسعار الأعلاف، وقد رأيت في خريف هذا العـام من يعرض نعجة مع وليدها بسعر ٣٥ دينار فقط ، وقد اضطر البعض لبيع النعاج للجزاريـن وفي العادة لا تباع النعاج للذبح. ان كل هذه الأسباب جعلت تربية الأغنـام مكلفـة، فتكلفـة علف الأغنام لا تعوض عند البيع مما شكل خسارة لأصحاب الماشية فصاروا يحاولون تقليـل أعداد الماشية التي يمتلكونها إما بالبيع أو الذبح .

ان كل هذه الصعوبات جعلت البدو يرجعون للاعتماد على المراعي بقوة اكثر بسـبب غلاء الأعلاف، وتكون هذه المشكلة على أشدها في آخر الخريف وأول الشتاء ، وقد سـمعت في العام الماضي ان المطر قد هطل بعد ذلك فتوجه عدد من أصحاب الماشـية إلـى منطقـة الرويشد بالقرب من الحدود العراقية طلبا للمرعى، ان نزول بعض زخات المطر يرفع سـعر الأغنام إلى الضعف إذ يستبشر البدو خيرا بمجيء ربيع اخضـر وموسـم خـير فيتمسـكون بأغنامهم وهذا ما يرفع سعرها أو فلنقل يجعل السعر في حدوده المنطقية .

لقد كان هذا العام (٩٩/٩٨) سيئا بسبب عدم هطول الأمطار، وقد تحدثت مـع أحـد أصحاب المواشي في شهر شباط وكان مستاء ومتشائما بسبب تأخر هطول الأمطار لغاية هـذا الوقت إذ لا ربيع ولا عشب ترعاه الماشية ، وقال حتى لو أمطرت الآن فليس لهذا أي فـائدة لان النباتات في الصحراء لها وقت معين لتنبت فيه البذور ، فإذا انقضى ذلـك الوقـت ولـم تمطر وفات أوانها فانها لا تنبت في تلك السنة ، وكل هذا بالطبع ينذر بموسم سيئ . ويعـد الجفاف من اكثر المشاكل التي تواجه رعاة الأغنام ، بالإضافة إلى ارتفاع أسعار العلف ممـا يزيد من كلفة تربية الأغنام ، بالإضافة إلى التصحر المتزايد في تلك المنطقة ، فصار كثـير من البدو يرون ان الوظائف والانخراط في الجيش آمن من تربية الماشـية أو كمـا يقولـون

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(مطاردة الحلال)، وصاروا يتجهون اكثر نحو تعليم أبنائهم لان تربية الحلال في نظرهم لم تعد مجدية ، وهناك بعض البدو ممن له زوجتين ، يتنقل هو وإحدى زوجاته وبعض أبنائه البالغين ممن فاتهم التعليم في تربية الحلال، وأما زوجته الثانية فتظل هي وأبنائها الذين يذهبون إلى المدارس في الأزرق، وكثير من هذه الأسر تسكن في خيام في منطقة ما بين الأزرقين.

كل هذه الصعوبات والخسائر التي يعاني منها الكثيرين من أصحاب الماشية، جعلت البدو يميلون للعمل في الوظائف والانخراط في الجيش بالرغم من معرفتهم ان هذه الأعمال رواتبها محدودة، ولكنها توفر لهم الأمن والاستقرار وتحميهم من الخسائر المتوقعة بسبب التذبذب الشديد في أسعار الماشية، ان كل هذه الصعوبات البيئية والاقتصادية تؤثر سلبا على نشاط اقتصادي مهم يؤمن ثروة قومية من الألبان ومشتقاتها بالإضافة إلى اللحوم التي تقوم الدولة باستيراد الكثير منها سنويا، وصار هذا النشاط الاقتصادي بالرغم من قدم تاريخه مهدد مثل كثير من الانشطة السابقة.

وقد كان هذا العام ٩٩/٩٨ سيئا أيضا بسبب القحط والجفاف فقد تأخر هطول الأمطار حتى أوائل الربيع، وكان هطول الأمطار شحيحا، وأثناء كتابتي لهذا البحث علمت ان هناك تعدادا للمواشي في الأردن قامت به دائرة الإحصاءات العامة، وقد أثار هذا التعداد ضجة كبيرة بسبب عدم معقوليته وضخامة الرقم، إذ كانت نتيجة التعداد للمواشي في الأردن (٦) ستة ملايين راس من الماشية وقد قال لي أحد أصحاب المواشي في الأزرق (**ان هذا الرقم مضحك فعدد الماشية في الأردن ضعف عدد السكان، وعلى هذا يجب ان يكون كيلو اللحم نصف بدينار، وكل هذا بسبب المحسوبيات والواسطات فمن يملك مائة راس يسجل له انه يمتلك ألف راس وهناك ممن لا يمتلكون مواشي وسجل لهم في التعداد انهم يمتلكون مواشي وذلك طمعا في الدعم الذي وعدت به الحكومة لأصحاب المواشي بإعطائهم قروض بدون فوائد**).

لقد كان أصحاب الماشية في انتظار تلك القروض ولكن نتيجة التعداد الفاشلة أثرت عليهم سلبا فتسببت في تأخير إجراءات الحكومة بتقديم الدعم، وكل هذا ألحق ضررا كبيرا بأصحاب المواشي وبالثروة الحيوانية وخصوصا في منطقة الأزرق، إذ يعتبر نشاط الرعي وتربية الأغنام من أهم الانشطة الاقتصادية التي يعتمد عليها البدو في معيشتهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتضح لي مما سبق ان البدوي لم يعد واقعا تحت رحمة ما تجود به الطبيعة فحسب، ولكنه وقع تحت رحمة الأعلاف والسوق.

ولم يعد التصاقه بالبيئة كما كان في السابق بل اصبح اكثر تحررا من قيود البيئة، ولكنه صار مقيدا للأوضاع الاقتصادية في الأردن والبلدان والمجاورة.

▫ الجواميس والأبقار

لم تتواجد الجواميس والأبقار في الأزرق إلا بعد نشوء القرى واستقرار السكان في الثلاثينات من هذا القرن، فقد قام الدروز بإحضار أبقارهم وحميرهم وأغنامهم من جبل العرب(الدروز)، إذ ان الزراعة وتربية الأغنام والأبقار هي النشاط الاقتصادي السائد عند الدروز في جبل العرب، كانت الحمير والخيل هي وسائل التنقل المستخدمة، أما الأبقار فقد كانت المصدر الأساسي للغذاء من لحوم وألبان ومشتقاتها. وقد حدثني أحد شيوخ الدروز ان **(كل بيت كان يمتلك من ١٠-٢٠ راس من البقر البلدي ، وكانت الأبقار تسرح وتعود وحدها لصاحبها دون ان تكلفه شيئا بالإضافة إلى وجود الأغنام، كان عندي ٣٠ رأسا من البقر، بعت بعضه ومات بعضة وفي سنة ١٩٨٧انتهى من عندي كل القطيع).**

ذكر Nelson في السبعينات، ان الثروة الحيوانية ذات أهمية في قرية الدروز ويقدر عدد الحيوانات في منطقة المستنقعات بمائة بقرة وخمسين حمارا وحوالي عشرين حصانا وخمسين جاموسة ، وجميع هذه الحيوانات ترعى في منطقة المستنقعات ما عدا الخراف فانها ترعى ضمن حدود القرية، ان قطعان الأبقار والخراف توفر الحليب واللبن للسكان ولجيرانهم، ولا يوجد في قرية الدروز ملحمة (Nelson, 1975: 57-58).

بالنسبة للشيشان فان الأمر مختلف فقد اعتادوا على تربية الجواميس في القوقاز، ولم يكن يوجد في الأزرق جواميس من قبل، لذلك قاموا بجلب الجواميس إلى الأزرق من بحيرة الحولة في فلسطين وجلبوا الأبقار من منطقة حوران وعجلون والبلقاء وذلك في الثلاثينات من هذا القرن، وجلبوا الحمير من فلسطين في الخمسينات، أما الخيول فقد حضر الشيشان للأزرق على خيولهم التي جلبوها من القوقاز. تمتاز الجواميس بانها تحتاج إلى السباحة في البرك والمستنقعات، وإذا لم تدخل الماء كل يوم فان جلدها يجف ويتيبس وتكون معرضة للموت.

ذكر Nelson ان الفلاحين الشيشان لديهم أعداد كبيرة من الأبقار والحمير والجواميس ترعى جميعها في المستنقعات التي في قاع الأزرق وتعتبر الجواميس هي الأكثر عددا .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والحليب متوافر بكثرة ومعظم السكان يفضلون حليب الجواميس على حليب الأبقار، ان توفر المياه والحرارة جعل الأزرق مكانا مناسبا لتربية هذه الحيوانات(Nelson, 1957: 61-62) .

حدثني أحد وجوه الشيشان السيد أبو ميرزا عن النشاط الاقتصادي كان سائدا من خلال سرد لنشاط يومي يقول : (كان والدي يصلي الفجر مع أسرته ثم يأخذ أكبر أبنائه إلى منطقة برك الماء المسماة بالدشة أو (البصة) وذلك لتأمين مصدر غذاء للعجول والجواميس، وكان يأخذ معه الأدوات اللازمة لإحضار العشب من منجل وشعوب، ان العشب المفضل للجواميس هو ما يدعى (أبو سبلة)، كنا نقضي ثلث النهار في نقل العشب من الدشة إلى البيت، وكنت احمل العشب واضعه في العربة وأرسله للبيت ثم أعود إلى الدشة، ويكون والدي أثناء ذلك قد جهز النقلة الثانية لأرسلها إلى البيت وهكذا، بالإضافة إلى جلب الحطب للمنزل، بعد الغداء كانت والدي يمر على البستان ليسقي الأشجار بالدلو من البئر الذي كان على عمق متر أو متر ونصف.

أما بالنسبة لعمل المرأة فقد كانت أمي تقوم بعد صلاة الفجر بحلب الجواميس وكان هذا العمل يستغرق ساعة أو ساعتين، ثم تقوم بإطلاق سراح الجواميس والأبقار لتسرح إلى الدشة، فقد كانت الجواميس تذهب وتعود لوحدها من الدشة ، ثم كانت تقوم بعلف العجول الصغيرة وتأمين ماء للشرب، ثم تقوم بفرش العشب الذي جلبته على ارض الحظيرة حتى لا يتعفن، وكان يجفف الكثير من العشب حتى يستخدم كعلف للحيوانات في الشتاء، بعد ذلك كانت تقوم بتحضير الغداء، وتجهيز الطين لتطيين أرضية المنزل ورش البيت بالماء . كان حليب الجواميس يستخدم فور حلبه كطعام أساسي في الفطور، ويصنع منه أيضا اللبن واللبنة والجبن، يمتاز حليب الجاموس بدسمه، وتستخرج منه القشطة).

وهناك أمثلة على وجود تكامل اقتصادي كان يسود الأزرق انذاك فقد حدث ان الناس في شرقي الشارع كانوا يربون الجواميس وفي غربي الشارع فقد كانوا يربون الأبقار. كانت الجواميس تلد في شهري أيلول وتشرين الأول ، فتعطي حليبا في أول الخريف والشتاء ويستمر ذلك لمدة أربعة شهور، أما الأبقار فكانت تلد في فصل الربيع وتعطي حليبا في الصيف، وكان الناس يعطي بعضهم بعضا فيظل الحليب متواجدا على مدار السنة ولا ينقطع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من المنطقة، بالإضافة إلى الألبان التي تنتجها الأغنام، ولقد كانت الأزرق لفترة قريبة تشتهر بانها اكبر مركز لانتاج الألبان في الأردن.

اهتم الشيشان بتربية الجواميس فكان أي ضيف يأتي إليهم، تقدم له مائدة كاملة من مشتقات الألبان، كان الشيشان يمتلكون ثروة حيوانية جيدة ويقومون ببيع العجول الصغيرة للجزارين، ولم تكن الجواميس تكلف صاحبها شيئا فالأعشاب والعلف متوافر في الطبيعة وكذلك المياه التي كانت تتوافر في منطقة الدشة، والعامل الأساسي في تربية الجواميس هو ان الجواميس ليست بحاجة لراع يقوم برعايتها فكانت تذهب وتعود من الدشة لوحدها.

أما الان فلا توجد جواميس ولا أبقار ولا خيول، في الثمانينات أهملت الجواميس والخيول وصارت برية تسرح في الدشة ولا يهتم بها أحد، ومعظم الجواميس والخيول سرق أو مات حتى اختفت من منطقة البرك نهائيا، كان آخر تواجد للجواميس في الأزرق قبل أربع سنوات.

لقد كان للجواميس التي تطلق إلى الدشة أهمية بيئية بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية، فقد كانت تقوم بعمل ممرات طبيعية في مناطق سيرها عبر نبات الحلفا والقصيب التي تكثر في منطقة المستنقعات بالدشة فتمنع تكاثف وتشابك النباتات، إذ ان وجود النباتات بشكل كثيف يسبب كثرة الحرائق وسرعة انتشارها وصعوبة السيطرة عليها. وكان الصيادون في السابق يستخدمون هذه الممرات . ولقد تعرضت منطقة الدشة في آذار سنة ١٩٩٨ إلى حريق أدى إلى احتراق كثير من النباتات التي كان معظمها جافا، وقد سمعت من الناس هناك ان رائحة الحريق يمكن ان تشمها على مسافات بعيدة، وبالرغم من إطفاء الحريق فقد ظلت الجذور في الدشة(المحمية المائية حاليا) تحترق ببطء وتخرج أدخنة إذ ان جذور الحلفا عميقة في الأرض، وقد قال لي أحدهم ان التراب وكأنه يحترق. ان هذا الحريق كان له أهمية في التسريع بتوطين الجواميس داخل المحمية المائية لكونها عاملا مهما في منع تكاثف النباتات مثل الحلفا من خلال شق ممرات طبيعية، وقد قامت الجمعية الملكية لحماية الطبيعة بشراء آخر الجواميس التي تتواجد في أحد بيوت الشيشان، وعددها أربعة جواميس وإيداعها في البرك الموجودة في المحمية.

ان تلاشي الجواميس في الأزرق له عدة أسباب فقد كان شق الطريق الدولي المودي إلى السعودية في السبعينات يشكل عائقا لمرور الجواميس التي كانت تتجه إلى الدشة، إذ تمر عبره مختلف السيارات والشاحنات، والعامل الأهم هو انحسار المياه من الواحة بسبب الضخ الجائر من الأزرق لمدن عمان والزرقاء التي يتزايد سكانها، مما أدى إلى جفاف البرك وانحسار الغطاء النباتي التي تعتمد عليها الجواميس والأبقار، بالإضافة إلى اعتماد السكان

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على مصنع الملح الذي كان في مرحلة ازدهار، بالإضافة إلى الازدهار الذي رافق استخراج النفط في دول الخليج واثر إيجابيا على الدول المجاورة كالأردن.

أما بالنسبة لتربية الأبقار في الأزرق الشمالي فقد تعرضت لنفس المصير، إذ ان الأبقار كانت تذهب إلى البرك وتعود لوحدها ولكن شق الطريق الدول المؤدي إلى العراق، وجفاف البرك والينابيع التي تعرضت للجفاف قبل ينابيع الأزرق الجنوبي، واعتماد الدروز الكبير على مصنع الملح الذي كان في أوج ازدهاره، كل هذا كان من الاسباب التي أدت لاختفاء تربية الأبقار لديهم.

نستنتج بالإضافة إلى الأسباب البيئية السالفة الذكر ان عدم اهتمام السكان في الأزرقين بتربية الجواميس والأبقار، كان بسبب ظهور بدائل اقتصادية توفر للسكان موارد رزق جيدة ولا تحتاج لعبء تربية الحيوانات، فقد كان مصنع الملح يوفر عملا ودخلا جيدا لشتى الأسباب، وافتتاح الطريق الدولي المؤدي إلى السعودية والعراق في السبعينات جعل المنطقة تمر بفترة رخاء لم تشهدها من قبل، بالإضافة إلى تأثير ظهور البترول في العراق والسعودية ودول الخليج، أما العامل الأهم فهو نزوح الفلسطينيين واستقرارهم في عمان والزرقاء وغيرها، فقد تسببوا في زيادة ديموغرافية كبيرة ومفاجئة، فاحتاجوا إلى بيوت للسكن وأراض للزراعة، كل هذا جعل أسعار الأراضي تقفز بشكل ملحوظ في هذه المدن وغيرها من المدن، فتحول الشيشان من مجتمع رعي وزراعة إلى ملاكين يتقاضون الإيجارات من المحلات التي يمتلكونها على الشارع الرئيسي المؤدي للسعودية بالإضافة إلى بيع الأراضي. معظمهم الان يعمل في الوظائف المختلفة وفي الجيش وعدد قليل منهم يعمل في الزراعة.

وتحول الدروز عن تربية الحيوانات والزراعة لنفس الأسباب، ويعتبر انشاء مصنع الملح هو العامل الأساسي في هذا التحول فمعظم سكان الأزرق الشمالي يعمل في استخراج الملح أو العمل في مصنع الملح.

الزراعة

كانت الزراعة في الأزرق محصورة في شكل حواكير وحدائق منزلية تزرع فيها بعض أشجار الفاكهة وبعض الخضار بالإضافة إلى شجر النخيل. وكانت الزراعة تعتمد على طرق الري اليدوي من الآبار التي كانت متواجدة بالقرب من السطح وذلك لوفرة المنطقة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالمياه في تلك الفترة. ان حاجة النباتات للري في الصيف تـزداد بسـبب درجـات الحـرارة العالية، واستخدام الري اليدوي يجعل الزراعة محصورة في نطاق المزارع المنزلية، ولكـن استخدام الري بالمضخات في الزراعة زاد في رقعة المساحات المزروعة وأدى إلـى تطـور الزراعة المنزلية إلى انتاجية اقتصادية.

في **الخمسينات** بدأ استخدام المضخات التي أدت إلى زيادة الرقعة الزراعية وتحسين مستوى الزراعة وأدى إلى تطور الزراعة المنزلية إلى زراعة ذات طبيعة انتاجية اقتصادية، ولكنـها بالرغم من ذلك ظلت على مستوى نطاق ضيق.

وفي **الخمسينات** أيضا حضر بعض اللاجئين من فلسطين على اثر نكبة فلسطين سـنة ١٩٤٨ وجاء بعضهم إلى الأزرق وقاموا بإنشاء البساتين وزراعة الأشجار والخضروات، ولكن عـدد هؤلاء لم يكن كبيرا ولكنهم قاموا بإدخال أصناف جديدة من المحاصيل إلى الأزرق.

ان اكبر تحول في الزراعة كان بعد **احتلال فلسطين** عام ١٩٦٧ ، فقد أدى احتلال الضفـة الغربية الى حدوث تحولات سياسية جديدة في المنطقة وظهور حركات المقاومة الفلسـطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي، وصارت منطقة الأغوار تتعرض للاعتداءات المتكررة مـن قبـل إسرائيل، لذلك هاجر بعض المزارعين ممن جاءوا من فلسطين وعملوا في الزراعـة فـي منطقة الأغوار بالقرب من نهر الأردن بسبب عدم الشعور بالأمن والاسـتقرار إلـى عـدة مناطق مثل الزرقاء والأزرق، وقاموا بحفر الآبار الارتوازية العميقـة وبانشـاء المـزارع الكبيرة والحديثة في مناطق شرق الأزرق منها منطقة (**الدغيلة**)، وظهر نوع جديـد مـن الزراعة في الأزرق وهو نمط الزراعة الاقتصادية وقاموا بتصدير انواع من المنتجات إلـى مختلف الدول وكان من أهم هذه المحاصيل الشمام.

في **السبعينات** ظهرت المزارع الكبيرة ومنها المزارع الواقعة في شـرق الأزرق الشـمالي التي تدعى بالعين البيضاء وأدى هذا إلى تطور نوعي وكمي كبير فـي الزراعـة ، وفـي **السبعينات** أول بدأت عمليات الاستيراد والتصدير إلى الأسواق المحلية والدولية وقـد كـان الشمام من انواع الصادرات إلى أوروبا.

وفي **الثمانينات** ظهرت مزارع في جنوبي الأزرق الجنوبي وفـي المنطقـة الواقعـة بيـن الأزرقين ، وقد أدى حفر الآبار الارتوازيـة العميقـة الـى تطـور الزراعـة وتقدمـها اكثر ، ولكن الزراعة بدأت بالتدهور بعد ضخ المياه لمدينة عمان والزرقاء فـارتفعت نسـبة الملوحة في الآبار السطحية والعميقة. وهذا اثر سلبا على المزارع وأدى إلى تدهور المزارع.

في **التسعينات** وبعد **حرب الخليج** حدث تغيير كبير في الزراعة ونقلة نوعية وكمية جديـدة، فقد قدم إلى المنطقة بعض المستثمرين الذين جاءوا من الكويت والسعودية وأقاموا مشـاريع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زراعية ضخمة، فظهرت المزارع الضخمة التي تقوم على استخدام احدث الأساليب والآلات في الزراعة، وقد ازداد مساحة الرقعة الزراعية شمال شرق الأزرق والتي تعود ملكيتها لأشخاص خارج الأزرق من عمان والزرقاء وغيرها، أما أهل الأزرق فليسوا ملاكين لمزارع كبيرة، فاكبر مزرعة لأهل الأزرق لا تتجاوز مساحتها ١٠٠ دونم.

يتم ري المزروعات والأشجار في الأزرق عن طريق استخدام المياه الجوفية إذ تعتبر هي المصدر الرئيسي لمياه الري نظرا لقلة هطول الأمطار وجفاف ينابيع المياه ويتم الحصول على المياه الجوفية من خلال حفر الآبار وهي أما آبار ارتوازية أو آبار عادية تحفر باليد. فالآبار العادية والمحفورة يدويا غالبا ما يكون عمقها اقل من عشرين مترا أما الآبار الارتوازية فقد يصل عمقها إلى سبعين مترا.وتختلف ملوحة مياه الآبار من منطقة لأخرى.

توصلت الدراسة التي قام بها مشروع المحافظة على واحة الأزرق: إلى ان إجمالي مساحة المناطق الزراعية في منخفض الأزرق (٣٨) ألف دونم.
وان المساحة المحصولية بلغت سنة ١٩٩٤ حوالي(٢٥٢٥٠) دونم موزعة على أربعة مناطق هي : ١-الرتامة ٢-العوشق ٣-عين البيضاء ٤-الدغيلة.
النمط الزراعي المتبع في هذه المناطق يشمل الأشجار، والخضروات (أهمها الشمام والبصل والثوم)، الحبوب الشتوية (قمح وشعير)ومحاصيل علفية مثل الفصة (مشروع المحافظة على واحة الأزرق : المشروع الفرعي للتنمية الزراعية في حوض الأزرق : ١٩٩٦، ٣-٥).
شكلت واحة الأزرق في العقود القليلة الماضية هدفا زراعيا وجذبا لرؤوس الأموال الزراعية وذلك لعدة أرضية منها:-

أولا : توفر المياه في مناطق منخفض الأزرق، حيث تتسرب إليها المياه السطحية والجوفية من المناطق المجاورة ومن الاتجاهات الأربعة والتي تقدر بحوالي ٥٠ مليون متر مكعب من الماء سنويا. ويعتبر جبل العرب في سوريا المصدر الرئيسي لهذه المياه.

ثانيا : توفر الأراضي وبأسعار زهيدة وبشروط ميسرة وعدم تشدد الدولة في تطبيق سياسة ناجعة وحازمة في إدارة الأراضي المملوكة للخزينة.

ثالثا : التوقعات المستقبلية لأهمية الأزرق بعد شق الطرق السريعة وما يعنيه ذلك من إضفاء للأهمية على المنطقة كبعد استراتيجي وتجاري وكذلك لما يعنيه ذلك من تقريب للمسافات و تيسير للنقل من و إلى الأزرق. كذلك لعب عدم وضوح السياسة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العامة للدول دورا " بارزا " في تزايد الطلب على أراضي الأزرق وزراعتها بـالرغم" من ملوحتها.

رابعا : الموقع الجغرافي لواحة الأزرق، حيث يتوسط الدول العربيـة المجـاورة ويعتـبر معبرا لها.

خامسا : كذلك لعب عدم الاستقرار السياسي في مناطق الانتاج الزراعي التقليدية كـالأغوار عاملا طاردا" للزراعة في تلك المناطق إلى مناطق جديدة ومن بينـها الأزرق وهـي الفترة التي شهدت توسعا أفقيا للزراعة في الأردن بشكل عام لقد أدى الضخ المـتزايد للمياه من حوض الأزرق إلى تدهور في نوعية مياه الري. وقد ظهرت في العديد مـن المواقع ضمن حوض الأزرق حالات التملح وما يرافق ذلـك مـن مشـاكل بيئيـة وزراعية وخسائر في الممتلكات والاستثمارات، يضاف إلى ذلك ما لحـق بـالحوض من تدهور في قيمته السياحية بعد ان هجرته الطيور المهاجرة وعلـى اثـر التطـور المشوه لاقتصاد المنطقة وفي غياب سياسة تنمية واضحة ومتكاملة وفي ظل عشـوائية الاستثمار.

لم تكن الواحة كوحدة اقتصادية بيئية متميزة هي الخاسر الوحيد وانما المستثمرون انفسهم بعد ان تهددت زراعاتهم بالفناء على اثر تزايد مشكلة الملوحة وانخفاض منسوب المياه الجوفيـة وبالتالي لارتفاع تكاليف الحصول عليها وتدني نوعيتها.

المناطق الزراعية في حوض الأزرق :-

١- منطقة الرتامة : وتشمل حوض الرتامة وبرك السمك وهي تضم المنطقة الواقعة فـي جنوب الأزرق الشمالي بما فيها نبع العورة في الأزرق الشمالي ونبـع القيسـية فـي الأزرق الجنوبي وهي المنطقة الأقل انخفاضا في حوض الأزرق بعد منطقـة الدشـة وقد ظهرت فيها الزراعة في وقت متأخر نسبيا بعد انحسار مياه الواحة وتدني مسـتوى المياه الجوفية في الحوض.

٢- منطقة العوشق : تضم هذه المنطقة الحوضين المعروفين بالعوشق الشمالي والعوشـق الجنوبي وكذلك الأراضي الزراعية المتاخمة للأزرق الشمالي باتجاه الشمال والشـمال الشرقي. يشكل العوشق الجنوبي (حوض ١٠) الجزء الأساسي فـي هـذه المنطقـة وتتركز معظم الزراعات والمساحات المزروعة فيه، ويمتد العوشق الجنوبـي مـن وادي حسان شرقا بعمق حوالي ٣كم من الجنوب والجنوب الشـرقي لـهذا الحـوض ويحاذيه الملاحات من الجنوب والجنوب الشرقي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن الواضح ان مشكلة الملوحة ذات تأثير كبير على حوض العوشق وتملح مياهـــه، خاصة الآبار السطحية أو العربية Shallow wells، كلما اتجهنا جنوبا أو جنوب شـــرق حيث الملاحات، ويتضح ذلك من حديث المزارعين وأعراض التملـــح البادية علـــى المحاصيل الزراعية، ويرجح ان يكون سببا رئيسيا وراء هجر العديد من المزارعيـــن لمزارعهم في تلك المنطقة، وكذل تظهر بعض أعراض التملح على التربة والأشـــجار من حيث التقزم والتيبس وتدني الانتاجية.

٣- <u>منطقة العين البيضاء</u> : وتمتد شرق العشق بعمق حوالي ٥ كـــم وتتنـــاثر فـــي هـــذه المنطقة المزارع وتتباعد وتنتشر هناك الكثبان الرملية، وتزداد صعوبـــة اســـتصلاح الأرض وتكاليف الإبقاء على انتاجيتها وتتزايد كذلك مخاطر الرياح المحملة بالغبـــار أحيانا وبالتالي تنخفض الان وترتفع تكاليف المحافظة على مستوى جيد للانتاج.

وبالرغم من تدني المساحة المزروعة في هـــذا الحـــوض إلا ان نسـبة المســاحات المهجورة مرتفعة ونسبة المساحات التي تظهر أعراض تدني الانتاجية تبدو واضحـــة للعيان في هذه المنطقة اكثر من غيرها ، وبالرغم من قربها نســـبيا إلـــى المنـــاطق الزراعية كحوض العوشق إلا ان المنطقة ما زالت تفتقر إلى البنية التحتية الزراعيـــة الثابتة كما هو الحال في المناطق الأخرى.

٤- <u>منطقة الدغيـــلة</u> : وهي منطقة شاسعة من حيث المساحة وتضم بالإضافة إلى الدغيلـة الجنوبي والشرقي والشمالي مناطق متاخمة أخرى مثل اصيخم. تمتد منطقـــة الدغيلـة شرق الوادي الأبيض بعمق يزيد عن الـــ ٢٠كم ويزيـــد عرضـــها، أي المســـافة الواقعة بين طرفها الجنوبي (مزارع وادي راجل) وبين طرفها الشمالي(وادي اصيخـم) عن ١٠ كم.

الحيازات الزراعية واستغلال الأرض:

يعتبر حوض الدغيلة من اكثر المناطق في منخفض الأزرق اتساعا، كذلـــك يرتفـــع متوسط حجم الحيازات الزراعية في هذه المنطقة بالمقارنة مع المنـــاطق الأخـــرى وترتفـــع الاستثمارات الرأسمالية في هذه المنطقة، وتتباعد المزارع في هـــذا الحـــوض كثـــيرا عـــن بعضها البعض مقارنة بالأحواض الأخرى في منطقة منخفض الأزرق كذلك مقارنة بالمنـــاطق المروية التقليدية في الأردن.

وبالرغم من موقع المزارع في منطقة الدغيلة والأكثر بعدا عن الخدمـــات والمنطقـــة الرطبة إلا ان بعض مزارعي هذا الحوض استطاعوا استغلال أرضهم بطريقة افضـــل مـــن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأحواض الأخرى واستطاعوا تحقيق انتاجية وكفاءة أعلى، إذ يظهر ذلك من المظهر الخارجي للأشجار ومدى العناية التي تحظى بها الزراعات في هذا الحوض والاهتمام الذي يوليه أصبحت المزارع لمزارعهم .

يتضح من المسح الاقتصادي الزراعي لحوض الأزرق ان هناك عددا لا بأس به من المزارع قد تم هجرها من قبل أصحابها بعد زراعتها لفترة زمنية محدودة قد تطول أحيانا لعشر سنوات، وبعض هذه المزارع اكتملت فيها هيكلية المزرعة من سياج ومصدر مياه ومنشآت **ويرجح ان تكون الأسباب التالية وراء قرارات هجر الزراعة تلك:-**

أ- عدم قدرة المزارع على الاستمرار في تغطية التكاليف للزراعة (ضعف راس المال العام وتدني عائدات المزرعة الذاتية)، إذ ان الزراعة في هذا الحوض والتي تعتمد بشكل عام على زراعة الأشجار المثمرة تحتاج إلى استثمارات مرتفعة نسبيا .

ب- بعض المزارع كانت مملوكة لشركاء وبعضها بيع جزئيا وفي ظل غياب التطبيق العملي لقانون تسجيل الأراضي رسميا ظهرت الخلافات على الملكية مما أدى إلى موت النشاط الزراعي وأودت بالزراعة في بعض الحيازات التي سبق زراعتها.

ت- مشكلة تملح مياه الري وعدم قدرة أو تمكن المزارع من الحصول على مصادر مياه جديدة أهم تراخيص بحفر أهم تعميق البئر أهم ان الآبار التي حفرت ومصادر المياه في بداية عمر المزرعة لم تعد كافية للاستمرار في الانتاج.

ث- ان بعض المزارع قد زرعت بغرض تسجيل الأرض وتطويبها، حيث من المعلوم ان معظم هذه المزارع ما زالت مملوكة بوثيقة بيع غير معترف بها رسميا(حجة) ولا تسجل الأرض رسميا إلا إذا كانت مزروعة.

ج- ان العديد من المزارع أقيمت وانشئت منذ البداية لأغراض تجارية وليست لأغراض الانتاج الزراعي، ولم يكن النجاح حليفا لهؤلاء المستثمرين.

من الواضح ان الزراعة قد بدأت على نطاق واسع في منطقة العوشق وشكل سكان الأزرق اكثر المزارعين إقبالا على الزراعة هناك، يلي مواطني الأزرق من حيث الأهمية وفي فترة متقدمة نسبيا القادمون من منطقة الزرقاء ثم عمان. ثم امتدت الزراعة إلى منطقة الرتامة(جنوب العوشق) والعين البيضاء(شرق العوشق) في أواخر السبعينات.أما منطقة الدغيلة والموغلة في البعد شرقا فقد ظهرت فيها الزراعات في فترة لاحقة وشكل سكان عمان اكثر الشرائح إقداما على الاستثمار في هذه المنطقة في أواخر الثمانينات، أما القادمون من الرصيفة فقد كانوا السباقين للزراعة في هذه المنطقة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تتصف المزارع في منطقة الأزرق وخاصة في منطقة الدغيلة بكبر مساحتها، ويتفاوت حجم المزرعة في المنطقة بين بضع دونمات وخاصة في منطقة الرتامة إلى ان تصل إلى اكثر من المجاورة دونم في منطقة الدغيلة، وقد أوضحت الدراسة ان حجم الحيازة يزيد عند الحائزين القاطنين في عمان وتزيد كذلك عدد هذه الحيازات، بينما يقل عدد الحائزين القادمين من كل من الرصيفة والزرقاء وتنخفض كذلك حجم الحيازات لهذه الشرائح من الحائزين، وتظهر الدراسة تدني مساحة الأراضي المملوكة لدى الحائزين من الزرقاء مقارنة بالحائزين القاطنين في أماكن أخرى كالأزرق وعمان.

ان المساحة المستغلة لدى القادمين من الرصيفة هي اكثر من القادمين من عمان والزرقاء وتفسير ذلك ان القادمين من الرصيفة يهدفون إلى الانتاج الزراعي أما القادمين من عمان والزرقاء فتغلب التوجهات الاستثمارية التجارية على استغلال الأرض الزراعية.

لا تخلو مزرعة تقريبا في الأزرق من عامل دائم مستأجر، حتى تلك التي يقطنها الحائز وعائلته وتم الاعتماد في العمليات الزراعية اليومية على الأيدي العاملة المستأجرة والدائمة وقد بلغ أعلى مجموع للأيدي العاملة والمتأجرة الدائمة في منطقة الدغيلة حيث وصل إلى ١٨٢ عامل دائم ويقل في منطقة العين البيضاء، واغلب العاملين من جمهورية مصر العربية.

مصادر المياه في المزارع :-

بلغ عدد الآبار التي تغذي المزارع في مناطق الأزرق والمشمولة في هذا المسح بـ ٢٨١ بئر فاعل وهي المصدر الوحيد لمياه الري، من هذه الآبار ١٣٣ بئر سطحي بمتوسط عمق حوالي ١٢م و١٤٨ بئر جوفي ومتوسط بعمق ٦٨ متر(مشروع المحافظة على واحة الأزرق: اقتصاديات الانتاج الزراعي في حوض الأزرق: ١٩٩٥، ٤-٢١).

بينت الدراسة السابقة وضع الزراعة في الأزرق، والتوسع في الزراعة في مناطق تعتمد على الآبار الارتوازية، كما بينت أيضا التهديد الواضح للزراعة في الأزرق بسبب تملح الآبار، وأظهرت الدراسة ان معظم ملكيات الأراضي الزراعية وخصوصا المزارع الكبيرة تعود لأشخاص من خارج الأزرق ، وعلى هذا لا يمكننا اعتبار النشاط الزراعي على انه نشاط رئيسي يعتمد عليه سكان الأزرق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

انواع المزروعات في الأزرق

- *زراعة الأشجار المثمرة:-*

يعتبر **النخيل** من انواع أشجار واحة الأزرق في السابق، والنخيل هو رمز الواحة وهو اقدم ما زرع فيها من أشجار، فمن البديهي عند الكثيرين ان تكون كلمة واحة مرادفة لكلمة نخيل، ولكن الوضع الان مخيب للآمال إذ لا توجد واحة ولا يوجد نخيل، ان حال النخيل الان في نظري مشابه لحال الإبل كلاهما فقد مجده، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف كل منهما عن الآخر، لقد اختفى النخيل في الواحة وفي مناطق الدشة والمستنقعات لعدة أسباب أهمها، ضخ المياه الجائر مما جعل المياه تنحسر إلى مستويات لا تصلها جذور النخيل فتسبب في جفافه، إذا أردنا ان نأخذ فكرة واضحة عن وضع النخيل في الأزرق فما علينا إلا ان نرى بضع نخلات في مدخل مدينة الأزرق على مفترق الحدود الفاصلة بين الأزرق الشمالي والجنوبي ، فلسوف نرى منطقة جافة كانت سابقا تسمى الدشة فيها بضع نخلات مصفرات محنيات الظهر في طور الاحتضار.

امتازت الأزرق الشمالي في السابق بكثرة النخيل فيها، وقام الدروز بتقسيم النخيل فيما بينهم عقب خروجهم من قصر الأزرق وحصلت كل عائلة على حصتها من أشجار النخيل ويعرف هذا التوزيع بينهم باسم(**قسمة النخيل**) والتي حدثت سنة ١٩٢٤، ولا يوجد في الوقت الحالي إلا بقايا نخيل متفرق في البيوت، وأما الأعداد السابقة من النخيل فقد تلاشت، وقد حدث نفس الشيء للنخيل الذي كان يتواجد بكثرة في الأزرق الجنوبي، ويقوم سكان الأزرق بقطع النخلة التي تجف لانها لم تعد راسخة في التربة مما يجعلها تشكل خطرا عند وقوعها على الناس وخصوصا الأطفال، وكثير من أصحاب القصور والفلل في عمان وغيرها يشترون **النخيل** الكبير الموجود في الأزرق بمبالغ خيالية فتباع النخلة مثلا بألف دينار، وقد قام أحد المتنزهات والمطاعم الحديثة التي افتتحت في عمان مؤخرا بشراء كثير من النخيل من أهل الأزرق وزراعتها في مدخل المتنزه.

ان انخفاض منسوب المياه وجفاف الغطاء النباتي أدى إلى كثرة نشوب الحرائق وخصوصا حرائق النخيل فقد ذكر لي أحد أهالي الأزرق الشمالي (**ان هناك نخلة ظلت جذورها تحترق لمدة عام تحت الأرض في منطقة البصة التي أصبحت جافة وقد حاول الدفاع المدني إطفائها إلا ان الأرض كانت تهبط فلم تستطع الآلية الوصول إلى وظلت رائحة الدخان تنبعث لفترة طويلة وظلت النخلة تحترق حتى بعد نزول المطر**).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتعتبر أشجار النخيل على درجة عالية من الأهمية لأنها تلطف الجو ، وتتحمل كافة الظروف المناخية ، ولها جدوى إقتصادية إذ تحمل الشجرة الواحدة ما بين ٣٠٠-٥٠٠ كيلو، ولا تحتاج لمياه كثيرة فممكن ان تسقى ثلاث مرات في الصيف، واشجار النخيل جاذبة للطيور التي تفضل ان تعشش فيها لارتفاعها.

ومن خلال الدراسة التي قام بها مشروع المحافظة على واحة الأزرق تبين ان زراعة الزيتون والمحاصيل الأخرى استأثرت باهتمام كبير حتى أصبحت زراعة النخيل زراعة ثانوية حيث بلغ مجموع أشجار النخيل ألفي شجرة فقط في منطقة الأزرق وقد اظهر المسح الميداني لهذه البساتين العديد من لممارسات الخاطئة في تربية أشجار النخيل مثل التقليم والتسميد والتلقيح والوقاية النباتية وكذلك زراعة أصناف ذات انتاجية ونوعية منخفضة مما انعكس سلبا على انتاجية شجرة النخيل بالإضافة إلى قلة الخبرة في التعامل مع هذه الشجرة ، أما في البساتين التي يجرى خدمة المحصول فيها بصورة جيدة فقد وصل انتاجها إلى ١٥٠كغم/ الشجرة. وتثبت الدراسة الجدوى الاقتصادية لزراعة النخيل في الأزرق بانها مجدية ماليا الأمر الذي يعني ضرورة تشجيع وحث المزارعين على الاستثمار في هذه الزراعة.

بدأ الاهتمام يتزايد بشجرة النخيل خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة، وذلك بسبب الخسائر المادية الكبيرة التي تعرضت لها المزارع في الأزرق والتي اعتمدت على زراعة اللوزيات والرمان والتفاحيات والعنب بسبب زيادة نسبة الملوحة في التربة والآبار، فلاحظ الكثير من المزارعين ان شجرة النخيل تتحمل الملوحة والظروف المناخية اكثر من غيرها، مما أدى إلى مزيد من الاهتمام بها ومحاولة الإكثار منها ولكن هناك صعوبة في زيادة أعدادها بسبب ارتفاع أسعار فسائل النخيل التي تعوق دون سرعة انتشار زراعتها. وافضل الانواع التي ينصح بزراعتها في الأزرق هي أصناف النخيل الطرية مثل الخستاوي ومكتوم وهي أصناف لا تحتاج لدرجات حرارة عالية، أما الانواع الأخرى فتحتاج إلى درجات حوارة عالية وشهور طويلة من الصيف فتنجح زراعتها في دول الخليج والعراق والسعودية اكثر من الأزرق (مشروع المحافظة على واحة الأزرق: الجدوى الفنية والمالية لزراعة النخيل في منطقة الأزرق،١-٨).

يعتبر شجر النخيل من انواع الأشجار في المناطق الحارة والجافة فالبلح يشكل مصدر غذائي هام يحتوي على الكثير المواد الأساسية اللازمة لحياة للانسان ويمكن تخزينه ونقلة لمسافات طويلة دون ان يتعرض للتلف ويعتبر مصدرا للظل وللحماية من رياح وأشعة الشمس اللاهبة في الصحراء ومن المؤسف ان الزائر للأزرق أو لمحمية الشومري لا يجد في الطريق أي أشجار حرجية أو أشجار نخيل يجلس تحتها هو وعائلته مما يضطر الكثيرين ممن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقصدون الأزرق في رحلات إلى العودة ، ونخيل البلح له كثير من الاستخدامات اللازمة للانتاج الزراعي والاستخدام المنزلي. ان شجرة النخيل هي من النباتات وحيدة الفلقة ، وقد يصل عمر شجرة نخيل البلح اكثر من مائة عام ويصل ارتفاعها إلى ٢٤متر، وعادة فان العمر المنتج للنخلة اقل من ذلك ويتم قطعها إذا وصل ارتفاعها ما بين(١٥-٢٠) م حيث يقل الانتاج وتزداد صعوبة وخطورة إمكان التوصل لتلقيح أهم تقليم وجمع المحصول... ويمكن القول ان نوعية مياه الآبار الزراعية في الأزرق تلاءم بصورة كبيرة زراعة النخيل فشجرة النخيل تتحمل درجة ملوحة أعلى من الأشجار الأخرى واحتياجاتها المائية اقل من الانواع الأخرى.

يعتمد الأردن على استيراد التمور والرطب لتلبية حاجة السوق ويتفاوت استيراد الأردن من التمور من سنة لأخرى ، وبدراسة استيراد الأردن من التمور يلاحظ انها متزايدة. (مشروع المحافظة على واحة الأزرق : المشروع الفرعي للتنمية الزراعية،١٩٩٥، ٣-٢٤) .

شجرة الزيتون من انواع الاشجار التي تزرع بالأزرق وتعتبر زراعتها حديثة ولا تزيد عن أربعين سنة، وقد أخذت زراعة أشجار الزيتون بالازدياد خصوصا خلال العشر سنوات الأخيرة وصارت تزرع على نطاق واسع في الأزرق، والزيتون لا يزرع عادة في المناطق الصحراوية ولكن وجود الآبار في المزارع جعل الكثيرين يميلون لزراعته وفي الأزرق مساحات واسعة مزروعة بالزيتون وان كثرة أشجار الزيتون جعلت أحد المواطنين يقوم ببناء معصرة زيتون لخدمة أهالي المنطقة بدلا من حمل الزيتون إلى مناطق بعيدة .

يرى كثير من أهل الأزرق ان زيت الزيتون الذي يؤخذ من زيتون الأزرق طعمه افضل من المناطق الأخرى لان نسبة الحموضة فيه منخفضة حسب ما ذكروا لي. تظهر الدراسة ان عدد أشجار الزيتون المزروعة يقدر بحوالي ١٨٠ ألف شجرة زيتون. وتعتبر زراعة الزيتون هي الزراعة الرئيسية في المنطقة وتشمل حوالي ٨٠% من مساحة الأراضي المروية. وهي تحقق اقل هامش إجمالي للربح مقارنة مع المحاصيل الأخرى في المنطقة وهذا ما يمكن ان يوصف بضعف كفاءة استغلال الموارد الزراعية، وعليه فان الاستراتيجية الزراعية القائمة على إحلال زراعة محاصيل ذات جدوى محل زراعة الزيتون ولو إحلالا جزئيا قد ترفع كفاءة استغلال الموارد الزراعية ومن الانواع المقترحة النخيل وشجر الفستق الحلبي . (مشروع المحافظة على واحة الأزرق: المشروع الفرعي للتنمية الزراعية في حوض الأزرق، ١٩٩٦ : ٣٠) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ***الأشجار الحرجية:-***

هناك بعض الأشجار الحرجية التي دخلت الأزرق حديثا مثل شجر **الإثل** الذي احضر في الخمسينات من القريات بالسعودية، ثم دخلت انواع أخرى مختلفة مثل **الكينيا** وغيرها، وبعض المزارعين يزرعون أشجار الكينيا فقط بهدف بيعها كأخشاب بعد ان تكبر، ومن المعروف ان أشجار الكينيا تحتاج لكميات كبيرة من المياه، وهناك اهتمام اكثر بزراعة الأشجار والشجيرات التي تناسب طبيعة المنطقة مثل زراعة **الإثل والبطم والقطف** وذلك حسب ما شاهدت في محمية الشومري.

- ***زراعة الخضروات:-***

كانت زراعة الخضروات في السابق زراعة منزلية تتم في حدائق المنازل لتلبي احتياجات الأسرة ولم تكن سقاية الخضروات تحتاج تكلفة جهدا كبيرا لان الماء متوفر بكثرة لقد قال لي أحد السكان في الأزرق الشمالي، **(كان عندنا حاكورة وكنا نسيل عليها الماء لوحدها وكنا نزرع الكثير من الخضار فالبندورة كانت تغل مرتين في العام في الصيف الفوج الأول في الصيف وآخر فوج كان يغل قبل بدء أربعينية الشتاء، ثم نضعها بالتبن فتحمر شيئا فشيئا ثم تستخدم للأكل، وكانت كل عشر بصلات تعطينا ٢ ونصف كيلو بصل وأما اليقطين كان يطلع بحجم كبير جدا، وكانت تكثر حول المياه نباتات كنا نعتمد عليها مثل الحويرنة والمرمير والقرة، والان لم نعد نرى هذه النباتات، كانت الناس تعيش على نبتة المرمير وكنا نزرعها بالقرب من البئر لأنها تحتاج للماء كثيرا).**

أما بالنسبة لزراعة الخضروات حاليا، فتشير الدراسة التي قام بها مشروع المحافظة على واحة الأزرق إلى ان منطقة الدغيلة تعتبر هي الأولى من حيث انتاج الخضروات وتليها منطقة العوشق وهناك توجه لزراعة الشمام ثم البطيخ ثم البصل واللوم. وفي المناطق الزراعية الأخرى في الحوض هناك تفاوت من حيث تخصص المساحات للخضار، إذ يغلب مثلا زراعة الثوم والبصل في منطقة العوشق والرتامة، ولهذا علاقة مباشرة بتواجد أهم غياب المالك عن مزرعته، فتكثر الزراعات البيتية المتنوعة من الخضار في الدغيلة والرتامة وذلك لاعتماد المزارعين على غلة المزرعة لتامين احتياجاتهم من المنتجات الزراعية.

- ***زراعة الحبوب والمحاصيل العلفية:-***

تتميز منطقة الدغيلة كذلك بزراعة وانتاج الحبوب والأعلاف ويشكل الشعير والبرسيم الحجازي(الفصة) المحاصيل ، وتعتبر زراعة البرسيم الحجازي هي الغالبة بسبب تحملها

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لدرجات أعلى من الملوحة، ولاستغلال المياه الزائدة عند الزراعة ومن اجل استغلال المساحات بين الأشجار ولتوفير علف أخضر لحيوانات المزرعة، وبيع البرسيم الأخضر أهم الجاف بسهولة(مشروع المحافظة على واحة الأزرق: اقتصاديات الانتاج الزراعي في حوض الأزرق، ١٩٩٥ :٢٦-٢٨).

يتضح لنا مما ذكر ان الزراعة كانت في الأزرق بسيطة وهدفها الأساسي تأمين الاحتياجات المنزلية فكانت تزرع في حواكير المنازل بعض الأشجار المثمرة والخضراوات, وكان الناس يعتمدون كثير على النباتات والأعشاب البرية التي تنبت في المستنقعات مثل الحويرنة والمرير وغيرها وقد اختفت هذه النباتات بسبب جفاف الينابيع.

ولقد مرت الزراعة في الأزرق بعدة مراحل، وانتعشت في بعض السنين ولكنا بدأت تتدهور في السنين الأخيرة بسبب التملح والجفاف، وهذا يشكل تهديدا للزراعة في منطقة الأزرق، ومن الملاحظ ان سكان الأزرق لا يعتمدون بشكل أساسي على المزارع سواء سكان الأزرق الشمالي أو الجنوبي وان كان لدى القليل منهم بعض المزارع، فمن المعروف ان غالبية السكان يمتلكون ما يقدر بأربع دونمات للزراعة، وقد شكل قرار إغلاق الآبار في الأزرق مشكلة كبيرة وخصوصا لصغار الملاك والمزارعين.

الصيد

اشتهرت منطقة الأزرق منذ القدم بكونها منطقة صيد ممتازة، ويتضح هذا من خلال الحفريات الأثرية في العصور الحجرية، ومن خلال النقوش والرسوم على القصور الصحراوية، كانت الأزرق مركزا مهما لرياضة الصيد، فقد كان يفد إلى المنطقة هواة الصيد من مختلف مناطق عمان والزرقاء ، وكان بعض الضباط البريطانيين وبعض اللبنانيين يحضرون لصيد الطيور والحيوانات البرية مثل الغزلان والأرانب البرية .

في أواخر الخمسينات تم انشاء نادي الصيد الملكي من اجل تنظيم عملية الصيد في المنطقة، وقد تحول نادي الصيد فيما بعد إلى الجمعية الملكية لحماية الطبيعة ولكنه لا يزال يعرف بين سكان الأزرق باسم نادي الصيد.

ان الصيد المكثف والجائر من قبل السكان المحليين وهواة الصيد من المناطق والبلدان الأخرى تسبب في انقراض أنواع كثيرة من الحيوانات البرية، وحاليا هناك قيود على الصيد في الأزرق وتقوم الجمعية الملكية لحماية الطبيعة بجهود متواصلة لحماية الحيوانات والطيور في الأزرق. ان الصيد بالصقور محبب جدا لدى أهل البادية ولقد رأيت بعض رعايا دول الخليج في شهر شباط يصطفون على الشارع الرئيسي القادم من السعودية وبأيدهم بعض

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الصقور، فهم يدربون الصقور للانقضاض على الفريسة، وتمتاز هـذه الصقـور بارتفـاع أثمانها وتختلف أثمان هذه الصقور.

ذكر Musil في بداية هذا القرن (انه نزل مع جماعته في واحة الأزرق بالقرب من بركة الأزرق وكانت الطيور كثيفة جدا لدرجة انه اصطاد ٢٢ طائر بخمس حشوات فقط) (Musil , 1930: 251) .

ذكر Nelson (ان لدى الفلاحين مطاردة ذات طابع غريزي وهـذا يشـير لاحتماليـة حدوث المشاكل في الأزرق. فالعرب صيادون متحمسون، والصيد موضع فخر لدى العـرب ويتضح ذلك في أشعارهم .وأما الان فيوجد بعض الصيادين اللبنانيين الذين يحضون في عطلة نهاية الأسبوع، ويبدو انهم قد نظفوا بلدهم من جميع الطرائد ، فيقومون بصيد مختلف الطيـور المهاجرة والمقيمة وأي شيء يمكن صيده، تحضر طبقة من اللبنانيين ذوي الملابـس الحسـنة في سيارات مرسيدس..ان الفلاحين في الأزرق مثلهم مثل الصيادين الذيـن يحضـرون فـي عطلة نهاية الأسبوع من عمان وغيرها، يقومون بالصيد المقيد نظريا من نادي الصيد الملكـي في الأزرق. ولكن للأسف ان المجتمع لا يملك الوقت ولا الأفراد اللازميـن لتطبيـق عمليـة تنظيم الصيد، ويقوم الفلاحون بالصيد بدون مراقبة(Nelson, 1957: 70-71).

- ***صيد الحيوانات البرية:-***

لقد كانت الأزرق فيما مضى جنة الصيادين، ولا عجب ان توجد كثير مـن القصـور الأموية في الأزرق وما حولها، تظهر لنا القصور الأموية غنى الحيـاة البريـة فـي عـهد الإنتاج، فالوديان فيها آجام كثيفة تعيش فيها مختلف الحيوانات والوحوش وفي الوديان تكـثر الغدران التي كانت تردها مختلف الكائنات، ان مشاهد القنص الموجودة على جدران القصـور الصحراوية لهي ابلغ دليل على ان المنطقة كانت زاخرة بالتنوع الحيوي، ففي قصـر عمـرة يمكن مشاهدة الرسومات التي تبين مشهدا لصيد الحمار البري السوري، وفي قصر الحلابـات يمكن مشاهدة اللوحات الفسيفسائية للفهد المرقط والذئب والأرانب البرية والغزلان وغيرهـا، وقد انقرض عديد كبير من هذه الحيوانات أهم أشخاص مهدده بـالانقراض بسـبب التدهـور الشديد الذي تعرض له بيئاتها مثل التنمية والبناء والعمران وشق الطـرق ومشـاريع التنميـة المختلفة .

أدى تدهور الغطاء النباتي في البادية إلى فقدان العديد من هذه الحيوانات لمواطنـها التي تعيش فيها آمنة وفقدان المصادر الغذائية التي تقتات عليها ، وتعتـبر فـترة الحـرب العالمية الثانية أسوأ فترة إذ دخلت المنطقة البنادق الأتوماتيكية والآليات على اختلاف انشـطة،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مما أدى سهولة الصيد وبأعداد كبيرة فكانت النتيجة قتل إضافيا كبيرة من الحيوانـــات البريـــة وانقراض بعضها والآخر اصبح مهددا بالانقراض.

ذكر لي أحد البـــدو (**ان المنطقة كانت مليئة بالوضيحي (أي بقر المها) وسمي بالوضيحي لان بياضه واضح، وبالغزلان مثل الريم والعفري وقال ان الريم خشمه(انفه) ابيض أما العفري فخشمه اسود أما الان فلم نعد نرى هذه الغزلان، ولكن بعضها هرب إلى منطقة في شرق الأزرق وعرة تكثر فيها الحجارة البركانية ومن الصعب ان يصلها الانسان، وحتى الأرانب البرية التي كانت تملا المنطقة صار على الواحد ان يتوغل بعيدا حتى يراها**).

يعتبر انقراض بقر المها راجع لشدة وضوحه مما سهل رؤيته من قبل الصيـــادين، ونلاحـظ الدقة في العلاقة الإيكولوجية من خلال تسميات البدو لمكونات البيئية المحيطة بهم، فـــالعفري لان لونه أعفر كلون التراب، والوضيحي لانه واضح. لقد أدى الصيـــد الجـائر فـــي تلـــك المنطقة إلى هروب قطعان كبيرة من الغزلان التي كانت تعج بها المنطقة إلى المناطق الشرقية التي تمتاز بوعورتها وصعوبة وصول الإنسان إلى في سواء بالجمال أو بالآليـــات، وهـــذه المنطقة مليئة بالحجارة البازلتية إلى اللجوء إلى هذه المناطق التـــي لا تشـــكل أصـــلا البيئـــة الطبيعية المناسبة لها، هربا من ملاحقة الإنسان وجوره وبطشه وسوء استخدامه للتكنولوجيـــا التي ابتدعها، شكلت هذه البيئة الجديدة ملاذا آمنا لهذه الحيوانات لكن طبيعة المنطقة لم تســمح بوجود إضافيا كبيرة منها.

حدثني أحد وجهاء الدروز قائلا (**عند مجيء الدروز إلى الأزرق وسكناهم بالقلعة كانت المنطقة كانت تعج بالطيور وبقطعان الغزلان والارانب والحيوانات المفترسة، وقال ان عمه اصطاد انذاك ٢٤ ضبع و٢٥ ثعلب في شهر واحد**). قد يتخيـــل المـــرء مـــن خارج الأزرق أما هذا كلام مبالغ فيه، ولكني سمعت نفس الشيء مـــن كثـــيرين عـــاصروا الحياة البرية السابقة، فصوت طلقات الصيد كان شيئا مألوفا ومتكررا.

- ***صيد الطيـــور:-***

عرفت الأزرق بأنها جنة الطيور، فقد كانت ملايين الطيور تمر عبر الأزرق قادمـــة من أوروبا وسيبريا في فصل الخريف باتجاه قارة إفريقيا ثم تقفل راجعة إلى موطنها الأصلـــي . سجل في منطقة الأزرق ٢٨٠ نوع من الطيور. لقد شكلت هذه الطيور مصدرا غذائيا مـــهما لأهل الأزرق لفترة طويلة، واستمر هذا الوضع حتـــى أهـــم الثمانينـــات إذ بـــدأت أعدادهـــا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالانخفاض التدريجي، وغيرت الطيور مساراتها إلى طرق أخـــرى غـــير الأزرق وصـــارت تسلك في رحلتها طريق خليج شط العرب والنيل والعقبة .

في سنة ١٩٩٤ كان موسم الشتاء جيدا وامتلأت منطقة قاع الأزرق بالميـــاه لاحـــظ الناس عودة الطيور إلى المنطقة بشكل هائل، أما بناء سد راجل كانت له آثاره السلبية علـــى الطيور فقد منع وصول الطيور لمنطقة القاع. سأدلل على أهمية الصيد كمصدر غذائي هـــام وأساسي عند أهالي الأزرق فيما مضى من خلال هذه القصة التي تتردد وســـمعتها عشـــرات المرات من سكان الأزرق ، يقول ابن الأزرق : **(إذا حضر إلى منزلي ضيف أستأذن منه بعض الوقت وأذهب إلى منطقة البرك والمستنقعات وآخذ معي خرطوش صيد وأتصيد حوالي ١١-١٣ طير من الطيور التي تمتلئ بها المنطقة، ثم نقوم بعمل وليمة للضيف دون أما نضطر لشراء أي شيء).**

كانت المنطقة مليئة بأنواع كثيرة من الطيور مثل الغرانيق والإوز العراقي والســـنايب (أبو غليون)، والرها انواعها الرهو، والقطا، والقطا طير يشبه الحمام ، أما الرها فهو طـــير ضخم يصل وزنه حوالي عشرة كيلو غرام، وكان يكثر في قاع العمري والشـــومري وهـــو طير جميل له أسلوب مميز في الطيران فيرسم في الجو أشكال هندسية على شكل أحرف مثـــل S ,Y وله قائد يمشي بخطوط مرسومة، وقد سمعت أثناء تواجدي هناك أما بعـــض الشـــباب يبيتون في قاع خنا لعدة ليال لصيد الطيور.

- ***صيد الأسماك:-***

لم تكن الأسماك تتواجد في الأزرق من قبل إلا بعض أنواع السمك المقـــزم، وفـــي العشرينات قام بعض الطيارين البريطانيين باحضار ثلاثة أنواع من الأسماك من مصر وهـــي البلبوط (أبو شنب)، المشط، سمك أبو قشرة، وقاموا بوضعها في بـــرك الأزرق فتكـــاثرت وكونت ثروة سمكية جيدة ومصدر غذائي للحوم عند سكان الأزرق ، وظل ذلك حتى نهايـــة الثمانينات إذ بدأت أعدادها تخف تدريجيا حتى انقرضت كلها في غضون التسعينات.

ذكر Nelson في كتابه أما صيد الأسماك في الأزرق لا يشكل مهنة ولكنه يساعد فـــي دعـــم كثير من الأسر.... هناك بعض الصيادين في المجتمع المحلي يقومون بصيد الأسماك ومعظـــم هذه الأسماك للاستخدام المحلي(Nelson, 1957: 67).

كانت الأسماك تحتمي في الشتاء بينابيع المياه الدافئة لان السمك يحتاج مـــن ١٠ -١٢ درجة مئوية، وكانت الأسماك تهاجر من الينابيع الدافئة إلى منطقـــة الدشـــة لوفـــرة الغـــذاء

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والطحالب والفطريات والناموس والذباب والديدان والأعشاب التي تتغذى عليها الأسماك، كانت الطيور المهاجرة تأتي بكثرة إلى الأزرق وتتغذى على الأسماك التي في البرك وقد ذكر لي سكرتير جمعية تربية الأسماك عن وجود كثرة وجود الأسماك المقزمة في الأزرق(ان كثيرا من النظريات العلمية تقول ان بيوض السمك تعيش في الجفاف حوالي خمسة عشر سنة، ومن خلال تجربتي الشخصية فقد كانت الملاحات في القاع تفيض بالمياه في فصل الشتاء وكنا نرى فيها السمك الصغير المقزم بكثرة، وكنا نرى هذه الأسماك أولا في آبار الملح في فصل الشتاء حيث تصبح المياه حلوة فعند فيضان السيول تظهر هذه الأسماك وعندما تجف المياه وتزداد الملوحة تموت هذه الأسماك وإذا استمرت السيول لفترة فان هذه الأسماك تفرخ ثم تموت بعد جفاف المياه ، وكثير من العلماء يحضرون لدراسة هذا النوع من الأسماك وقد جاء أحدهم من فترة قريبة واخذ معه بعض هذه الأسماك من البرك فورا إلى الطائرة المتوجه لسويسرا) وقد قال لي فني الأسماك الذي يعمل في مشروع تربية الأسماك أما هذه الأسماك فانها لا تكبر وانه حاول أما يضعها لمدة عام كامل في برك التسمين ولكنها لم تكبر وظل حجمها كما هو.

حدثني أحد الدروز وقال: (عندما كانت ينابيع الأزرق موجودة كانت مختلف السيول تصب في القاع ويحصل طوفان في الأزرق فتتصل مياه الينابيع الشمالية بالجنوبية،عندئذ كنا نصطاد السمك بسهولة وبأعداد هائلة إذ كنا نصيد السمك بالشوالات، وعندما تبدأ المياه بالانحسار كنا نرى أعدادا هائلة من الأسماك تسير بعكس اتجاه المياه (البرك الجنوبية اخفض من البرك الشمالية) محاولة الوصول إلى منطقة البرك الشمالية بدلا من الوصول إلى منطقة الدشة لان مياه الدشة اكثر ملوحة من مياه الينابيع الشمالية التي تمتاز بعذوبتها).

لقد اختفت الأسماك من البرك بسبب جفاف البرك في الأزرق وقد حدثني أحد أهالي الأزرق قائلا: (في سنة ١٩٩٠ أصاب المنطقة مطر غزير ففاضت الوديان في الصحراء بالسمك وبعد انحسار المياه بعد عدة أيام مات الكثير من السمك في البر وقد امتلأت الأزرق برائحة الأسماك الميتة لعدة وكانت رائحتها لا تطاق).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جمعية تربية الأسماك :-

يقع مشروع تربية الأسماك في الأزرق الجنوبي التابع للجمعية على الطريق المؤدية للسعودية تقدر مساحة المشروع ب٣٠٠ دونم، تأسست الجمعية سنة ١٩٧٦ ، وكانت الأرض في البداية مستأجرة من الدولة ثم تملكتها الجمعية ، يقدر أعضاء الجمعية الإنتاج ب٩٥ عضو فقط.

مشروع تربية الأسماك كان في الأصل مشروع بيكر وهرزا وكانوا يسمونه النقطة الرابعة (او مشروع عالية) وقد كان هدف هذا المشروع تحويل الينابيع من منطقة القاع عبر قناة اسمها قناة النقطة الرابعة وذلك للعمل على زراعة الأرز، وتمت إقامة سد كبير لا تزال معالمه واضحة لسقاية مزارع الأرز وكان ذلك في سنة ١٩٥٥، وعندما تم سحب المياه من الدشة جفت منطقة الدشة واحترقت بعد ان جفت، انتهى المشروع سنة ١٩٥٦ بعد ان تبين لهم ان زراعة الأرز غير مجدية، وعلى اثر تحويل المياه إلى منطقة النقطة الرابعة ظهرت في المنطقة غابات وأشجار كثيفة ، وظلت عيون المنطقة الرابعة تتدفق حتى عام ١٩٩٤ وكانت المياه تسيل اليها بشكل طبيعي . لقد تم استخدام المياه التي كانت تسيل من القاع بشكل طبيعي إلى البرك حيث تتم تربية الأسماك منطقة النقطة الرابعة بدون استخدام مضخات، ولكن بسبب الضخ الجائر للمياه وشح الأمر انخفض منسوب المياه مما أدى بعد ذلك إلى استخدام المضخات من مجرى النبع إلى حوض إسمنتي متصل بقناة إسمنتية تصب في البرك، وقامت إدارة المشروع أو بحفر بئر ارتوازي ليكون مصدرا أصحاب لتزويد البرك بالمياه .

يتكون مشروع تربية الأسماك من ثماني برك ترابية تبلغ مساحة كل منها ستون دونما وهي تنقسم إلى عدة ان : ١- برك التسمين ٢-برك التربية ٣-برك الحضانة.

٤-برك التفريخ توضع فيها الأسماك لحين بيعها للمستهلك.

٥-برك التشتية التي تتوفر فيها الينابيع العميقة .

أنواع الأسماك التي تربى في البرك هي اسماك المشط، والكارب ،والبلبوط، ولكن الكارب هو الأفضل لأنه يتحمل درجات حرارة متدنية ويعطي انتاجا وفيرا ولكنه غير مرغوب فيه من قبل المستهلك في الأردن لأنه يحتوي على بعض الدهن لذلك لا يلقى هذا النوع قبولا، ولكن الناس في العراق يفضلونه ويشوونه بطريقة المسقوف، اما سمك البلبوط فهو مرغوب من قبل المستهلك لكنه لا يتحمل درجات الحرارة المنخفضة ولا يأكل إلا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأسماك والضفادع. وكذلك سمك المشط مرغوب فيه ولكنه يموت في درجة حـرارة دون ١٢ مئوية .

بالنسبة لتغذية الأسماك يتم تزويد الأسماك في البرك بعلف الأسماك، وخلطـة علـف الأسماك مكلفة إذ يكلف الطن الواحد ١٤٠ دينار، يعتمد السمك على الأوكسجين فاذا نقصـت كمية الأوكسجين تموت الأسماك، ووجود رياح في الجو يساعد على توفر الأكسـجين لـبرك الأسماك. ان مساحة البركة وعدد الأسماك وحجمها وطبيعة المنطقة والعوامل الجوية كلـها تؤثر في تربية الأسماك ويجب ان تمتاز بالتوازن وان تخضع لحسابات دقيقة ومراقبة. وموسم تفريخ الأسماك هو انشط موسم إذ تحتاج الأسماك إلى درجة حرارة معينة وانـواع وأعشـاب معينة ويكون وقت التفريخ عادة في شهري أيـار وحزيـران، وفـي شـهر أيـام أو هنـاك تفريخ ثان .

فشـل المشـروع :-

اكبر مشكلة واجهت المشروع هي مشكلة التسويق فموسم حصاد الأسماك في شـهر ١١ تشرين الثاني، ولهذا يجب ان يباع في ذلك الوقت لان تخزينه في ثلاجات عملية مكلفة ماديـا وتفقده قيمته الغذائية ولا يقبل عليه المستهلك الذي يطلب الأسماك الطازجة، والأسـماك مـن ذوات الدم البارد إذ يقف السمك في الماء دون حراك حتى تعود الدورة في السنة القادمة وهـذا يودي إلى تناقص وزنه، لهذا فان تخزين الأسماك في البرك عملية مكلفة إذ أن بقاء الأسماك في البرك وتغذيتها للموسم القادم يسبب خسارة ، عملية حصاد المحصول تتم مرة واحدة فـإذا لم يتم بيع المحصول يظل المحصول بالماء.

بالنسبة للوضع الحالي للمشروع فقد اخبرني المسؤول هناك **ان المشروع قـد توقـف** وهو منته تماما، فخلال زيارتي تجولت حول منطقة برك الأسماك ووجدت آثار برك فمعظمـها كان جافا، كانت مياه القناة ضحلة ولا يوجد فيها إلا عدد قليل من الأسماك، وقد كان يعمـل في المشروع سابقا مهندس عراقي متخصص عمل لمدة ثلاث سنوات وكان يعمل معه عمـال حسب الحاجة، اما الان فيوجد في المشروع فني لتربية الأسماك، والجمعية صرفت النظر عـن تربيـة الأسـماك تحسـبا أو مـن تحسـب الدولـة أثمـان الميـاه فتصبـح العلميـة مكلفة جدا.

لقد فشل مشروع تربية الأسماك حسب استنتاجي لعدة أسباب منها : جفـاف المنطقـة بسبب قلة المياه مما أدى لاستخدام عملية ضخ المياه للبرك، التكلفة العالية للعلـف الأسـماك،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عدم إقبال المستهلك على سمك الكارب الذي نجح اكثر من غيرة إذ يمتاز بمقاومتـــه لتقلبـــات الطقس وكثرة انتاجه وأخيرا مشكلة تسويق المحصول في أوقات محددة.

كان اعتماد المشروع على الانسياب التلقائي للمياه من الدشة واعتماد الأســـماك علـــى ما يتوفر في البرك من ضفادع وطحالب وحشرات وغيرها فلم تكن تربية الأســـماك مكلفـــة ولكن في ظل الصعوبات التي ظهرت تغير الوضع وصار من الواجب تطوير عملية تربيـــة الأسماك وعدم الاعتماد الكلي على الطبيعة، ولم تكن هناك محاولات جـــادة للتكيـــف مـــع الصعوبات الجديدة فأدت كل هذه العوامل مجتمعة إلى فشل المشروع .

من الأسباب التي سارعت في انهاء المشروع هو بـــروز أهميـــة ارض المشـــروع، فالمشروع يقع على الطريق المؤدية للسعودية يحدها من الغرب القاعدة الجوية ومن الشـــمال مدينة الحجاج ومن الشرق مزارع ومن الجنوب منطقة القاع. تقدر مساحة الأرض بثلاثمائـــة دونم يقع منها على الشارع الرئيسي حوالي ثمانمائة دونم، والشارع الرئيسي يمتـــاز بكـــثرة حركة القادمين والمغادرين والسياح وكثرة المطاعم والمحلات. لذلك برزت توجـــهات جديـــدة لدى الجمعية بديلة عن تربية الأسماك وهي الاستفادة من المنطقة التي على الشـــارع محـــلات تجارية والمنطقة التي تليها الاستفادة منها كمنطقة سياحية والمنطقة الباقية مزارع، لقد ذكر لـــي المسؤول هناك وهو سكرتير لجنة الإدارة انهم عرضوا بالجريدة بيع مائة دونم على الشـــارع الرئيسي بدلا من الاستدانة من البنوك ثم إقامة مشاريع على الأردن المتبقية بقيمـــة المبلـــغ ، وسعر الدونم الواحد ثلاثة آلاف دينار ولكن لم يتم بيعها.

هناك بعض المزارع الكبيرة في الأزرق تحتوي على برك اسماك خاصة وخصوصـــا في الأزرق الشمالي حيث تستخدم مخلفات الحيوانات والنباتات كعلف الأسماك وتستخدم ميـــاه برك الأسماك لري المزروعات التي تمتاز باحتوائها علـــى كثـــير مـــن العنـــاصر الغذائيـــة ومخلفات الأسماك التي تساهم في زيادة خصوبة التربة المروية.

في دراسة قام بها مشروع المحافظة على واحة الأزرق حـــول تقييـــم الأثـــر البيئـــي لمشاريع تربية الأسماك في الأزرق خلصت الدراسة بعدة استنتاجات منها :

- ان بعض الأسماك تلعب دورا هاما في المكافحة البيولوجية في الحد من نمـــو الأعـــداد الضارة ومكافحة البعوض حيث تتغذى بعض الان على يرقات البعوض .
- أهمية برك الأسماك من النواحي السياحية والترفيهية كممارسة هواية صيـــد الأســـماك واستخدامها كأماكن للتنزه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- تعمل مزارع الأسماك على التخفيف من حدة الفيضانات في منطقتها كما انتاجيتها تعمل كمصيدة للرواسب المحملة من خلال الجريان السطحي وعمليات التصريف وتزيد من رطوبة التربة وتعمل كمخزون مائي احتياطي.
- تلعب برك الأسماك دورا مهما في استصلاح الأراضي غير الصالحة للزراعة عن طريق غسل التربة من الملوحة الزائدة والتي تعاني منها منطقة الأزرق.

تتطلب مشاريع تربية الأسماك وفرة في المياه مما يؤثر على الاستخدامات الضرورية لها مثل الاستخدام للشرب والصناعة والزراعة وخصوصا في المناطق الجافة التي تعتمد على المياه الجوفية والتي تكون فيها نسبة التبخر عالية كالأزرق مما يزيد من سرعة فقدان المياه. ان معدل التبخر في الأزرق مرتفع بسبب مناخها الصحراوي الأمر الذي يودي إلى ارتفاع نسبة الفاقد من مياه البرك بسبب مساحاتها الواسعة، وتواجه بعض الأنواع المستوطنة في الأزرق تهديدات مختلفة قد تودي لانقراضها (مشروع المحافظة على واحة الأزرق،١٩٩٥ : ٤٤-٤٦).

يتبين لنا مما ذكر ان الأسماك في الأزرق كانت لها أهميتها الغذائية والاقتصادية للسكان وأهميتها الترويحية والسياحية لهواة صيد الأسماك القادمين من مناطق أخرى، بالإضافة لاجتذاب أعداد من الطيور التي كانت تتغذى على الأسماك، ان اختفاء صيد الأسماك وفشل مشروع تربية الأسماك هما من المؤشرات الخطيرة لما آلت إليه الحال في الأزرق، لقد كان اعتماد السكان الرئيسي على الثروة السمكية بالإضافة لاعتمادهم على تربية الجواميس والأبقار وقد انتهى هذان النشاطان، وقد كان صيد الأسماك يوفر للسكان الحاجة من اللحوم بدون تكلفة مادية، بالإضافة إلى الأهمية السياحية والترفيهية لمناطق البرك، ان العامل الأساسي في تلاشي الثروة السمكية وفشل مشروع الأسماك هو الجفاف ونقص المياه. كل هذه الصعوبات جعلت السكان يلجئون للبحث عن بدائل أخرى، فبعد ان كان الاعتماد الأساسي الموارد الطبيعية المتوافرة في البيئة صار التركيز على بدائل ليست لصيقة بالبيئة، فظهرت الأهمية التجارية للأرض كبديل افضل واكثر أمنا واستقرار من الاعتماد على الموارد البيئة غير المستقرة.

النشاط التجاري

لم يكن في الأزرق نشاط تجاري يذكر فقد كانت توجد فيه بعض الدكاكين الصغيرة، وفي الأزرق الجنوبي لم يكن هناك سوى دكان واحد، وقد كانت المواد الغذائية متوافرة على اختلاف أنواعها، فليست هناك حاجة لشراء اللحوم فهناك الأبقار والجواميس والأغنام وصيد الطيور والأسماك والحيوانات البرية، والألبان ومشتقاتها في متوافرة بالإضافة إلى توفر البلح

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والفاكهة والخضروات، وقد كان السكان يعتمدون على التبادل فيما بينهم وخصوصا تبادل الألبان وكان من العيب بيع الحليب، كان سكان الأزرق يقومون بشراء ما يلزمهم من قمح وزيت من اربد وغيرها من المدن.

في الخمسينات حدث تغير ملحوظ في النشاط التجاري في الأزرق فقد حضر بعض اللاجئين الفلسطينيين للاستفادة من نبات الحلفا والسمار الذي ينبت حول المستنقعات والبرك في الأزرق وذلك لصنع الحصر وكراسي القش من هذه المواد، وكانوا في البداية يحضرون بدون عائلاتهم، ولم يكن في الأزرق انذاك مخبز ولا ملحمة وكانوا في البداية يعتمدون على ما يجود به أهل الأزرق ومع مرور الوقت حضرت بعض هذه العائلات واستقرت، وصار سكان الأزرق يبيعون منتجات الخضار والألبان لهذه العائلات، ونشطت عملية البيع اكثر من السابق، وقد حدثني أحد الشيشان عن تغير الوضع قائلا(**كنا في السابق نبيع جاموس او بقرة بأربعين او خمسين دينارا حتى نشتري زيت وقمح، فصرنا نحقق دخلا من بيع الخضار والألبان ونشتري ما يلزمنا**).

لم يكن في الأزرق نشاط تجاري ملحوظ قبل السبعينات، ففي السبعينات حدثت تغيرات كثيرة في الأزرق، فقد قدم المزيد من العائلات الفلسطينية واستقرت بالأزرق وقام كثير منهم بانشاء المزارع الكبيرة وانشاء المحلات التجارية والعمل في مختلف المهن، ولكن التغير الكبير في التجارة والسبب الرئيسي في اتساع نطاقها هو **شق الطرق الدولية** المودية إلى العراق والسعودية والخليج، لقد احدث هذا الطريق تغييرا كبيرا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأزرق، فأصبحت الأزرق اكثر انفتاحا على البلدان المجاورة وخرجت من نطاق القرية التقليدية لتصبح مدينة حدودية مهمة، ونشطت حركة النقل والتجارة بشكل كبير كل هذا أدى إلى انتعاش المنطقة اقتصاديا ونشطت التجارة، فكثرت المحلات والمطاعم ومحلات البناشر وتصليح السيارات ومختلف المحلات التجارية المختلفة على جوانب الشارع وخصوصا في الأزرق الجنوبي من مطاعم وبقالات ومخابز وكراجات ومصانع ثلج ومحلات صرافة وغيرها. وتمتلئ الشوارع الرئيسية في الأزرق الجنوبي بالمحلات التي تعرض بضائع للمسافرين من خبز وكعك ومكسرات ومواد تنظيف مختلفة.

ذكر Nelson ان كل عائلة في الأزرق كانت تخبز خبزها لوحدها، ولكن عندما بدأ الفلسطينيون بفتح المخابز والأفران وازدهرت صناعة الخبز، صار القرويون يدفعون أجرا مقابل استخدام الأفران واصبحوا يشترون الخبز الممتاز منها، بالإضافة إلى المخابز فهناك

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عشرات التجار الذين يقومون ببيع بعض السلع في الطريق الرئيسي المغبر فيعرضون الملابس الرخيصة والخضار والمعلبات والمستلزمات المنزلية (Nelson, 1975:58).

وقد لفت انتباهي أسماء هذه المحلات فهم تتم حقا عن أصول سكان الأزرق والمناطق التي قدموا منها، فهناك محل باسم الفرات ، ومحل بو كمال ، ومحل السعودية ، ومحل العراق ، وغيرها. يوجد في الأزرق عدد كبير من المطاعم على جنبات الطريق المؤدي إلى السعودية في الأزرق الجنوبي ومعظم هذه المطاعم تقدم الشواء كوجبة أساسية للمسافرين واغلب المطاعم عبارة عن ملحمة ومطعم وخصوصا الأزرق فيها ثروة حيوانية جيدة من الأغنام التي يقوم البدو بتربيتها في مختلف المنطقة.

اما الأزرق الشمالي فان المطاعم فيه قليلة ولكن توجد فيه أنشطة الفنادق والاستراحات، ان حركة المطاعم في الأزرق الجنوبي انشط بكثير من الأزرق الشمالي ففي أوج الصيف يمتلئ جانبي الشارع بالسيارات والشاحنات القادمة من السعودية وخصوصا اشهر ٦-٩ . اما الأزرق الشمالي فانه يشهد حركة شاحنات وناقلات نفط قادمة من العراق وأصحابه يشترون حاجاتهم عادة من الرويشد على الحدود العراقية، وقد كان وضع الأزرق الشمالي جيدا قبل حرب الخليج ولكنه تأثر بعد الحرب سلبيا بشكل اكثر من الأزرق الجنوبي .

ان الفترة الذهبية للمحلات التجارية وخصوصا المطاعم والفنادق في الأزرق تزدهر في فصل الصيف فقط وبعد انتهاء الصيف يبدأ الهدوء والركود يعم المنطقة، وخلال هذا الصيف سمعت كثيرا من الناس في الأزرق يشكون الركود الذي لف مختلف المرافق حتى الأطباء، إذ ان اعتماد أهل الأزرق الأساسي معلق على الطرق الدولية، فهذا الطريق هو مورد رزقهم . وازدادت أهميته بعد تدهور الأنماط الاقتصادية السابقة التي تعتمد على الواحة فقد تلاشى اعتماد أهل الأزرق على موارد بيئتهم التي تعرضت للتدهور وصارت أسباب معيشتهم مرهونة بالأوضاع في دول الخليج وغيرها من الدول المجاورة، ولذلك هم اكثر تأثرا بالاضطرابات السياسية في الدول المجاورة من غيرهم بسبب كونهم في منطقة حدودية مفتوحة على عدة بلدان نفطية.

أدت الأوضاع السياسية التي مرت بها منطقة الشرق الأوسط واحتلال فلسطين وتهجير سكانها إلى الأردن إلى التسبب بزيادة سكانية كبيرة، مما زاد في ارتفاع أسعار الأراضي، وظهرت تجارة الأراضي في الأزرق بشكل ملحوظ. وسأقوم بتناول مسالة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأراضي بشكل واف فيما بعد لما لها من أهمية على المـــوارد البيئيـــة والحيـــاة الاجتماعيـــة والاقتصادية للسكان.

يعد التهريب من المشاكل التي تعاني منها المنطقة وذلك بحكم وقوعـــها فـــي منطقـــة حدودية على مفترق عدة دول، مما جعل التهريب مشكلة في تلك المنطقة، فـــهناك تـــهريب السلع المسموحة والممنوعة وتعاني المنطقة من كونها ممر لتهريب المخدرات.

ان الطريق الدولي له أهمية كبيرة لسكان الأزرق وخصوصا سكان الأزرق الجنوبـــي الذين يعتمدون عليه بشكل أساسي فهو مصدر رزقهم الأساسي والمتبقي وقد قال لي أحد سكان الأزرق (**كل شيء كان في الأزرق انتهى فالمياه جفت والطيور هجـت والأسماك ماتت والأبقار والجواميس انتهت والغزلان انمحقت ولم يبق لنا إلا هذا الشارع ولـولا هـذا الشارع كنا متنا من الجوع**).

يتضح لي مما ذكر ان التجاري النشاط في الأزرق تحول من النشاط القائم تبادل السلع الغذائيـة المتوفرة إلي النشاط القائم علي بيع تلك السلع وتحقيق دخل مادي منها.

ويتضح ايضا ان شق الطرق الدولية أدي إلي توسع كبير في النشاط التجاري، ويشـــكل هـــذا الطريق شريان الحياة في الأزرق، وبقدر ما كان هذا الطريق نعمة لســـكان الأزرق ومـــورد اقتصادي جيد فقد كان وبالا علي مختلف الموارد البيئيـــة ومختلـــف الانشـــطة الاقتصاديـــة المعتمدة علي موارد البيئة.

فالطريق شطر قرى الأزرق نصفين، وكان مروره في منطقة البرك والمستنقعات ذا تـــأثير سيئ فقد تحولت أهمية الأراضي المحيطة بمنطقة البرك من أهمية بيئية طبيعية إلـــى أهميـــة تجارية محضة، وراجت تجارة بيع الأراضي وتأجير المحلات التجارية وحلت محل الانشـــطة البيئية السابقة.

ومن الانشطة التي تأثرت سلبا بهذا الطريق تربية الجواميس والأبقار والخيـــول التـــي كـــانت تروح وتجيء إلي المستنقعات لوحدها بسهولة. حركة الآليات والسيارات كان لها تأثير ســـلبي علي هجرة الطيور وهبوطها في منطقة المستنقعات. ان القيمة المادية الجديدة للأراضي جعلـت السكان يتخلون عن الانشطة السابقة بمحض إرادتهم فقد وفر لهم مصنـــع الملـــح والطريـــق الدولي مورد رزق اسهل وايسر من تربية الحيوانات انواع الزراعة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحـــرف والصناعـــات

▫ الحـــرف في الأزرق:-

كان يوجد في الأزرق بعض الحرف البسيطة، فقد اشتهرت الأزرق الشمالي بحرفـــة صنع منتوجات يدوية من جريد النخيل الذي كان يتوفر بكثرة، ولكن هذه الحرفة اختفـــت فـــي بداية السبعينات، بسبب ازدهار مصنع الملح وفتح الطرق الدولية مما أدى إلى تحســـن دخـــل العائلات في الأزرق والاستغناء عن هذا النشاط الاقتصادي.

في اوائل الخمسينات حضرت بعض العائلات الفلسطينية إلى الأزرق الجنوبي، وكـانت تعمل في جمع نبات الحلفا والسمار الذي يكثر في منطقة الدشة لصنع الحصر وكراس القـــش، وبدأت هذه الحرفة بالاختفاء في أواسط الثمانينات، إذ بدأت المستنقعات بالجفاف بسبب ضـــخ المياه الجائر، واختفت هذه الحرفة وليس لها الان أي اثر، والأشخاص الذين كـــانوا يعملـــون بها هم مستقرون حاليا بعمان والزرقاء، ولقد ساعد في اختفاء هذه الحـــرف ظـــهور الحصـــر البلاستيكية التي حلت محل الحصر المصنوعة من نبات الســـمار وذلـــك لرخـــص ســـعرها وتوفرها .

ذكر Nelson ان قطع القصب وجمعه (reed- cutting) يقوم به بعض النـــاس خـــلال الأشهر ما بين نيسان وتشرين أواخر، وتقوم الحكومة بإعطـــاء رخـــص للســـماح لـــهؤلاء الأشخاص بجمع القصيب،... ويتم قطع القصيب بالمناجل ثم يعرض لأشعة الشمس حتى يجف ويجمع في حزم كبيرة وينقل من منطقة المستنقعات على ظهر الإنسان او باستخدام الحمـــير، وقد كونت صداقة مع شخص اسمه أبو خالد، فلسطيني جاء من نابلس ابعد هو وعائلتـــه مـــن مزرعة برتقال كان يمتلكها من قبل الإسرائيليين، وبعد ان اصبح لاجئـــا جـــاء إلـــى الأزرق للعمل في جمع القصيب، يذهب محصول القصيب إلى نابلس وعمان ويستخدم بشكل أساســـي لصنع الحصر وتستخدم سيقان النبات الكبيرة في تقوية السقوف والأعلاف السيقان الصغـــيرة فتستخدم كعلف للحيوانات(Nelson, 1957: 64-65).

وحاليا لا توجد لدى سكان الأزرقين أي حرف يدوية تقليدية، وحتى النساء فليس لـــهن أي نشاط اقتصادي قائم على استغلال الحرف اليدوية وبيع المنتوجات، ما عدا بعـــض نســـاء البدو آلاتي يعملن بصنع بعض المنتوجات من صوف الأغنام وبيعها ولكن هذا لا يمثل حرفـــة منظمة وثابتة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في رأيي ان الوضع الاقتصادي للسكان في الأزرق هو على الأغلب وضع جيد فلا تزال الأزرق بالرغم من الصعوبات والمشكلات البيئية تتوفر فيها فرص العمل ويستطيع المرء ان يعمل بسهولة في مجال الزراعة وتربية الأغنام والعمل في المحلات التجارية المختلفة وأعمال الميكانيك وخدمة السيارات وغيرها، ولكن الكثيرين من خارج الأزرق لا يفضلون العمل هناك لبعد الأزرق عن المدن الرئيسية التي تتوفر فيها مختلف الخدمات بشكل افضل.

ان مجالات العمل المختلفة المتاحة للذكور في الأزرق، لم تترك حافزا للنساء للعمل في أمثلة حرف يدوية لتحقيق مردود مادي لعدة اسباب منها، عدم بروز الحاجة المادية التي تدفع كثيرا من النساء للعمل في الحرف المختلفة لتأمين دخل لأسرها، ولكون الأزرق منطقة حدودية ووجود الطريق الدولي في منتصف القرية الذي يعج بالغرباء والمسافرين مما يحد من حرية حركة النساء، والتقاليد الأسرية فعند الكثير من الاسر الشيشانية لا يزال عمل المرأة مقتصرا داخل البيت وعدد محدود جدا من النساء الشيشانيات خرجن للعمل كمعلمات .

▫ مصنع الملح:-

نشأة صناعة الملح في الأزرق :

يعتبر مصنع الملح اهم الانشطة الاقتصادية في الأزرق على الإطلاق ، فاستخراج وصناعة الملح هي النشاط الاقتصادي الذي يعتمد عليه غالبية سكان الأزرق، ويعمل في مصنع الملح كثير من سكان الأزرق.

تعتبر صناعة واستخراج الملح في الأزرق حديثة، فقد ارتبطت باستقرار السكان في الأزرق في مطلع هذا القرن، إذ لا توجد أدلة تاريخية على استخراج الملح في السابق، لقد بدا استخراج الملح بهجرة الدروز من جبل العرب هربا من ملاحقة الاستعمار الفرنسي إلى منطقة القريات (قرى الملح) في العربية السعودية وتحديدا في بلدة النبك، وهناك تعلموا صناعة الملح الذي تمتاز به تلك المنطقة وعند عودتهم واستقرارهم بالأزرق قاموا باستخراج الملح من منطقة القاع، وقامت العائلات الشيشانية أو في الأربعينات بالعمل أيضا في استخراج الملح.

يعتمد استخراج الملح كثيرا على مياه الامطار فكلما كانت الأمطار غزيرة كان الملح نظيفا وخاليا من الشوائب، ومن اهم الوديان التي تصب في قاع الأزرق، وادي راجل إذ يستبشر الناس خيرا بمسيله، لأن هذا يعني ان موسم الملح سيكون جيدا حيث تتشبع الارض

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في منطقة القاع بالمياه ويكون الملح انظف، اما إذا كان الماء قليلا فان الوادي يجف باكرا ويكون الملح اقل نظافة ومعرضا للغبار والأتربة، وقد أثر بناء سد وادي راجل بشكل سلبي على الملح لان تربة السد مسامية تمنع وصول المياه لمنطقة القاع لهذا اصبح موسم الملح يتعرض للغبار بشكل كبير.

كان استخراج الملح في السابق يتم بطرق بدائية، وكانت الأسرة كلها تعمل في استخراج الملح فكل فرد له دور معين، يقول أحد الدروز (**في موسم الملح كان الكل يفزع إلى العمل صغار وكبار، فالأولاد ينشلون الماء بالدلو وكانوا يحركون الملح بمقحار من الخشب، ويقومون بتحريك وتكسير كتل الملح باستخدام المجرفة والكريك**).

لقد كان استخراج الملح في السابق يكلف جهدا كبيرا جدا وخصوصا انه كان يتم في اكثر شهور السنة ارتفاعا في درجات الحرارة، فقد كان يبدأ من مطلع شهر حزيران إلى منتصف شهر أيلول من كل عام . لقد كان مصنع الملح يوفر دخلا جيدا لكثير من الأسر في الأزرق، ولقد كانت كل أسرة تحصل على مبلغ ثلاثة آلاف دينار من مصنع الملح سنويا. واما حاليا فان الوضع سيئ فكثير من الأسر لم يدفع لهم مصنع الملح أثمان الملح منذ ثلاث سنوات.

الطرق البدوية في استخراج الملح :-

كان الملح يستخرج بطرق يدوية بسيطة وفي ظروف صعبة إذ يتم استخراج الملح في اكثر شهور الصيف ارتفاعا في درجات الحرارة وفي منطقة الملاحات الخالية من الاشجار والظلال. وسأورد مراحل استخراج الملح اليدوية حسب ما سمعتها من سكان الأزرق وحسب بعض المعلومات التي حصلت عليه من السيد أبو ميرزا وهي كما يلي :-

- اختيار الموقع المناسب في منطقة القاع وذلك من حيث اتجاه الريح ، واختيار البقعة التي تمتاز بقلة الغبار والأتربة .
- يتم بناء غرفة من القصيب او جريد النخل او الطين للمبيت فيها وللوقاية من أشعة الشمس الحارقة، وهذه المواد الأولية كلها من الموارد البيئية المتوفرة في الأزرق.
- يتم حفر آبار تتراوح من بين ٤×٤×٤م طول في عرض في عمق بهدف استخراج الماء المالح منها.
- يتم سحب الماء من البئر باستخدام الدلاء(جمع دلو). ثم صارت تستخدم المضخات الآلية لسحب الماء من البئر .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- تخطيط الملاحة (البيدر)، وتتراوح مساحة البيدر حسب رغبة صاحب البيـــدر، فقـد يصل في حجمه من ٢×٨ م وبارتفاع حواف البيدر بحدود ٣٠ سم .
- بناء **حوض ماء** صغير(يدعى بالمصفاة) على شكل دائري ويرتفع عن سـطح الأرض قليلا .ثم بناء قناة تمتد لمسافة مناسبة بين الأثرية الملحية (**البيادر**) ويكـون مسـتوى القناة مرتفع أو عن سطح الأرض، ثم يخطط للأحواض بحيث تكـــون متعـامدة مـع قناة الماء .
- بعد ان تتم عملية بناء البيدر وتجهيزه تبدأ عملية رص البيدر لإغلاق المسامات حتـــى لا تتسرب الأملاح باستخدام قطعة حجر أسطوانية الشكل لها مقبض على شكل حـــرف U ، ويتم دحل الأرضيات بها لمدة أربعة أيام تقريبا، او باستخدام ماســـورة يـتراوح طولها من متر إلى مترين وقطرها حوالي ١٠ انشات، ويتم دحل الماســـورة جيئـة وذهابا حتى تصبح أرضية البيدر متماسكة جدا لا ينفذ الماء منها .
- تبدأ عملية صب المياه من البئر في الحوض المجاور (المصفاة) الذي يصفي المياه مـن الكلس والكبريتات قبل ضخه في البيادر عبر قناة الماء، وتكون مياه البئر مالحة جـــدا، وتستمر عملية سقاية البيدر كل يومين او ثلاثة لمدة شهرين، وكل يوم تتبخـــر الميـاه اكثر وتبقى الطبقة الملحية وهكذا حتى تتكون طبقة ملحية مناسبة حسب تقدير الشـخص المنتج للملح. وتكون سمك الطبقة في العادة من ٧-١٠ سم عبارة عن بلورات ملحية .
- بعد ذلك يتم التوقف عن صب المياه وتترك الملاحات لمدة أسبوع أو أسبوعين.
- تحضير **المفارش الملحية** وهي المنطقة الفارغة الموجودة بين كل حوضيـــن، ونقـل الملح وفرشه فيها.
- بعد الجفاف الجزئي للملح وبعد ان يصبح على شكل بلورات بها كمية قليلة من المـــاء، يتم تجميع هذه الكميات من الملح على شكل أكوام حتى يتـــم اسـتنزاف كـل الميـاه الموجودة فيها إلى الأسفل .
- نقل الملح إلى المفارش وفرشه من اجل إتمام تجفيفـــه وإحضـــار مجـارف خاصـــة عريضة لتسهيل تحريك وجمع الملح في أكوام في منتصف البيدر.
- بعد جمع الملح وتكويمه تبدأ عملية تحريك الملح وتقليبه لكي يجف ، ويجـــب ان يتـم تحريكه باستمرار حتى لا تدخله الرطوبة إذ ان الرطوبة تؤثر على نوعية الملح.
- تكسير (كدر) أي كتل الملح الملتصقة ببعضها ، حتى تصبح بلورات جافة منفصلة .
- بعد ذلك يتم جمع **محصول الملح** ووضعه في أكياس كبيرة (شوالات) من الخيش قـد يصل وزنها إلى ١٠٠كغم، ثم تخزينه حتى يتم بيعها إلى المطاحن في اربـد وعمـان وباقي المدن في المملكة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تخـــزين المـــلح :-

ان جميع اشهر السنة لا يستغل منها إلا خمسة اشهر فقط وذلك إذا كان قاع الملاحـات مناسبا للعمل، اما باقي اشهر السنة فليس يكن هناك عمل بالملح، وتشـــكل الســـيول والغبـــار والعواصف خطرا على محصول الملح لهذا يفضل انقاذ الموسم قبل وصول الشـــتاء، ويجـــب تخزينه قبل نهاية شهر(١٠) تشرين الأول، وفي الماضي كان تخزين الملح يســـبب مشـــكلة لذلك كان يباع بسعر زهيد.

كان كل فرد في السابق يقوم بتخزين الملح في بيته فيباع في الشتاء وكان نقل الملـــح يتم بين سوريا والأردن على الجمال، كان بعض البدو يأتون لشراء الملح وبيعه في حـــوران ، وكان اغلبهم من بدو وعرب النعيم والجملان والصياد من سوريا، وهم اكثر البـــدو الذيـــن كانوا يقومون بنقل الملح على الجمال، اما البدو في الأردن فكانوا يبيعون القمح يبادلون القمـح بالملح في أثناء تنقلهم وذهابهم إلى مناطق الديرة. ولكن فـــي الســـبعينات تغـــيرت الأوضـــاع وصار البدو يميلون للاستقرار مما جعلهم يتركون الاتجار على ظهور الإبل.

ثم صارت جمعية الأزرق التعاونية تقوم بشراء الملح من الأعضـــاء وتخزينـــه فـــي مستودعات في ارض الجمعية ثم تسوق هذا الانتاج إلى مطاحن الملح المنتشرة في المملكة .

تطور صناعة الملح :-

١- *مرحلة الإنتاج اليدوي*:- وتبدأ من العشرينات حتى أواخر الأربعينات.

٢- *مرحلة الإنتاج الآلي الجزئي*:- وهي في بداية الخمسينات حيث تم استخدام مضخـــات المياه التي عمل على الوقود في صب الماء.

٣- *مرحلة الإنتاج الآلي*:- وهي في بداية الثمانينات، حيث تم حفر الآبـــار بشـــكل آلـــي بواسطة حفارات ، واستخدام البلاستيك الزراعي ثم تطورت عملية انتاج الملح فحلـــت **البيادر البلاستيكية** بدلا من **البيادر الطينية** وبأحجام اكبر اذ يصل حجمها تقريبا إلـــى ٤٨×٧ طول × عرض ، وهي عبارة عن لفائف بلاستيكية طويلة يصب فوقها المـــاء بدلا من رص التربة الطينية وتستخدم في تغطية أرضيات الآبار والاســـتغناء عـــن رص الأرضيات مما أدى إلى توفير الجهد والوقت وزيادة مساحة البيادر والاستفادة قدر الإمكان من طول موسم الملح، وكذلك تم استبدال الأفنية الطينية لنقل المياه مـــن الحوض إلى البيدر بالانابيب البلاستيكية الزراعية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جمعية الأزرق التعاونية :-

كان اعتماد اهل الأزرق الأساسي على الملح كمصدر رزق فكانوا يبيعون الملح لشراء القمح لتامين قوتهم، وكان همهم تامين العدس والحمص والبرغل والكسوة، ولكنهم كانوا عرضة لاستغلال التجار والمرابين الذين كانوا من خارج الأزرق، فكان ابن الأزرق يستدين لشراء أغراض لتجهيز البيدر وموسم الملح وكان المرابي يشترط عليه مسبقا بيع الشوال بثلن(٥٠ فلسا) وقد يكون ثمنه الحقيقي انذاك يساوي نصف دينار(٥٠٠فلسا) وكل هذا يوافق عليه الشخص مقابل الحصول على الدين.

كان معظم الناس في حالة مادية ضعيفة فيتعرضون للاستغلال، ولهذا كانوا يحجزون بعض الانتاج مسبقا لدفعه للمرابين والمستغلين، وأحيانا يضيع محصول الملح بالسيل فيضيع جهد الفلاح هباء وكان يباع ١٥٠ كيلو من الملح بثلن فقط فيظل الفلاح (ملحوق ومديون) وتحت وطأة التجار والسماسرة . اقترح بعض الاشخاص في الأزرق ممن اكملوا تعليمهم إيجاد حل لمشكلة استغلال الفلاحين وبيع المحصول بأبخس الأثمان، وقد ظهرت في الخمسينات الحركات التعاونية في الأردن مما أدى إلى نشوء بعض من اشكال التعاونيات في الأزرق حتى استقرت اخيرا على شكل جمعية الأزرق التعاونية.

ففي البداية أنشئت **جمعية توفير وتسليف** ظهرت في الستينات وكانت تقوم بتقديم قروض للفلاحين على شكل قرض موسمي وقد وصل اكبر قرض آنذاك حوالي ٥٠ دينارا.

ثم قامت **عدة شركات** لانتاج الملح في الأزرق، وقد شارك فيها أشخاص نفوذ من عمان وكانت لهم سيطرة واستغلال مما أدى إلى فشل جميع هذه الشركات.

اقترح البعض إنشاء جمعية يتم من خلالها جمع الملح في مكان واحد وطحنه في مطحنة تابعة للجمعية ومن ثم بيعة في الأسواق ليكون ربح إنتاج الملح عائد للأعضاء في الجمعية .

تأسست **جمعية الأزرق التعاونية** بالتعاون مع المنظمة التعاونية وذلك في سنة ١٩٧٢ وهذه الجمعية هي جمعية زراعية متعددة الأغراض مهمتها إنتاج وتوزيع وتسويق ملح الطعام، وأعضائها من الأشخاص المنتجين من سكان البلد، وتتألف من الدروز والشيشان وغالبيتها من الدروز. قامت بالإشراف على الإنتاج وتنظيمه وتحديد كميات الإنتاج بحيث تستطيع كل أسرة في الأزرق الاستفادة من عملية استخراج الملح الذي اصبح محصورا في أعضاء الجمعية فقط وهم من سكان الأزرق القدماء والمعروفين بانهم كانوا منتجين قبل نشوء الجمعية. تم حصر استخراج الملح في اهل الأزرق، ويعتمد حوالي ٩٥% من السكان على استخراج الملح وهو سبب بقائهم واستمرارهم خصوصا بعد زوال الثروة الحيوانية. عدد أعراض الجمعية ١٢٠٠ عضو، ساهمت الجمعية في تنمية المجتمع المحلي بدعم المدارس

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والانشطة الشبابية والاندية ودعم الأسر الفقيرة وحل مشكلة البطالة في الأزرق وشراء باصات لتامين خدمة النقل من الأزرق للزرقاء وبالعكس .

كانت الجمعية تقوم بتزويد الأعضاء بالعناصر والأدوات اللازمة للانتاج في بداية الموسم، ثم تقوم شراء الملح من الأعضاء الذين كانوا يستخرجون الملح بمفردهم ، وكانت الجمعية تقوم بشراء الملح من الأعضاء وتخزينه في مستودعات في ارض الجمعية ثم تسوق هذا الإنتاج إلى مطاحن الملح المنتشرة في المملكة .

قامت الجمعية بإرساء قواعد التكافل الاجتماعي والاشتراكية حسب الأسس والانظمة، فيتم توزيع إنتاج الملح على حسب الأنفس، فيسمح لكل عضو ١٠ طن وهذا عدد موحد بين الناس، وكلما زاد عدد أعضاء الأسرة تتم إضافة عشرة أطنان على كل نفس وهكذا، ولقد ظل هذا الوضع ساريا إلى ما قبل عامين، وهناك تعليمات تصدر للأشخاص قبل النزول إلى الملاحات فكل المنتجين يجب ان ينزلوا في وقت معين ويتوقف ضخ المياه في وقت معين وهناك عقوبات للمخالفات فاذا كان مخصص للشخص ١٠٠ طن مثلا وانتج ١٢٠ طن في ٢٠ طنا يبقى انتاجه في الارض ولا يشتريه المصنع، لقد عودت الجمعية الناس على النظام والاحترام والانتماء.

كان هم الجمعية تنظيم وتسويق الإنتاج حسب العرض والطلب وكانت تهدف لان تكون الموزع الأساسي، ان مشكلة جرف السيول للمحصول ومزايدة التجار كانت تجعل الناس يبيعون بأبخس الأثمان إذ كان يصل سعر الشوال ١٠ قروش وسعر الطن ٣٥ قرش. أما بعد نشوء الجمعية فقد صار شوال الملح بدينار، ولم يتغير أي شيء على المستهلك فقد بقي سعر كيس الملح (باكيت) يباع للمستهلك كما هو بثلن، ان ما تغير هو ربح التاجر فقد كان كيس الملح يكلف اقل من فلس ويباع بثلن وهذا يبين الفرق الشاسع ومدى الغبن الذي كان يلحق بمنتجي الملح من أهل الأزرق .

في سنة ١٩٨٩ قامت الجمعية بإقامة مصنع الملح بعد عدة دراسات متخصصة، ومصنع الملح مصنع تملكه جمعية الأزرق التعاونية . صار المصنع يقوم بشراء الملح من الأعضاء ويقوم المصنع بتصنيعه ليكون جاهزا للاستعمال المنزلي ثم تسويقه.

في عام ١٩٩٤ قامت الجمعية بإقامة مشروع جماعي حيث يتم انتاج الملح عن طريق المشروع الجماعي وتقوم الجمعية بتصنيعه وتسويقه ولا يقوم أعضاء الجمعية بأي عمل . ولكن مع مرور الوقت دخلت عوامل الإهمال والتسيب مما أدى إلى إضعاف مركز الجمعية وارتفاع تكاليف الإنتاج وأدى إلى خسائر مالية كبيرة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حدثني مدير المصنع قائلا (ان الملح يتكون في قاع الأزرق حيث تصب فيه كل السيول في فصل الشتاء مكونة بحيرة ، وتجف في فصل الصيف فتصبح منطقة القاع مناسبة لاستخراج الملح ، وان عملية استخراج الملح تساهم كثيرا في تخفيض ملوحة المياه في الأزرق إذ ان حوض الأزرق تعرض للملوحة بسبب الضخ الجائر للمياه ، فقد كانت نسبة الملوحة في الحوض تتراوح بين ١٨-٢٤٪ وعندما زاد إنتاج الملح خفت نسبة الملوحة في الحوض فقد تراوحت ما بين ١٤-٢٠٪ . ان عملية استخراج الملح تقلل وتبعد فترة تملح الحوض المائي في الأزرق في المستقبل) .

يمتاز ملح الأزرق بانه صاف ونقي، هذا الملح يؤخذ مباشرة من الطبيعة على شكل بلورات كما أنه يغسل ويصول لإزالة الشوائب والكبريتات، ويتم غسل الملح لإزالة الأتربة والغبار، نقاوة ملح الأزرق ٩٩،٣٠%، يستخدم ملح الأزرق للمائدة وفي الصناعات الغذائية، وهناك أيضا ملح خام يستخدم في الصناعات وقد تمت إضافة مادة اليود لملح الأزرق . لقد كان نصف انتاج مصنع الملح يغطي حاجة السوق الأردني كاملة والنصف الأخر يتم تصديره للعراق.

مشاكل مصنع الملح :-

اخبرني رئيس إدارة جمعية الأزرق التعاونية عن المشكلات التي يتعرض لها مصنع الملح . يتعرض مصنع الملح حاليا لازمة شديد تهدد بإغلاقه ، فبعد حرب الخليج سنة ١٩٩٠ وبسبب الظروف الاقتصادية السيئة والحظر المفروض على العراق تم إيقاف التصدير لمدة خمس سنوات، وقد اثر ذلك على المصنع تأثيرا سلبيا قويا ، وعاد العراق لاستيراد الملح سنة ١٩٩٧ ولكن ليس بشكل قوي كالسابق وذلك بسبب وجود اكثر من مصنع لإنتاج الملح في الأردن وخصوصا مصنع ملح الصافي ، وتم تجديد الرقابة وتطبيق المواصفات العالمية ، فقامت جمعية الأزرق التعاونية بتطوير المصنع بناء على وعد من شركة سويسرية بالحصول على منحة ولغاية الآن لم يحصل المصنع على تلك المنحة.

لقد تدهور وضع المصنع كثيرا بسبب الظروف الاقتصادية، وازداد الأمر سوء مع بدء تصنيع ملح الصافي من قبل مصنع البوتاس في البحر الميت، وهناك مشكلة غش وتزوير ملح الأزرق فيتم تفريغ كيس الملح وتعبئته بملح آخر ليس نقيا ثم يغلق. في السابق لم يكن يسمح لمصنع الملح ان يبيع الملح الصناعي الخام إلا بإذن وترخيص ، أما الآن فيستطيع أي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شخص الحصول على إذن بالتعبئة دون مراقبة وبهذا حدث تسيب كبير في السوق فصار الملح الخام يباع على انه ملح للمائدة وقد انعكس هذا الوضع سلبا على سمعة ملح الأزرق وجودته .

ان أزمة الخليج ، وظهور مصانع جديدة للملح مع ثبات حاجة الانسان للملح فالملح من المواد الضرورية والمحدودة ولا مجال للزيادة فيها بشكل يزيد شراء الناس اكثر ، كل هذه الأزمات جعلت الجمعية غير قادرة على دفع أثمان الملح لأصحاب الملاحات وهناك الكثير من العائلات التي تعتمد على الملح بشكل أساسي وتقيم وتسكن في الملاحات، وهم بوضع مادي سيئ ، إذ أن معظم المزارع في منطقة الازرق ليست لسكان الأزرق، وبهذا فان اعتمادهم ليس على الزراعة.

كانت كلفة المصنع عند تأسيسه حوالي مليون ونصف دينار، وقد كلف تطوير المصنع حوالي مليون وربع دينار، وتم تقييم كلفته الإجمالية بحوالي ثلاثة ملايين دينار، قامت الجمعية بعمل مشروع جماعي نتيجة تعرض المنطقة للكوارث الطبيعية والسيول التي اجتاحت المنطقة في شهر ١٩٩٤/١١ فقد كان المطر في ذلك العام غزيرا وجرفت السيول كل شيء في منطقة القاع وهدمت مباني الجمعية فيها وانجرف الحاجز الترابي الذي كانت تمشي عليه السيارات في منطقة الملح بالقاع وجرفت السيول محصول الملح ، فتضرر موسم الملح بشكل كبير في تلك السنة، قامت الدولة بتعويض أصحاب المزارع عن الخسائر التي لحقت بهم جراء السيول أما مصنع الملح فلم يحصل على أية تعويض .

من أسباب عجز المصنع انخفاض الأسعار بشكل عام، وقد أدى هذا الأمر إلى تخفيض عدد العاملين والموظفين في المصنع ، والدخول في منافسة مع المصانع الأخرى مما أدى إلى تدني الربحية، والتحكم في السوق بيد التجار لذلك ترى إدارة المصنع حاليا ان افضل طريقة للمنافسة هي عن طريق تقديم عروض مغرية للتجار. والمصنع الآن مدين بمبلغ مليون وستمائة ألف دينار، طلبت الدولة منهم تطوير المصنع وبعد أن قاموا بتطويره سمحت الدولة لشركة البوتاس بانتاج ملح الصافي ودخول السوق مما أدى إلى تولد عجز كبير في مصنع الأزرق .

- في عام ١٩٩٢ توقفت الأرباح بسبب أزمة حرب الخليج ومنع التصدير إلى العراق، ولم يقم المصنع بدفع ما يترتب عليه من أجور لأثمان الملح المستخرج .
- في سنة ١٩٩٣ كان الموسم سيئ بسبب وجود الغبار الكثير.
- في سنة ١٩٩٤ اجتاحت المنطقة كوارث بسبب السيول فدمرت ما قيمته مائة ألف دينار.
- في سنة ١٩٩٥ تم تطوير المصنع والدخول في منافسة مع المصانع الأحواض مما سبب إرهاق مادي كبير للمصنع وتراكم الفوائد التي بدأت تتزايد.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- وفي هذا العام ١٩٩٨/١٩٩٩ يبدو أن الموسم غير مبشر بسبب الجفاف وشح المطار .
هناك دراسة حاليا لتحويل المصنع إلى شركة مساهمة عامة ومحاولة البحث عن مستثمر للدخول كشريك .

نلاحظ مما سبق أن مصنع الملح له أهمية كبيرة عند سكان الأزرق فهو مورد الرزق الأساسي لمعظم السكان، وهو المورد البيئي الذي لم يتأثر كثيرا من التغيرات البيئية التي يتعرض لها الأزرق، فصناعة الملح لم تتأثر كثيرا بجفاف البرك والمستنقعات، ولكن هذا المصدر يتعرض لمشاكل من نوع آخر مشاكل اقتصادية وتسويقية، وقد تضرر المصنع كثيرا من حرب الخليج والحصار المفروض على العراق إذ أن نصف إنتاجه كان يصدر للعراق، والتهديد الذي يتعرض له مصنع الملح سيؤدي إلى إلحاق ضرر كبير بالسكان هناك ، ويهدد هذا النشاط الاقتصادي المتميز وما له من آثار إيجابية على البيئة فصناعة الملح صناعة آمنة لا تشكل تهديدا للبيئة، هذا عن توفيره لفرص عمل كثيرة لمعظم سكان الأزرق.

- ***مصانع أخرى :-***

يوجد في الأزرق مصانع أخرى تعود ملكيتها لأشخاص ، مثل مصنع الحلاوة في الأزرق الشمالي ومصنعين للثلج في الأزرق الجنوبي ، بالإضافة إلى معصرة زيتون أنشئت حديثا في الأزرق الجنوبي.

السياحة

تعد الموارد البيئية المتنوعة التي تمتاز بها الأزرق أسباب جذب سياحية، فالمنطقة تمتاز بالثراء في كل شئ الطيور الأسماك الحيوانات البرية المستنقعات والبرك والقصور والقلاع الصحراوية، لقد كانت الأزرق مكانا مثاليا لهواة الصيد وممارسة السباحة وزيارة القصور الأموية، وتعد فترة السبعينات وأوائل الثمانينات هي العهد الذهبي للسياحة في الأزرق، وازدادت أهميتها بعد ان قام نلسون بتأليف كتاب عن واحة الأزرق وانشاء المحميات الطبيعية فزاد ذلك في شهرتها على المستوى الدولي، فقامت وزارة السياحة بالاهتمام بالقصور الأموية في المنطقة وقامت بصيانة قلعة الأزرق، وإقامة منتجع واستراحة حكومية على نبع مياه ساخنة . كانت المياه الساخنة تنبعث إلى علو كبير، وكانت مهمة جدا للاستراحة أما الان فقد جفت، منذ حوالي ١٢ سنة جفت المياه الساخنة وكل السبخات في الأزرق نهائيا.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كان وجود المياه عامل جذب سياحي مهم، وجفاف هذه المياه أدى إلى قتل السياحة في المنطقة، فلم يعد الان ما يستحق الزيارة سوى محمية الشومري ومحمية الأزرق المائية وزيارة قلعة الأزرق والقصور الصحراوية، اما السباحة والصيد ومراقبة الطيور ورؤية الأبقار والجواميس والرحلات والجلوس تحت اشجار النخيل كلها اندثرت بسبب الجفاف وتصحر المنطقة .

ان الوضع الحالي للسياحة سيء، ويعتمد السكان في الأزرق على حركة القادمين من العراق والسعودية، ولكن المنطقة تأثرت بشكل سلبي بعد حرب الخليج وفرض الحصار على العراق، وكان لهذا الحصار اثر سلبي على جميع البلدان المجاورة، فالأوضاع السياسية غير المستقرة في المنطقة أدت إلى شل حركة السياحة في المنطقة، بالإضافة إلى المشكلات البيئة السالفة الذكر كل هذا جعل المطاعم والاستراحات والمنتجعات والفنادق ومختلف المرافق السياحية تعاني من ركود كبير حتى في فصل الصيف. واثناء تواجدي علمت ان هناك فندقا قديما معروض للبيع بسبب الركود الذي تشهده المنطقة، وزاد في ذلك انعدام السياحة الداخلية بسبب اختفاء عوامل الجذب السياحي السابقة وبسبب عدم توفر الماء والخضرة.

يوجد في الأزرق الشمالي فندقان، الفندق الاول تابع لمؤسسة الضمان الاجتماعي، واما الفندق الثاني فهو ملكية خاصة، ويوجد في الأزرق الجنوبي فندقان آخران غير مصنفين تعود ملكيتهما لاشخاص. حاليا هناك بعض النشاط السياحي من الوفود السياحية من السياح الإسرائيليين وعرب فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ، ومعظم هذه الوفود تقصد زيارة قلعة الأزرق.

وقد زرت احدى الاستراحات ولم يكن بها زوار بتاتا وقال لي صاحب الاستراحة ان الاستراحة منذ أربع ايام بدون زبائن ، حتى الرحلات المدرسية اختفت تماما بسبب جفاف المنطقة وعدم وجود المياه فالمياه كانت عامل جذب سياحي مهم يقول صاحب الاستراحة **(زرعنا معرش عنب في المنتزه وكان في البداية جيدا وبسبب انخفاض منسوب المياه في الآبار فقد اصبحت المياه مالحة وماتت أشجار العنب والجوز والليمون، والنخيل لم يعد كما كان في السابق فهو بحاجة إلى سقاية وإلا سيجف).**

نستنتج مما ذكر إليها الأزرق التي كانت جنة في وسط الصحراء، وخطط لها كي تكون متنزه قومي كبير في الأردن يحتوي على مختلف النباتات والحيوانات البرية والطيور والأسماك والخيول والجواميس والنخيل والينابيع والبرك والمستنقعات، ولكنها اصبحت مكانا ينفر الزائر منه يثير الملل والانقباض في النفس فلا يجد الزائر فيه إلا الغبار والاتربة، ولا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يرى فيه إلا الشاحنات وناقلات النفط. لقد كانت البيئة هي الركيزة الأساسية للسياحة في الأزرق، وكان تدمير السياحة نتيجة طبيعية لتدمير البيئة.

معظم الأنشطة الاقتصادية التي كان يعتمد عليها السكان اختفت وحلت محلها أنشطة اقتصادية جديدة، ومعظم الأنشطة الاقتصادية التي يعتمد عليها السكان حاليا تختلف عن الانشطة السابقة ، وغالبيتها ليس لها علاقة قوية بالاعتماد على الموارد البيئية، وفي دراسة لمشروع المحافظة على واحة الأزرق، يظهر فيه توزيع القوى العاملة في الأزرق على القطاعات المختلفة ، يظهر ان معظم القوى العاملة في الأزرق تعمل في المجالات التالية وهي حسب الترتيب: في مصنع الملح، يليه العمل في الدوائر الحكومية والتجارة، والخدمات العامة، والجيش، والزراعة، والمشاريع الخاصة (Azraq oasis conservation project, 1996: 33).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الخامس

المشكلات والتغيرات البيئية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المشكلات

تتعرض الازرق لمشكلات إدارية مختلفة وبعض هذه المشكلات نابع من طبيعة وتركيب المجتمع، وبعضها الآخر يتعلق بقرارات تصدر بشأن الأزرق، ولأهمية هذه المشاكل وارتباطها بالبيئة فقد ارتأيت ان أوردها مع المشكلات والتغيرات البيئية المختلفة. وهذه بعض المشكلات في الأزرق.

▫ مشكلة الأراضي

تصنيف الأراضي:-

لقد صنفت الأراضي وفقا لقوانين الدولة العثمانية، وبعد صدور قانون تسجيل الأراضي في عام ١٨٥٨م إلى عدة تصنيفات:-

١- **الأراضي المملوكة(أراضي الملك):** وتشمل الأراضي التي تكون ملكية الأرض فيها مطلقة تكفل حرية المالكين في التصرف بها كما يشاؤون، ويشمل هذا الصنف على نوعين من الحقوق هما: أ- الحقوق المطلقة للملكية. ب- حق التصرف أو الانتفاع بالأرض.

٢- **الأراضي الأميرية (ميرية):** وهي الأراضي التي تملكها الدولة، ويمنح الأفراد حرية التصرف بها، ولا تقوم الدولة باستغلال الأرض مباشرة بل تترك أمر استغلالها لصاحب الحق للتصرف بها.

٣- **أراضي الوقف:** وهي التي يتم وقفها وتخصيصها لأغراض واهداف دينية. وهذا النوع من الأراضي غير قابل للتحويل أو الإلغاء أو البيع أو الشراء، وتدار أملاك الوقف من قبل إدارة خاصة، وهذا النوع كان يسمح للملاكين بإبقاء ملكياتهم محمية من الحكومة.

٤- **الأراضي المتروكه:** وهي التي تخصص لأغراض واستخدام المنفعة العامة مثل البيادر والساحات العامة، وتكون ملكية الأراضي حقا مكتسبا للدولة، ويتم التصرف بها قانونيا بأشراف الدولة، ويحق لجميع الأفراد الانتفاع والاستفادة منها بدون ان يؤثر ذلك على ملكيتها.

٥- **الأراضي الموات:** وهي الأراضي غير المستغلة والتي لا يمكن استغلالها بأي طريقة لأنها غير صالحة للزراعة، وتعود ملكيتها للدولة، ولكنها غير مسجلة ويقع هذا الصنف ضمن الأراضي الأميرية. (Warriner, 1962: 66).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد ظلت هذه التصنيفات قائمة حتى انتهاء الحكم العثماني ونشوء امارة شرق الأردن سنة ١٩٢١. ويتضح مما سبق ان أراضي الازرق كانت تصنف ضمن الأرض الموات، والأرض الموات هي الأرض البعيدة عن القرى والقصبات الى درجة لا يسمع بها من اقاصي العمران صيحة الصوت الجهوري، وهي تقديرا تبعد عن اقصى العمران مسافة ميل ونصف.

*اصناف الأراضي في الوقت الحاضر:-

١- الأراضي الملك: وتشمل جميع قطع الأراضي التي تدخل حدود البلدية.

٢- الأراضي الأميرية: وهي الأراضي الزراعية التي تقع خارج حدود البلدية.

٣- الأراضي الوقف: وهي الأراضي التي يتم وقفها لجهة خيرية أو اشخاص.

٤- الأراضي المتروكة: وهي الأراضي تدخل ضمن المرافق العامة والمنافع.

٥- الأراضي الموات: وهي الأراضي غير الممسوحة وتكون ملكا لخزينة الدولة بدون منازع ويجري تفويضها لاصحاب الحق فيها وذلك بعد فرز تلك الأملاك ومسحها. وهي الأراضي التي يقل فيها معدل سقوط الامطار عن ٢٠٠ملم سنويا. وتشمل جميع الأراضي الواقعة إلى الشرق من الطريق الصحراوي من المفرق وحتى العقبة باستثناء بعض الأراضي التي تم مسحها في البادية الشمالية والأزرق .

لقد أعدت دائرة الأراضي والمساحة برنامجا لاعمال المساحة التي تتواجد فيها أملاك الدولة بما يتفق وأهميتها ونوع الاستغلال المناسب لها مبتدئة بمنطقة الأزرق باعتبارها من أهم المناطق القابلة للزراعة المروية والتي كانت هدفا لتجار الأراضي وبعض المهتمين بالزراعة، وتم مسح ما يقارب المليون ونصف الدونم، جرى تسجيلها بفترة سابقة باسم خزينة المملكة الأردنية الهاشمية بقرار من مجلس الوزراء على ان يتم تأجيرها فيما بعد بقصد الاحياء ومن ثم تفويضها حسب الأولويات والإجراءات التي تضمنها قانون إدارة أملاك الدولة إلا ان إجراءات التأجير لم يباشر(*) بها لغاية الان بسبب الموازنة المائية التي غيرت النظرة إلى المنطقة واعطت الأولوية لمياه الشرب.

نلاحظ من هذا الاستعراض التاريخي لتصنيف الأراضي، ان أراضي الأزرق كانت تصنف ضمن الأرض الموات والتي تعود ملكيتها لخزينة الدولة، ولكن بعد نشوء قرى الأزرق واستقرار الجماعات السكانية فيها تغيرت طبيعة استملاك هذه الأراضي، فقد قامت الدولة بتقسيم بعض الأراضي على السكان في الأزرق وسمحت لهم باستملاكها، ان هذا

(*) تم الحصول على هذه البيانات من دائرة الأراضي والمساحة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التحول الكبير في استملاك الأراضي من أرض موات إلى أرض ملك، احدث تغيرا كبيرا في البنية الاقتصادية والاجتماعية لدى السكان، وبرزت الأهمية الاقتصادية والقيمة المادية للأراضي بشكل واضح تسبب في الكثير من المشكلات، وتعتبر مشكلة الأراضي سواء الأراضي الزراعية او الأراضي السكنية من أهم المشكلات التي يعاني منها الأزرق، وتعاني المناطق الشرقية في الأردن عموما والأزرق خصوصا من مشكلة الأراضي، ومرد ذلك إلى تغير طبيعة استملاكها، وقد أدى هذا التغير إلى بروز الكثير من المشكلات بين الجماعات المختلفة، وساهمت العشوائية وضعف المراقبة وعدم تطبيق العقوبات بحق المخالفين في الحصول على الأراضي بتنامي هذه المشكلة التي أثرت سلبا على البيئة والإنسان. في عهد كلوب باشا تم التعارف على الأراضي الواقعة غرب سكة الحديد بأنها واجهات عشائرية، اما الأراضي الواقعة شرق السكة فقد اعتبرت كمراع وأراض للجيش. وقد قسمت الأزرق بشكل متعارف عليه بين الجماعات آنذاك إلى قسمين ازرق الشيشان وازرق الدروز.وتعد مشكلة الواجهات العشائرية من اكبر المشاكل التي تتعلق بالاراضي في البادية وخصوصا البادية الشرقية.

تبرز في منطقة الأزرق مشكلة الواجهات العشائرية أو الـ **(المقاسم العشائرية)** ، وترتبط تسمية المقاسم العشائرية بفكرة التوطين والاستقرار التي تبنتها حكومة إمارة شرق الأردن منذ البداية وسعت لتطبيقها على جميع العشائر التي كانت تعتمد في معيشتها على الحل والترحال طلبا للكلأ وتربية الماشية التي كانت المورد الأساسي للرزق، وكانت تلك العشائر بطبيعة الحال تقيم على أطراف البادية في الشمال وعلى امتداد الطريق الصحراوي من المفرق وحتى راس النقب والقويرة /العقبة بالإضافة إلى بعض التجمعات الأخرى في الديسة والمدورة والجفر وباير، وقد نصت أحكام قوانين وأنظمة وادارة أملاك الدولة رقم ٦٠ لسنة ١٩٦٤ على السماح بالادعاء بالمقاسم العشائرية والتنازل عنها أمام مخافر الشرطة وبموجب ذلك حددت قيادة شرطة البادية الأراضي المشار إليها كمقاسم لتلك العشائر وتم وصفها بحدود ومواقع حسب طبيعتها لسهولة التعرف عليها عند حدوث أي نزاع فيما بينها، وقد ساعد هذا التقسيم على استقرار تلك العشائر في أماكن تواجدها واستبدال القسم الاكبر منها حياة التنقل بحياة الاستقرار وكسب العيش بوسائل أخرى كزراعة الحبوب على نطاق ضيق خصوصا بعد ان وفرت الحكومات المتعاقبة مجالات التربية والتعليم بكافة مستوياتها.ولما كانت معظم الأراضي التي تشملها المقاسم من النوع الخامس من أملاك الدولة أي ما يسمى بأراضي الموات أو المراعي والتي يقل معدل سقوطها عن ٢٠٠ ملم سنويا وهي على هذا الأساس لا تصلح للزراعة البعلية ولم تكن فكرة البحث عن المياه الجوفية متوفرة في ذلك الحين المتقدم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من عمر الإمارة، فقد اتجهت أعمال المساحة إلى تسوية ومسح الأراضي الزراعيـــة التـــي تتوفر فيها معدلات سقوط أمطار عالية.

وبعد حرب ١٩٦٧ توجه الاهتمام إلى مسح أراضي المدن والقرى ضمن حدود البلديات،وفـي أوائل السبعينات شهدت البلاد نشاطا متزايدا في قطاع الأراضي فاخذ الطلب يشتد على حيازة الأراضي بشتى الوسائل فاتجهت الأنظار لاستغلال المقاسم العشائرية التي صار يتـم التنـازل عنها بحجج بيع خارجية لبعض تجار وسماسرة الأراضي، مما اقتضى التدخل بوضع قـانون إدارة أملاك الدولة لسنة ١٩٧٤ وإلغاء القانون والنظام السابقين وادخلت فكرة إحيـاء الأرض محل المقاسم العشائرية، وباشرت دائرة الأراضي والمساحة بأعمال المسح الشامل فـي تلـك المواقع واعلان التسوية في الأراضي الزراعية التي تتواجد ضمنها تجمعات سكنية لتمليكـهم إياها على غرار ما تم في بقية مدن وقرى المملكة وعن طريق التفويـض والتـأجير بقصـد الإحياء بالاستناد لاحكام قانون إدارة أملاك الدولة في الأرض المسجلة باسم الخزينة والتي لـم تستغل في السابق من قبل المدعين بالمقاسم العشائرية(وزارة التخطيط، ١٩٨٩ : ٩-١٠).

تتضح مشكلة المقاسم العشائرية في المناطق المحيطة بالازرق وخصوصا في المربات الزراعية الخصبة(المرب: هو المنطقة التي يستقربها السيل حيث يمتاز بالتربة الخصبة نتيجـة الطمي الذي جلبه السيل واستقر فيها)، وتكثر المربات حول الأزرق بسـبب كـثرة الاوديـة والسيول، ومن هذه المربات؛ مرب القطافي والمقلى والشبيكة وحسان وغيرها، وغالبية هـذه المربات تحت وضع اليد من قبل عشائر السرحان والجبلية.

لم يهتم سكان الأزرق في البداية بامتلاك الأراضي، ولكن شـق الطـرق الدوليـة وازدهار التجارة أعطى المنطقة أهمية كبيرة ، مما جعل بعض كبار المسـؤولين يتنبـهون لأهمية المنطقة فحصلوا على قطع أراض فيها، وهذا ما جعل الكثيرين يحضرون من منـاطق مختلفة للسكن في الأزرق بهدف الحصول على الأراضي. وقد قيل لي ان أحد المسـؤولين السابقين في الازرق سابقا كان يعطي وصولات لمواطنين من خارج المنطقة لقـاء خمسـة دنانير كضريبة شخصية تثبت ان الشخص مواطن فـي الأزرق وبـهذا يصبـح مـن حقـه الحصول على أرض ، ومشكلة الأراضي تتجلى بوضوح فـي الأزرق الجنوبـي، وقـد تركت هذه المشكلة أثرا سيئا على الحياة الاجتماعية للسكان وولدت نزاعات وصراعات خفيـة بين الفئات المختلفة ، ففي سنة ١٩٧٥ قسمت الأراضي بين البـدو والشيشـان فـي الأزرق الجنوبي فحصل كل نفر على ثمانية دونمات، وقام السكان فـي الأزرق الشـمالي بتوزيـع الأراضي الواقعة شرقي شارع بغداد فيما بينهم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وطبقا لسجلات دائرة الأراضي والمساحة فقد تم تقسيم عدة احواض في الأزرق على فترات متعاقبة، ففي الأزرق الشمالي هناك (حوض٢ ، حوض ١٧ بني معروف، حوض٣ القصر، حوض١٣ الرتامة، حوض العلم الابيض)،وفي الأزرق الجنوبي (حوض ٧ الناحية، حوض ١١ العرب، حوض ٣ النادي، حوض ١٢ مدينة الحجاج).

ان الأراضي المختلف عليها حاليا فهي الأراضي الواقعة غربي الأزرق وتقدر مساحتها ب٢٧ الف دونم، ويقع فيها مصنع الملح وتعتبر إداريا ضمن الأزرق الجنوبي. هذه الأراضي هي مثار نزاعات بين الجماعات فكل جماعة تريد ان تستأثر بالنصيب الأكبر لاعتقادها بأحقيتها في ذلك، يرى البدو في الأزرق انهم احق الناس بالأراضي، فهم أهل هذه المنطقة أصلا وهم الأقدم وهم الذين ودافعوا عنها وحموها بدمائهم. وقد كانت النزاعات في البداية بين الشيشان والصخور، وهي الان بين الشيشان والحويطات، فالشيشان يرون انهم عاشوا اوقاتا عصيبة وتحملوا مختلف الظروف القاسية في هذه المنطقة، وهم اقدم جماعة وهم المؤسسون للأزرق الجنوبي ويطالبون بنصيب اكبر من غيرهم ، في حين ان الحويطات موطنهم الجفر ولهم أراض قاموا بتوزيعها فيما بينهم وحصل كل على نصيبه في الجفر .

يتجلى الصراع الحالي على الأراضي بين جماعتين: **جماعة السكان القدماء**؛ وتضم الشيشان، الصخور، الديرية ،عائلات عنزة . **وجماعة السكان الجدد**؛ وتضم الحويطات، والفلسطينين، ويقول السكان **الجدد**: ان **القدماء** قد اخذوا حصتهم سابقا أما الان فنحن مثلهم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات ونمتلك جوازات سفر أردنية وندفع الضرائب ولنا الحق في توزيع الأراضي بالتساوي، أما الدروز فقد وزعوا الأراضي فيما بينهم وليس هناك خلافات تذكر، ويقول رئيس مجلس قروي الأزرق الجنوبي ان السكان يطالبون الان بتوزيع آخر للأراضي، ولكن لا مجال لأرضاء واعطاء الجميع فقد كثر عدد السكان الذين سكنوا الأزرق حديثا ، وحاولنا إعطاء السكان القدماء حصة كاملة، اما الجدد فقد أعطيناهم ترضية، ولكنهم اعترضوا على هذا التوزيع مما أدى إلى وقف التوزيع، وما دام هناك اعتراض فان الدولة تبقي الحال على ما هو علية وقد طالب وزير لزراعة بتخصيص كل هذه الأراضي للحراج .

ان مشكلة توزيع الأراضي صعبة جدا وخصوصا الأراضي الواقعة بين الازرقين في وادي الرتامة وقد سمعت ان بعض البدو حضروا من مناطق أخرى واقاموا خيامهم هناك مطالبين بتلك الأراضي، وسجلوا أولادهم بالمدارس ويقومون بدفع الضرائب ويطالبون بأرض ما بين الازرقين ، والذين سكنوا الأزرق حديثا أيضا يطالبون بحصة، ويشتكي أهل الأزرق الجنوبي من وقوع قريتهم في منطقة محصورة ولا مجال للتوسع فيها، وقد وصف أحد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبناء الأزرق هذا الوضع بان قال ان الأزرق الجنوبي منطقة (مشيك عليها) فمن الجنوب تحدها واجهات عشائرية ومن الشمال وادي الرتامة ومن الشرق المحمية المائية، ومن الغرب القاعدة الجوية .

نلاحظ ان الخلافات على الأراضي تتركز في الأزرق الجنوبي دون الشمالي وذلك لانعدام التجانس الاجتماعي والثقافي في الأزرق الجنوبي في حين ان الأزرق الشمالي يمتاز عموما بالتجانس.

مشكلة الأراضي مشكلة ظهرت حديثا بسبب تنبه السكان وبعض الجماعات من خارج الازرق للقيمة الاقتصادية والمادية للأراضي، وقد أثارت هذه المشكلة الكثير من الحسد والطمع والصراع بين السكان، وكل هذا أدى إلى ظهور حالات الاعتداء على الأراضي ووضع اليد على أراضي الدولة. وقد ساهم في تعميق هذه المشكلة توفر الأراضي الزراعية المحيطة بالازرق بأسعار زهيدة وبشروط ميسرة وعدم تشدد الدولة في تطبيق سياسة ناجعة وحازمة في ادارة الأراضي المملوكة للخزينة. ويشكل التوسع في امتلاك الأراضي ضغطا على الحوض المائي المهدد بالتلوث.

▫ مشكلة دمج الازرقين

من اهم المشاكل الإدارية التي يعاني منها الأزرق، مشكلة دمج الأزرق الشمالي والازرق الجنوبي ضمن بلدية واحدة، فالأزرق حاليا يتألف من؛ بلدية الأزرق الشمالي، ومجلس قروي الأزرق الجنوبي. وقد عرضت وزارة البلديات على سكان الأزرق الجنوبي تطوير المجلس القروي إلى بلدية لكنهم رفضوا، ولهذا الرفض عدة الأسباب تتردد بين الناس، منها ان السكان يرفضون فكرة البلدية لان الضرائب ورسوم الخدمات ستكون اعلى، ومنها ان الشيشان يرفضون فكرة البلدية لان عددهم قليل وإذا تحولت إلى بلدية فان الانتخابات ليست في صالحهم ولن يكون منهم رئيس المجلس القروي لأنهم عددهم قليل.

وقد صدر قرار من رئاسة الوزراء بإنهاء جميع المجالس القروية في المملكة ودمج أي مجلس قروي إلى اقرب بلدية، احتج الشيشان ورفضوا الانضمام إلى بلدية الأزرق الشمالي بحجة أنها بلدية تخص طائفة، واشترطوا أن يكون نصف الاعضاء من الأزرق الجنوبي، ولكن الدروز رفضوا ذلك لان عددهم ضعف عدد سكان الأزرق الجنوبي، كل هذا أدى إلى توقف العمل بالقرار وبقي الحال على ما هو عليه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ان مشكلة صعوبة دمج الازرقين في بلدية واحدة ترجع لأسباب مذهبية وديموغرافية، فعدم التجانس المذهبي بين سكان الأزرق الشمالي والجنوبي وزيادة عدد سكان الأزرق الشمالي على الجنوبي بما يزيد على الضعف، كل هذه الأسباب حالت دون هذا الدمج ، اما مشكلة رفض تحويل المجلس القروي إلى بلدية فهي ترجع لأسباب إثنية وديموغرافية ايضا، إذ ان عدم التجانس العرقي والثقافي بين سكان الأزرق الجنوبي وتقلص أعداد الشيشان في الأزرق بسبب استقرار بعضهم في صويلح وغيرها جعلهم أقلية صغيرة العدد تحاول الدفاع عن حقوقها واثبات وجودها.

ان جميع هذه الصعوبات أدت إلى لبس في التسميات والتصنيفات الادارية، فاحيانا تدعى بمدينة الأزرق واحيانا بقرى الأزرق واحيانا ببلديات الأزرق.

- **مشكلة ترحيل أهل الأزرق**

تعرض أهل الأزرق في الثمانينات إلى مشكلة كبيرة فقد صدر قرار من رئيس الوزراء آنذاك بترحيلهم بحجة تلويث الينابيع، وكانت هناك لجنة في البداية لدراسة شبكة المجاري، إذ لا يوجد مجاري في الازرق وذلك لأمور فنية، حيث ان الملوحة الزائدة تؤثر على الاسمنت والحديد، والبديل الذي لا يتاثر بالملوحة يحتاج لتكلفة عالية.

يقول رئيس مجلس قروي الأزرق الجنوبي ان السكان في الأزرق قاموا بالاحتجاج وراجعوا المجلس الوطني الاستشاري آنذاك، وقد لوحظ ان معظم الموقعين على الوثيقة الاولى هم نفس الموقعين على الوثيقة الثانية، وتنص الوثيقة الاولى على ان المجاري هي لعدم تلويث المياه في الأزرق، أما الوثيقة الثانية فتنص على ان ترحيل أهل الازرقين هو الحل، وان الشخص الذي قرر عدم صلاحية المجاري تبين فيما بعد انه لم يزر الأزرق في حياته، وقد قام هذا الشخص فيما بعد بالاعتذار عن قراره، بعد ذلك بدأت الصحف تتحدث عن عملية ترحيل الازرقين، وتم القيام باعداد مخططين، مخطط سكني لتوطين أهل الأزرق إلى الغرب من الأزرق ، ومخطط آخر لتطوير المنطقة سياحيا، وهذا تناقض شديد إذ ان المرافق السياحية تحتاج ايضا إلى مجاري، ان هذا التناقض سارع في صدور قرار بعدم ترحيل أهل الأزرق، ثم زار الملك حسين الازرق بمناسبة احتفالات اليوبيل الذهبي وطمأن الناس بانه لا يوجد ترحيل، وبعد ذلك صدر قرار بإلغاء عملية الترحيل.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ان مسألة ترحيل سكان الأزرق تركت أثرا سيئا عند أهل الازرق، فهم يشتكون من القرارات التي تتعلق بالازرق تتخذ من المكاتب ولا يكلف المسؤولين أنفسهم عناء الذهاب إلى الأزرق. ويذكر أهل الأزرق ان عملية الترحيل جعلت أهل الأزرق يفتقدون الشعور بالاستقرار.

- مشكلة إغلاق الآبار :-

لقد سارت الأمور في السابق بتشجيع السكان على الزراعة، ويتم تسجيل الأرض باسم الشخص بمجرد زراعتها والعمل فيها، ولكن بعد مرور ثلاثين عاما من التشجيع على الزراعة، صدر قرارا بإغلاق الآبار في الأزرق وتم إعطاء المواطنين مهلة لمدة اسبوعين لإغلاق الآبار وإلا ستقوم الدولة بإغلاقها، والذين يمتلكون رخص للآبار لن تغلق آبارهم، اما الذي لا يمتلكون رخص فسيتم إغلاق آبارهم، ومعظم الذين يمتلكون رخص للآبار هم من المتنفذين من خارج الازرق، واما باقي المواطنين في الأزرق فليس لديهم رخص للآبار. ثم تقرر بعد ذلك وضع عداد على كل بئر ماء بحيث يكون ثمن المتر الواحد من المياه خمسة عشر قرشا، ويتبرم السكان من هذا القرار لأن تكلفة الشجرة الواحدة عندئذ ستصبح مائة دينار من المياه، وهذه كلفة عالية تفوق ما تنتجه الشجرة من محصول. وبهذا تصبح الزراعة غير مجدية ويتعرض المزارع للخسارة.

لاقى هذا القرار احتجاجا لدى السكان واصحاب المزارع الصغيرة لشعورهم بالغبن بسبب عدم المساواة في تطبيق القرارات وقد تسلمت وثيقة احتجاج مرسلة من أحد وجوه السرحان في الأزرق أبو عبد الله بتفويض من أهل الأزرق وهذا بعض منها (**في غمرة احتفالاتنا بعيد راس السنة الهجرية نقلت إلينا الصحف الأردنية إعلانا خطيرا نزل على رؤوسنا كالصاعقة، صادر من معالي وزير المياه والري ينذرنا فيه بردم جميع آبارنا بحجة أنها مخالفة لقانون١٩٧٧ وما علم معاليه ان معظم الآبار حفرت قبل هذا القانون بسنوات طويلة وبناء على تشجيع وتوجيه من كبار رجال الدولة في ذلك الزمن أمثال المرحوم وصفي التل الذي شجعنا على استقدام الحفارات لتعميق آبارنا القديمة التي كانت محفورة يدويا قبل ذلك التاريخ باكثر من اربعين سنة وطلب من التوسع في اعمار الأرض واستصلاحها كي نتحول من مجتمع مستهلك إلى مجتمع منتج وكان هذا الحفر يتم جهارا نهارا وعلى مرأى ومسمع من مسؤولين كبار في الدولة ومباركتهم، وقد صدر عفو سنة١٩٧١ بترخيص هذه الآبار. ويوجد الان مئات المزارع وملايين أشجار الزيتون**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأشجار المثمرة والعديد من حقول الأعلاف، وقد تكبد الناس ملايين الملايين في سبيل ذلك .....).

مشكلة إغلاق الآبار هي مشكلة قرارات وأهل الأزرق يتبرمون من القرارات التي تصدر دون الأخذ بعين الاعتبار حاجات السكان، وتناقض القرارات جعل الناس يشعرون بالحيرة وعدم الاستقرار فبعد ان تمت زراعة مساحات شاسعة من الأراضي تعتمد اساسا على مياه الآبار تصدر قوانين لاحقة بإغلاق الآبار وهذا يشكل تهديدا لجميع المزارع في الأزرق وخصوصا لأهل الأزرق.

واستنتج مما ذكران الأزرق تعاني من مشكلة كثرة القرارات وعدم انسجامها، وهذا وضع تتصف به معظم البلدان النامية، فالقرارات ليست وقائية بل علاجية وعلاجية متأخرة وفي غير وقتها وموقعها، ومشكلة القرارات التي تتعلق بالبيئة في الأزرق تصدر دائما متأخرة. فبعد عقود طويلة من الصيد الجائر الذي كان متبعا ولفترة طويلة، يمنع الصيد في الأزرق ولكن بعد انقراض أعداد كبيرة من الحيوانات والطيور، مع انه كان بالإمكان تدارك هذا الوضع الخطير في وقت سابق.

وبعد لجوء الدروز والشيشان وتشجيعهم على الاستقرار في الأزرق لمدة خمسين سنة ومنحهم الأراضي، وبعد توافد الكثيرين من البدو والفلسطينيين واستقرارهم في الأزرق وتعرض المنطقة لزيادة سكانية، يصدر قرار بترحيل سكان الأزرق بحجة تلويث الحوض.

وبعد التشجيع على الزراعة لمدة اربعين سنة وإنشاء الكثير من المزارع وسهولة الحصول على الأراضي يصدر قرار بإغلاق الآبار بحجة استنزاف وتملح المياه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التغيـــرات البيئيـــة

تعرضت واحة الأزرق إلى تغيرات بيئية متســـارعة أدت إلـــى اضطـــراب التـــوازن الايكولوجي فيها ويقصد **بالتوازن الايكولوجي** هو(**استمرار أو بقاء عناصر البيئة الطبيعيـــة على حالتها دون تغيير جوهري يذكر في خصائصها الكميـــة أو النوعيـــة**) . ويعنـــي هـــذا التعريف أنه إذا ما تدخل الإنسان في البيئة واحدث تغييرا جوهريا في خصـــائص عناصرهـــا سواء من الناحية الكمية أو النوعية، تضطرب العلاقة بين عناصر النظام ويحدث ما نسميه – **-الخلل أو فقد الاتزان الايكولوجي-** (عبد المقصود، ١٩٩٧: ٦٩).

وقد أدى هذا الاختلال إلى بروز كثير من المشكلات للبيئة والإنسان في الأزرق، ومن أهـــم مظاهر الخلل الايكولوجي:-

- **تملح واستنزاف مياه حوض الأزرق الجوفية.**

يعني استنزاف الموارد الطبيعية (**تقليل قيمة المـــورد أو اختفائـــه عـــن أداء دوره العادي المحدد له في منظومة الحياة**). (عبد المقصود،١٩٩٧: ٨٠).

*يبلغ معدل تغذية المياه الجوفية بحوالي ٤٤ مليون متر مكعب سنويا. ومصدر هـــذه الميـــاه هي الجزء الذي يتسرب إلى داخل الأرض من مياه الامطار ومن المياه السطحية التي تســـيل في الاودية وتتجمع في المنخفضات. بينما تبلغ كميات المياه المستخرجة من آبار سلطة الميـــاه ة الآبار الخاصة في الحوض بحوالي ٤٧-٥٠ مليون مترا مكعبا فـــي الســـنة. أي ان العجـــز المائي السنوي بالنسبة للمياه الجوفية يتراوح ما بين ٣ و ٦ مليون مترا مكعبا وقد تسبب هـــذا الضخ الجائر في هبوط منسوب المياه الجوفية بمعدل ٦٠ سنتمرا في السنة.

ان استمرار هذا الهبوط أدى إلى جفاف الينابيع التي تغذي البرك والمســـتنقعات التـــي اشتهرت بها واحة الازرق، كما يؤدي استمرار هبوط منسوب المياه الجوفيـــة إلـــى تـــردي نوعية هذه المياه بحيث تصبح مسوسا (خليط من المالح والعذب) أو حتى مالحة. وأدى هـــذا إلى الإخلال بالتوازن الهيدروليكي ما بين الطبقات العليا الحاملة للمياه العذبة والطبقات العميقـــة الحاملة للمياه المالحة، إذ تتسرب المياه المالحة إلى اعلى لتختلط بالمياه العذبة وتزيد في نسـبة الأملاح فيها، أما التسرب إلى أعلى فهو بفعل الضغط الواقع على الطبقات العميقة والذي لـــم يعد ضغط الطبقات العليا يعادله بعد الهبوط الكبير في منسوب المياه في تلك الطبقات.(*)

(*) تم الحصول على هذه المعلومات من سلطة المياه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توسعت الزراعة في الأزرق بشكل ملحوظ في الثمانينات وخصوصا في مناطق الدغيلة والعين البيضاء والعوشق والتي تعتمد اعتمادا رئيسيا على المياه الجوفية، وقد توسعت المزارع بشكل كبير في التسعينات، حتى بلغ عدد الآبار المحفورة ٣١٠ بئر ضحل و١٤٠ بئر عميق، ومعظم هذه الآبار غير مرخص، مما أدى لزيادة استخراج المياه من مليون متر مكعب في سنة ١٩٨١ إلى ٢٢ مليون مكعب في ١٩٨٨، وهذا بدورة إلى زيادة الاستنزاف وظهور التملح في الآبار، ويزداد التملح كلما انخفض منسوب المياه الجوفية في الطبقة العلوية مما يشكل خطورة على الحوض كله.

- **التعاقب البيئي Ecological Succession.**

ان عملية التعاقب بحد ذاتها هي تطور منظم في الأنظمة البيئية في المنطقة الواحدة حيث يتعاقب على نفس المكان من الأرض مجتمعات حيوية مختلفة . فالتعاقب يحدث نتيجة لتغير العوامل الحية وغير الحية في بيئة معينة فينتج عنه نشوء مجتمع حيوي جديد بدلا من المجتمع الحيوي السابق. هناك نوعان من التعاقبات البيئية: ١- **التعاقب الاولي** ، ٢- **التعاقب الثانوي**؛ والتعاقب البيئي الاولي يحصل في الاماكن التي تعرضت إلى دمار للنظام البيئي فيها. يتأثر التعاقب البيئي بعدة عوامل بيئية وبيولوجية تشمل: ١. المنطقة وخصائص التربة فيها ٢. الحرائق ٣. إزالة الغابات للاغراض الزراعية أو التجارية ٤ . الرعي الجائر بواسطة الحيوانات (الديسي، ١٩٩٧ :٢٨٧).

ويحصل التعاقب البيئي الثانوي عندما يتم تدمير مجتمع الذروة الحيوي وتراجع في الغطاء النباتي في طور متقدم نسبيا من أطوار التعاقب الاولي ويطلق على هذه العملية مصطلح **التعاقب التراجعي** الذي يصف ابتعاد الغطاء النباتي عن الذروة. ويعزى سبب حدوث التعاقب الثانوي إلى:

-عوامل طبيعية: كالحرائق الطبيعية، والفيضانات، والجفاف، والرياح السريعة، والأمراض التي تفتك بالنباتات.

-عوامل بشرية: وذلك بقطع الأشجار أو حرقها أو تدميرها بالمبيدات أو عن طريق الرعي الجائر أو سوء استغلال الأراضي لأغراض الزراعة، والتلوث، والتوسع العمراني والنشاطات الصناعية (الديسي، ١٩٩٧ : ٢٧٢).

لقد تعرضت البيئة في الأزرق إلى سلسلة من التعاقبات البيئية عبر الازمان، ولكن الأزرق تعرضت في السنوات الاخيرة إلى تعاقب بيئي تراجعي وخصوصا في منطقة البرك والمستنقعات، وهو ما يسمى بالتعاقب المائي حيث تعرضت بيئة المستنقعات إلى تغير إلى

© Arabic Digital Library Yarmouk University

نوعية الكائنات الحية التي كانت سائدة وحلت محلها أنواع أخرى تكيفت مع البيئة الجديد. وتعرضت منطقة المراعي إلى عملية تعاقب بيئي بسبب التغيرات في الكائنات الحية وخصوصا الغطاء النباتي.

لقد تعرض مجتمع الذروة الحيوي في الأزرق إلى تدمير فاختفت اشجار النخيل وتقلصت مساحات الحلفا ، كل هذا إلى تغير في نوعية ومساحة الغطاء النباتي، وانواع الحيوانات، حتى تتلائم مع البيئة الجديدة.

- **التصحر**

يعرف التصحر بأنه (إحداث تغير سلبي في خصائص البيئة الحيوية(البيولوجية) بما يؤدي إلى خلق ظروف أقرب إلى الظروف الصحراوية أو أكثر جفافا).

(عبد المقصود، ١٩٩٧ : ١٣٩).

أدى جفاف البرك والينابيع إلى ظهور علامات الجفاف والتصحر في المنطقة، وتسبب في موت الأسماك، وجفاف المستنقعات، وتدهور الغطاء النباتي، وانحسار المراعي واختفاء أنواع كثيرة من النباتات والأعشاب. وقد ساهم الرعي الجائر في منطقة الأزرق إلى زيادة التصحر، هذا وقد أدى تملح الآبار إلى فشل وخراب الكثير من المزارع التي أنشئت حديثا .

- **توقف هجرة الطيور**

لقد ادى جفاف البرك والينابيع أدى إلى توقف هجرة الطيور الموسمية التي كانت ترتاد منطقة الأزرق لوجود المياه والنباتات والحيوانات ولدفء المنطقة، وكان يصل عدد الطيور في الازرق حوالي المليون في فترة الستينات والسبعينات في أثناء هجرة الربيع، وتم إحصاء حوالي ٢٨ نوعا من الطيور المائية التي تتكاثر في الأزرق وكان يرتاد المنطقة اكثر من مائة ألف من الطيور المهاجرة في فصل الشتاء. وتعتبر الطيور محط اهتمام دولي، وتقدم الدول الاوروبية كثيرا من المساعدات المالية للمحافظة على توفير البيئة الآمن للطيور المهاجرة.

- **فقدان التنوع الحيوي**

لقد أدى الضخ الجائر، والصيد الجائر، والرعي الجائر ايضا ، إلى تدمير الموطن الطبيعي لكثير من الحيوانات، وبدأت الحيوانات البرية بالاختفاء والهروب إلى مناطق أخرى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد تعرضت انواع كثيرة للانقراض مثل المها العربي والنمر المرقط والشيتا والنعام، وهنـــاك انواع مهددة بالانقراض مثل الغزال الحمري غزال الريم والغزال الصحراوي.

هذا بالاضافة إلى اختفاء الحيوانات التي كان يعتمد عليها الســـكان فـــي الأزرق كـــالجواميس والأبقار والخيول والحمير.

- **الحرائـــــق**

كثرت الحرائق في منطقة الدشة (المستنقعات) بسبب اختفاء الينابيع وجفاف النباتـــات والأشجار في تلك المنطقة ، وتؤدي الحرائق إلى التغير في خصائص التربة، وتتســـبب فـــي قتل الأحياء والكائنات الدقيقة، وهروب الحيوانات من مواطنها.

- **مشكلات أخرى**

أدى الجفاف وتدهور الغطاء النباتي إلى كثرة الغبار والأتربة في الواحة، مما يؤثـــر سلبا على استخراج الملح. وتعاني معظم المنازل في الأزرق الشمالي من التصدع فـــي حيـــن تعاني المنازل في الأزرق الجنوبي من الملوحة التي تظهر في اسفل الجدران.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل السادس

العلاقة بين الإنسان والبيئة: تحليل إيكولوجي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أحب في البداية ان اعرّف مصطلحا هاما له ارتباط وثيق بتحليل العلاقة الإيكولوجية بين التغيرات البيئية وبين تعامل الجماعات البشرية معها، وهذا المصطلح يتكرر كثير في الدراسات الايكولوجية وهو (*مصطلح المنطقة الإيكولوجية الملائمة(Ecological Niche) وهي استراتجية مغذية للجماعة البشرية، فهي تحدد مجموعة من المصادر ضمن نسق ايكولوجي يكون ضروريا وهاما لبقاء تلك الجماعة، ويمكن قياسه من خلال التنوع في موارد الرزق Subsistence . ان مفهوم المنطقة الايكولوجية الملائمة Niche للجماعة ليس مفهوما ثابتا بل يتغير من خلال عمليات التكيف . وتحدث عملية التغير التكيفية اما لتحسين الموائمة بين الجماعة البشرية وبين البيئة المستقرة أو التغلب على مشكلات نشأت بسبب التغير في البيئة، ان المنطقة الايكولوجية الملائمة تتغير و بنفس الطريقة تجلب معها تغيرا في الوسائل الثقافية والاجتماعية، وتعد الاختراعات والابتكارات التقنية، والتحالفات السياسية، واتحادات عمالية جديدة- طرق للتغير في العلاقة بين الجماعة البشرية وبين بيئتها المادية والاجتماعية،وهذا بسبب التغير في البيئة الملائمة NICHE*
(Hardesty, 1977: 120).

العلاقة بين الموارد البيئية والمساكن.

نلاحظ العلاقة الإيكولوجية الوثيقة بين الإنسان والبيئة في الأزرق، فالأزرق الشمالي يقع في وسط الحَرّة البركانية التي تكثر فيها الحجارة البازلتية السوداء، وقد قام سكانها الدروز ببناء بيوتهم من هذه الحجارة، وكانوا يقومون ببناء هذه البيوت بأيديهم فلديهم بناؤون وحجارون يمتلكون أدوات وعدة لقص الحجارة، إن هذا النوع من البناء ليس جديدا على الدروز، فجبل العرب أو جبل الدروز الذي يقع في شمالي الأزرق داخل الحدود السورية هو امتداد لهذه الحرة وفيه تكثر الحجارة البازلتية والتي استخدمها الدروز لبناء مساكنهم، فهذه الحجارة هي خامة متوفرة في الطبيعة وقد توفرت لهم في بيئتهم الجديدة في الأزرق فلم تكن هناك حاجة للبحث عن بدائل أخرى وكان الحل لديهم هو نقل خبراتهم السابقة في البناء وتطبيق ما تعلموه في الأزرق حيث تتوفر لهم نفس الخامة.

أما الشيشان فقد قاموا ببناء بيوتهم من الطين المتواجد في جنوب منطقة الدشة، وهناك نوعين من التربة تواجد في تلك المنطقة؛ التربة الحمراء وكانت تستخدم لعمل الطوب؛ والتربة البيضاء وهي تربة تحتوي على مواد كلسية وكانت تستخدم لتبييض الجدران، وكان

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشيشان يتعاونون في بناء منازلهم، وغالبية البيوت كانت تبنى من الطين الممزوج بالتبن ويترك المزيج عدة أيام كي يتخمر ثم يصب في قوالب خشبية خاصة ويترك ليجف ثم يكون جاهزا للبناء، معظم منازل الشيشان كانت تبنى من الطين وحدة وهناك بيوت كانت تبنى من الحجارة والطين، لقد كان هذا الأسلوب من البناء متبعا في بلاد الشيشان التي قدموا منها وقاموا بنقل تلك الخبرات في بناء المساكن في الأزرق وساعدهم في ذلك توفر المواد الأولية التي يحتاجونها في البناء والطين اللازم متوفر، ويبرز هنا اثر الثقافة والخبرات السابقة في تأثيرها القوي على الأفراد والجماعات، فعلى الرغم من ان منطقة الحجارة البازلتية لا تبعد كثيرا عن الأزرق الجنوبي حيث يسكن الشيشان لكنهم لم يستخدموا هذه الحجارة في بناء منازلهم بالرغم مما يعرف عنها من قوة وصلابة، وبالرغم من ان الدروز كانوا يحضرون للازرق الجنوبي لأخذ بعض الحجارة البازلتية السوداء التي تلف السور الموجود في البرك الجنوبية والمتواجدة بالقرب من الشيشان، والسبب في ذلك ان الشيشان لم يعتادوا على استخدام هذه الحجارة في البناء في موطنهم الأصلي، وليسوا مضطرين لاستخدامها ما دامت الخامة التي يحتاجونها وهي الطين متوافرة بالقرب منهم هذا عدا انهم لا يمتلكون الأدوات ولا الخبرات اللازمة لاستخدامها في البناء.

اما البدو فمنازلهم تعكس بيئتهم فالبدوي شديد الالتصاق ببيئته والبدوي ينطق عن بيئته قولا وشعرا وفعلا، وهو يتكيف كفرد للتعايش مع بيئته ولا يكيّف البيئة لتكون مناسبة له، ولهذا بقيت الصحاري والبوادي على حالها لأزمان طويلة فلم يعبث بها ولم يحاول تطويعها وتطويرها، فأسلم نفسه لها وعاش في توائم معها بالرغم من قسوتها وشظفها، ولهذا فان بيوت الشعر هي مثال صارخ على العلاقة الإيكولوجية بين البدوي وبين البيئة الصحراوية، فالمواد الأولية متوافرة من قطعان الماشية، وباستخدام المغزل- هذه التكنولوجيا البسيطة والبدائية -يتم بناء الخيام وتشييد المضارب، والخيمة بيت خفيف الحمل يناسب طبيعة التنقل والترحال والغزو ويناسب طبيعة الصحراء التي تمتاز بقلة أمطارها. ان هذه الصلة الايكولوجية الوثيقة بين البدوي وبيئته تكمن في بساطة التكنولوجيا، إذ كلما تقدمت التكنولوجيا وزاد التحضر قلت علاقة الإنسان مع بيئته وقل ارتباطه بها.

أما منازل البدو الحالية وخصوصا في الأزرق فهي تعكس حالة الضياع التي يعيشها البدوي، فأنماط الترحال والتنقل والغزو انحسرت، وصار البدوي يراوح ما بين الاستقرار التنقل، ما بين البداوة والتحضر، بين القديم والحديث، بين العمل في الوظيفة وبين الاستمرار في الرعي وتربية الماشية. وقد ساهم التطور السريع الذي يشهده العالم واقتناء

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البدو لمختلف الأجهزة والآليات في إحداث هذه التغيرات الكبيرة في حياة البدوي، لقد فقد المنزل البدوي هويته فهناك بيوت اسمنتية وأمامها بيت شعر وهناك بيوت شعر حولها تحيط بها ألواح الزينكو واطارات السيارات وهي تستخدم في العادة لتحيط بقطعان الماشية، وهناك بيوت مصنوعة من الخيش ومواد صناعية، لقد فقدت الخيمة البدوية نقاءها وجمالها إذ تحيط بها كثير من المخلفات الصناعية بشكل قبيح وغير منظم، ويوجد هذا الوضع في داخل منطقة الأزرق السكنية الأزرق وبين المناطق السكنية اما في اطراف الأزرق فان الوضع افضل حيث ان النشاط الأساسي هناك هو الرعي وتربية الماشية والتنقل.

واما بالنسبة لمنازل الشيشان والدروز فتبنى حاليا من مادة الاسمنت بدلا من الحجارة البازلتية والطين، وتستخدم الحجارة البازلتية حاليا لعمل الأسوار حول المنازل في الأزرق الشمالي، فقد حل الاسمنت محل الحجارة البازلتية لانه ارخص ولقلة البناءين الذين يتقنون طرق البناء السابقة، وهذا ما يحدث لكثير من الحرف والمهن التقليدية، ولازالت البيوت البازلتية موجودة في الأزرق الشمالي، اما في الأزرق الجنوبي فقد اختفى البناء باستخدام الطين نهائيا وحتى المنازل القديمة لم يبق منها شيء وتمت إزالة آخر المنازل مؤخرا لكونها تشكل مكرهة صحية.

وتعاني البيوت في الأزرق الجنوبي من تأثير الملوحة على الجدران فيتساقط الدهان من اسفل الجدران ويمكن رؤية تأثير الملوحة بسهولة ويحاول السكان هناك إخفاء منظرها بوضع إطار من الخشب وغيرة يلف اسفل الجدران، اما البيوت في الأزرق الشمالي فيعاني معظمها من التصدع، وهذا التصدع ظهر مؤخرا وذلك بسبب انحسار مستوى المياه وجفاف الينابيع والمستنقات، فجفت التربة التي تقوم عليها المنازل مما أدى إلى ظهور فراغات تحت أرضية المنازل وصارت متصدعة وآيلة للسقوط.

العلاقة بين توزيع السكان والانتماءات العرقية والمذهبية.

ان الأزرق بلدة عجيبة فهو تجمع مزيجا متغايرا من السكان، مزيج متغاير في الانتماءات العرقية والمذهبية، وفي أصولهم القروية والبدوية والحضرية، وهي بلدة متسامحة وتتسع للجميع فهي تحنو على الثوار، والمجاهدين، واللاجئين، والنازحين، والطموحين، والمطرودين، والمخلوعين، والمهربين، وغيرهم. كل هذا أدى لتكوين مزيج سكاني متنوع.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نشأت قرية الأزرق الشمالي بالقرب من ينابيع المياه التي كانت موجودة في السابق، وبالقرب أيضا من قلعة الأزرق التي أقام فيها ثوار الدروز فترة من الزمن. وتعتبر المياه عامل جذب مهم لاستقرار الدروز فيها، وكان عدم تواجد جماعات سكانية سابقة عامل جذب آخر، إذ اعتاد الدروز على السكن في مناطق جبلية وبعيدة عن الغرباء، وهذا ما اتاح لهم الاحتفاظ بتقاليدهم والبقاء على مذهبهم على مر الزمان، واتاح لهم ان يكونوا في مأمن سطوة الحكام، ويعتبر اقتصار الزواج في إطار الجماعة نفسها من الأسباب التي خلقت تجانسا كبيرا في هذا المجتمع، تجانس في العادات والتقاليد واللهجة وغير ذلك.

ولقد كان قدوم الشيشان واستقرارهم في الأزرق الجنوبي ذا بعد ايكولوجي، فمختلف عشائر الشيشان والشركس التي قدمت للاردن سكنت في مناطق الينابيع والمياه، وبحثت عن المناطق التي تماثل في جغرافيتها وطبيعتها ما هو موجود في موطنهم الاصلي في بلاد القوقاز التي تمتاز بجبالها الوعرة الشاهقة واشجارها الكثيفة ومياهها الغزيرة، وقد كانت المياه هي عامل الجذب الأهم، ولكن مناخ المنطقة وجغرافيتها يختلف عما هو موجود في الوطن الام، ولهذا فقد عانى الشيشان في البداية في التكيف مع الطبيعة الجديدة والانتقال من مناخ قاري إلى مناخ صحراوي، وبسبب سكناهم قرب المستنقعات فقد عانوا من كثرة البعوض، وكوسيلة للتكيف مع هذه البيئة الجديدة فقد كانوا يشعلون النار في روث البقر(الجلّة) لان دخانه يطرد البعوض. وقاموا بوضع شبك على النوافذ لمنع الناموس والذباب، وكانوا يستخدمون الناموسيات المصنوعة من القماش الخفيف للوقاية من البعوض عند النوم. عانى الشيشان كثيرا في البداية في العيش في منطقة لا عهد لهم بها من قبل، فقبل شق طريق الأزرق كانوا يضيعون في الصحراء، فبدلا من ان يصل احدهم من الزرقاء للازرق كان يصل الحدود السعودية، وبدلا من من ان يصل من الأزرق للزرقاء كان يصل بلدة المفرق شمالا، لذلك قام كلوب باشا بعمل رجوم من الحجارة في هذه الطرق ودهنها باللون الابيض لتكون دليلا للناس.

كان تجمع الشيشان في الأزرق الجنوبي له أسباب إثنية عرقية ايضا، فهم جماعة لهم ثقافة ولغة خاصة وعادات وتقاليد تختلف عن البلد الذي قدموا للسكن فيه، ويعتبر تجمع الشيشان المنفصل عن تجمع الدروز راجع لاختلافات مذهبية ايضا فالشيشان اصحاب مذهب سني وهم شديدو التمسك بمذهبهم، ويعتزون بقوميتهم لدرجة انهم يوصفون احيانا بالتعصب من قبل الاخرين. لم يستطع الشيشان في البداية التكيف مع نمط البداوة السائد في منطقة الازرق، فهناك اختلاف في الثقافة وأنماط المعيشة واسلوب التفكير بين الجماعتين مما أدى إلى عدم اندماج الشيشان مع مجتمع البدو في البداية، ولم يكن التطابق المذهبي كافيا لاندماج

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشيشان مع البدو، وذلك بسبب الاختلاف الحاد في النواحي الثقافية المختلفة، فالقبيلة عند البدو هي الوحدة الأساسية التي تمتاز بوجود تنظيم اجتماعي واقتصادي خاص، والقومية الشيشانية ووحدة المعاناة تشكل عاملا أساسيا في ترابط عشائر الشيشان، وهكذا فان كلا من الجماعتين لها تنظيم مختلف ومنغلق، ولكن هذا لم يمنع من وجود علاقات بسيطة بينهم.

ونخلص من كل هذا ان الأزرق في بدايتها كانت تحوي ثلاث جماعات متغايرة ولكل جماعة عاداتها وتقاليدها وأماكن سكن مختلفة، وبالرغم من تواجد هذه الجماعات في بقعة واحدة إلا أنها لم تندمج بالكامل مع غيرها ولم يكن هناك عداوات ايضا، ولكن الوضع قد تغير بمضي الوقت، فسكنت بعض العائلات الفلسطينية في الأزرق الشمالي، ثم توالى مجيء بعض العائلات من فلسطين بعد نكبة فلسطين سنة١٩٤٨ وسكنت بالازرق الجنوبي، وقد كان مجيء هذه الجماعات عاملا مهما في إحداث تغيرات اجتماعية واقتصادية، فقد كانوا بحكم عملهم في التجارة والزراعة والتدريس يتعاملون مع مختلف الجماعات الموجودة في الازرق ، وقد حضرت هذه الجماعات من مختلف المناطق من فلسطين سواء من المدن او القرى، وساهمت هذه الجماعات بحكم تواجدها في الأزرق بإزالة خاصية الانغلاق الموجودة هناك وخصوصا في الأزرق الجنوبي، فقد تحول الأزرق الجنوبي من ازرق الشيشان الذي يضم جماعة الشيشان فقط الى مجتمع يحتوي على مزيج من الجماعات المختلفة ، وزاد في ذلك استقرار البدو الذي كان يتزايد يوما بعد يوم حتى شكلوا كثافة سكانية لا باس بها. ولكن **السؤال الذي يطرح نفسة لماذا استقرت كل هذه الجماعات في الأزرق الجنوبي؟** الجواب في رأيي ان الأزرق الشمالي يمتاز بالكثافة السكانية اكثر من الجنوبي، وان التقارب المذهبي كان عاملا أساسيا في استقرار الجماعات في ازرق الشيشان فكلهم اصحاب مذهب سني وهذه المسالة لها اهميتها الكبيرة في استقرار هذه الجماعات في الأزرق الجنوبي وان حاول البعض التقليل من شانها. ويبدو ان الاختلافات الإثنية اقل حدة وانغلاقا من الاختلافات المذهبية، إذ ان الاختلافات الإثنية لم تشكل حاجزا لاستقرار كثير من الجماعات الأخرى في الأزرق الجنوبي. وقد ساهم في هذا الاستقرار وقوع الأزرق الجنوبي على الطريق المؤدية للسعودية وما يتبع ذلك من حركة تجارية نشطة اكثر من الأزرق الشمالي.

اتصفت الجماعات الثلاث بأنها جاءت من بيئات جغرافية تتسم بالعزلة فالبدو، بالرغم من تعاملهم مع القرويين وأهل المدن إلا انهم مجتمع يمتاز نسبيا بالعزلة، وقد حضر الدروز والشيشان من مناطق جبلية، ويعرف عن أهل الجبال انهم يتسمون بالعزلة لصعوبة الوصول إلى تلك الناطق في السابق، واضطرت هذه الجماعات للتعايش معا في بقعة جغرافية واحدة، وقد ساهمت الطرق الدولية ونزوح الجماعات الفلسطينية في كسر حاجز

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العزلة لهذه الجماعات مما جعل الأزرق مجتمعا منفتحا يضم خليطا من الثقافات، وقد أدى هذا إلى تولد عملية التثاقف (Acculturation) بسبب الاتصال الثقافي فيما بينها.

ويوضح الدكتور النوري أهمية التثاقف Acculturation في إبراز الاتصال والتمثيل الثقافي والعرقي الذي انتظم مختلف الجماعات البشرية في مواقع متفرقة من العالم الحديث. فقد تم تبادل الثقافات بين هذه الجماعات بدرجات متفاوتة حيث ان بعضها أثر قليلا وتأثر كثيرا بثقافات الاخرين، وفي حالات أخرى توازن التأثير بين هذين الطرفين، وفي كل الاحوال تضمنت عمليات التثاقف الاتصالية قدرا من التمثيل والاستيعاب الثقافي في معظم الجماعات التي امتدت اليها يد الاتصال الثقافي (النوري، ١٩٩٨: ٢٩٧).

لقد تمت عملية التبادل الثقافي بين الجماعات المختلفة في الازرق وتأثرت كل واحدة بدرجات متفاوتة من الثقافات الأخرى، ويعتبر البدو هم اكثر الجماعات تأثرا بالثقافات الأخرى. ولقد أدى قوع الأزرق في منطقة حدودية تسهيل عملية الاتصال الثقافي مما جعل الأزرق منطقة منفتحة على الثقافات المحلية ومنفتحة ايضا على ثقافات الدول العربية المجاورة.

ان التباينات الاثنية ساهمت بشكل أساسي في توزيع السكان في الأزرق، ومن المحتمل ان يخف تأثير الاختلاف العرقي مع الزمن بدليل ان هناك علاقات اجتماعية وعلاقات مصاهرة وان كانت قليلة بين الشيشان وبين بعض القادمين من دير الزور وبين بعض العائلات الفلسطينية في الأزرق والزرقاء، ولكن العامل المذهبي احتفظ بانغلاقه فليس هناك علاقات مصاهرة بين الدروز وغيرهم لان عقيدة الدروز لا تسمح بذلك، وقد ظل هذا الاختلاف المذهبي عائقا يحول دون دمج الازرقين معا في بلدية واحدة فالازرق الجنوبي يرفض الاندماج مع الأزرق الشمالي، بسبب الاختلاف المذهبي ولان عدد سكان الشمالي يقدر بضعف عدد سكان الازرق الجنوبي .

إن كل جماعة من هذه الجماعات تتلاقى وتختلف في بعض السمات فالدروز والبدو يلتقون معا بان لغتهم الأصلية هي اللغة العربية بالرغم من اختلاف لهجاتهم ، ولكنهم يختلفون في المذهب وفي نمط المعيشة فمذهب البدو هو السنة في حين أن مذهب الدروز هو تفرع من مذهب الشيعة ، ونمط المعيشة عند البدو يعتمد علي حياة الرعي والتنقل في حين أن نمط المعيشة عند الدروز يعتمد علي الزراعة وتربية الحيوانات .

ويلتقي الشيشان والبدو مذهبيا فكلاهما اتباع مذهب سني، ولكنهم يختلفون ثقافيا فنمط المعيشة عند الشيشان يعتمد علي الزراعة وتربية الحيوانات في حين يعتمد البدو علي الرعي والتنقل،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويختلف الشيشان عند البدو اختلافات لغوية فالشيشان يتحدثون باللغة القوقازية في حين يتحدث البدو باللغة العربية.

ويختلف الشيشان والدروز لغويا ومذهبيا ويلتقيان في نمط المعيشة ، أن هذه الاختلافات اللغوية والقومية والمذهبية تؤدي إلى اختلافات ثقافية واجتماعية شتى.

لقد سبق وان ذكر الكاتب سعد الدين إبراهيم أن إدراك الجماعة لاختلافها وتميزها هو عامل معزز للإثنية وكذلك إدراك الآخرين لهذه الإثنية هو ايضا عامل معزز للإثنية ، ومن الجدير بالذكر أن كثرة الاختلافات والتباينات في الأزرق جعلت كل جماعة تدرك هذا التمايز سواء التمايز اللغوي أو المذهبي أو الثقافي، وبقدر ما يوجد في الأزرق من اختلافات وتباينات إلا أن هذه الاختلافات لم تكن حادة بل أن كثرة الجماعات الإثنية بالإضافة إلى قلة الكثافات السكانية ولدت لدى هذه الجماعات شعورا بالتسامح والتقبل للجماعات الأخرى فيما يتعلق بعلاقات الجوار والشراكة والصداقة والعمل، وبالرغم من أن لكل جماعة منطقتها الخاصة إلا أن هناك مرونة في التحرك ضمن المنطقة فالبدو قد يستقرون في الأزرق الشمالي أو الجنوبي ويشترك الشيشان والدروز في استخراج الملح وفي مشروع تربية الأسماك، إن لكل جماعة منطقتها المحددة ولكن هذه المنطقة ذات طابع مرن .

العلاقة بين الموارد البيئية والحياة الثقافية في الازرق.

لفهم الحياة الثقافية عند جماعة ما يجدر بنا ان نعرّف الثقافة، فالثقافة حسب تعريف مالينوفسكي هي *(ذلك الكل الذي يشتمل على: الأدوات وسلع المستهلكين، والقواعد القانونية لكافة الجماعات الاجتماعية، والأفكار والحرف الإنسانية، والمعتقدات والأعراف، وسواء كانت الثقافة بسيطة جدا أي بدائية، أو كانت على أعلى درجة من التعقيد والتطور. فإنها تعتبر مادية من جانب، وإنسانية من جانب ثان، وروحية من جانب ثالث، ويكون الإنسان بواسطتها متمكنا من التغلب على المشكلات الملموسة التي تواجهه. تلك المشكلات التي تظهر نتيجة طبيعية لأن الإنسان له حاجات عضوية مختلفة، وأنه يعيش في بيئة تعتبر أفضل صديق له لأنا تمده بالمواد الخام اللازمة لحياته، كما أنها تعد أخطر عدوله لما تنطوي عليه من قوى معادية*(جابر،١٩٨٩ :١٤٢).

ان تعريف مالينوفسكي للثقافة تعريف شامل، ويحتوي هذا التعريف على أهمية البيئة في الحياة الثقافية للانسان، وسأورد أهمية بعض العناصر الثقافية المتنوعة وعلاقتها بالبيئة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

❖ أهمية الموارد البيئية في توجيه الأنشطة الاقتصادية في الأزرق

ان الموارد البيئة في الأزرق لها أهمية في توجيه وتشكيل الأنشطة الاقتصادية المختلفة، فهناك ارتباط متبادل بين تكنولوجيا الإنتاج والبيئة وهذا ما يركز عليه المنظور الثقافي الايكولوجي. وساقوم بتناول الأنشطة الاقتصادية التي تم شرحها في الفصل الرابع وإبراز العلاقة بين هذه الأنشطة وبين الموارد البيئية في الأزرق.وذلك باستخدام منهج الايكولوجيا الثقافية والذي من ابرز نقاطه:

١- الارتباط المتبادل بين تكنولوجيا الإنتاج والبيئة. ٢- ضرورة تحليل أنماط السلوك المرتبطة بالاستثمار البيئي. ٣- ضرورة التحقق من تأثير أنماط السلوك الاستثماري البيئي في جوانب الثقافة. (النوري، ١٩٩٨ :٧٦-٧٧).

ساهمت الموارد البيئية في منطقة الأزرق، وخصوصا المناطق ذات الطبيعية الصحراوية الجافة في توجيه أنشطة الرعي وتربية الحيوانات كنشاط اقتصادي مميز في تلك المنطقة، فهو من أقدم الأنشطة الاقتصادية في منطقة البادية وواحة الأزرق، فطبيعة المنطقة الصحراوية وما تحويه من مراعي تحتوي على نباتات مختلفة ومياه قليلة، والمسافات الجغرافية الشاسعة بين هذه المراعي.كل هذا ساعد في وجود نشاط الرعي المعتمد على الإبل والأغنام وذلك لوجود المساحات الشاسعة التي تحتاجها الإبل ووجود المياه والغدران في مسيلات الوديان التي تكثر حول الازرق، وبهذا تكون البيئة قد ساهمت في تشكيل مختلفة جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافة في هذه البيئية وشكلت نمط البداوة المعتمد على التنقل والترحال والغزو(سابقا) وذلك كوسيلة للتكيف مع ندرة وتفرق المصادر الطبيعية.

وساهمت ايضا في تشكيل القبيلة كوحدة اقتصادية اجتماعية سياسية، تمتاز بالانحدار الأبوي القائم على العصبية القبلية ورابطة الدم وتضامن القبيلة Solidarity وترابطها للتكيف مع بيئة الصحراء القاسية.

تعتبر الإبل من أهم الحيوانات التي يربيها البدو، وقد تغنى العرب كثيرا بإبلهم وهم يعتزون بها كثيرا ، وهي تشكل جزءا أساسيا في حياة البدوي ويتضح ذلك في الأشعار وفي كثرة الأسماء التي أطلقها العرب على الإبل، فهو الحيوان الذي يعبر الصحراء دون ان يخذلهم ويتيح لهم ارتياد أماكن تعجز عن وصولها الحيوانات الاخرى، تعتبر الإبل من أهم الحيوانات في تلك المنطقة وتربية الإبل تتوافق توافقا تاما مع بيئة الأزرق والبيئة المحيطة بها من الجهات الأربعة فحيثما اتجهنا في منطقة الأزرق سنجد هناك مناطق صحراوية تختلف عن بعضها اختلافات بسيطة في نوع التربة والمياه وهذا بالطبع ينعكس على نوع النباتات التي تنمو فيها، وتعتبر كثرة الوديان التي تصب في قاع الأزرق أيضا ذات أهمية قصوى لما

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمتاز به من تنوع الغطاء النباتي غدران مياه الكثيرة وتكثر في البادية نباتات برية مثل الشيح والقيصوم والعجرم والقبا، والنبات المفضل لدي الإبل هو الروثة والشيح، والبدو يطلقون ابلهم في البرية فتقتات من نباتها كالشيح والروثه وغيرها، ان توفر البرية الواسعة والنباتات الصحراوية المختلفة وقدرة الجمال على اجتياز الصحاري وتحملها للعطش فالبدو يوردون الإبل مرتين في الأسبوع في الصيف، اما في الشتاء فتظل أياما عديدة دون ان تعطش، وبعض الإبل يصبر على العطش لشهرين بلا ماء، ان كل هذه السمات جعل البادية مكانا مثاليا لتربية الإبل.

لقد تناقص عدد الإبل بشكل كبير بسبب استخدام المركبات والآليات ووجود الحدود الذي كان عائقا في الترحال. ان التغير في طبيعة الموارد الطبيعية من التصحر والجفاف وانحسار المراعي والرعي الجائر، وانقراض أنواع كثيرة من النباتات وجفاف الينابيع والمستنقعات التي كانت تردها الإبل، تحطيب النباتات الصحراوية واستخدامها كوقود، وحاجة الإبل لمناطق واسعة وإلى كميات كبيرة من الطعام والماء، بالإضافة إلى التغيرات التي أحدثها الإنسان مثل الحدود وشق الطرق واستخدام الآليات كل هذا جعل تربية الإبل تتلاشى.
ان الأسباب التي أدت إلى تلاشي تربية الإبل ساهمت في التوجه لتربية الأغنام، فهي لا تحتاج لمساحات شاسعة ولا تحتاج للتنقل الطويل، وقد ساعد توفر الآليات وخزانات المياه في زيادة اقتناء المواشي وتربية الأغنام. وساهم نمط رعي وتربية الأغنام في استقرار كثير من البدو في قرى كما حدث لبني صخر لان تربية الأغنام لا تعتمد كثيرا على الرحلات الدورية بين الأقاليم والبلدان كما هو الحال في تربية الإبل ، وقد انعكس هذا على الحياة الاجتماعية للبدو فانتهى عهد الغارات والغزو وحدث تغير كبير في بنية القبيلة فلم تعد تشكل وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية كما كانت في السابق، بل اصبح أفراد القبيلة مواطنين في دولة يخضعون لقوانينها ويتأثرون بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي فيها .ولكن القبيلة على اية حال لا زالت تحتفظ بالكثير من خصائصها التي تتمسك بها، إذ لا تزال لها أنظمتها وقوانينها واعرافها، ولم تعد القبيلة مرتبطة بمكان جغرافي محدد بل توزع كثير من أبناء القبيلة الواحدة في عدة مناطق، فبعضهم يسكن عمان والزرقاء وغيرها ، فالحويطات مثلا تقع منازلهم في منطقة الجفر جنوبا ولكن هناك عائلات كثيرة جاءت واستقرت في الأزرق، ولكنهم يظلون على صلة كبيرة بأبناء عشيرتهم في موطنهم الاصلي.

وكما ساهمت البيئة الصحراوية الجافة في تشكيل أنشطة الرعي وتربية الأغنام، فقد ساهمت بيئة الواحة الرطبة التي تحتوي على الينابيع والبرك والمستنقعات في جعل تربية الأبقار والجواميس ملائمة لهذه البيئة، فوفرة الاعشاب وكثافة الغطاء النباتي اللازم لهذه

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحيوانات جعل السكان يقدمون على تربية الجواميس والأبقار التي تحتاج كميات كبيرة من الاعشاب، ان وجود البرك والمياه جعل الأزرق مكان مناسب لتربية هذه الحيوانات التي لا تتحمل الجفاف ونقص المياه. وكان هذا النشاط من اهم الأنشطة الاقتصادية في الأزرق لفترة قريبة حيث اعتمد السكان بشكل اساسي على الحليب والالبان، ولم يكن هذا النشاط جديدا عليهم بل هو امتداد للأنشطة السابقة التي كانوا يعتمدون عليها، فكانت تربية الأبقار والجواميس في الأزرق امتداد لنفس النشاط الذي كان يعتمد عليه الشيشان في بلاد القوقاز، وكذلك الأمر بالنسبة للدروز فقد كانت تربية الأبقار والأغنام امتداد لنفس النشاط الذي كانوا يعتمدون علية في جبل العرب (الدروز) بسوريا، وقد ساهمت طبيعة الأزرق والموارد الطبيعية المتوفرة في الواحة على استمرار هذا النشاط لكلتا الجماعتين.

اما الصيد فهو من اقدم الأنشطة الاقتصادية في الأزرق وهذا ما تدل علية الحفريات التي أثبتت وجود قرى للصيادين في العصر الحجري، فالازرق تمتاز بالتنوع الهائل في أنشطة الصيد من حيوانات برية وطيور واسماك، ان طبيعة المنطقة الصحراوية المترامية ملائمة لقطعان الغزلان والمها وغيرها من الحيوانات البرية، كما كانت منطقة البرك والمستنقعات التي تمتاز بالدفء في فصل الشتاء ملائمة للطيور المهاجرة القادمة من اوروبا. وقد كان الصيد يوفر ثروة حيوانية للسكان وغيرهم المناطق المجاورة. لقد كان الصيد يمارس كهواية او كوسيلة للحصول على لحوم الحيوانات والطيور والأسماك ولم يكن يشكل مهنة تمارس بشكل منظم من قبل بعض الجماعات والافراد.

ساهمت الموارد البيئية أيضا في إقامة بعض المشاريع مثل مشروع تربية الأسماك الذي كان يعتمد بشكل أساسي على توفر مياه الينابيع وانسيابها إلى برك تربية الأسماك، وكما كانت المياه سبب في انشاء مشروع تربية الأسماك فقد كانت سببا في افشاله لمّا نضبت وشحت.

وكان للبيئة أهميتها في تشكيل وتطوير نشاط الزراعة وخصوصا في العقود الاخيرة، فتوفر المياه، وقرب الآبار من السطح أتاح لأهل الأزرق زراعة مختلف الأشجار والخضراوات التي يحتاجونها في حدائق منازلهم. ولقد ساهم حفر الآبار الارتوازية في توسع نطاق الزراعة وتمت زراعة مناطق واسعة حول الواحة لم تكن تزرع في السابق. مثل مناطق العوشق والدغيلة . والسبب في تنامي هذا النشاط هو استخدام التكنولوجيا في الحصول على الموارد المائية العميقة. لقد اعتمدت هذه المزارع على المياه الجوفية التي تتعرض الان للتملح وتهدد الكثير من المزارع بالإغلاق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهناك النباتات التي كانت تنمو حول المستنقعات والبرك ويعتمد عليها السكان في غذائهم مثل الحويرنة وغيرها والنباتات الصحراوية التي تعتمد عليها قطعان الماشية .

قدم الشيشان والدروز من مناطق تتصف بانها جبلية وتكثر فيها الاشجار الحرجية واشجار الفاكهة، واما الأزرق فهي واحة تقع في منطقة منخفضة، وقد استمرت الجماعتان في زراعة الأشجار والخضراوات في الأزرق ولكن الزراعة بقيت محصورة في حدود الحاجة المنزلية وظل هذا الوضع حتى السبعينات حيث تغيرت الزراعة أصبحت تقوم على التصدير للاسواق.

وأما صناعة الملح فهي صناعة بيئية بحتة فالملح خامة طبيعية تتوفر في الأزرق ولا تحتاج لعمليات تصنيع معقدة فهي بلورات تتكون بعد جفاف المياه عنها، ولقد كان لطبيعة الأزرق الجغرافية هذا النشاط الاقتصادي الذي يعتمد علية معظم سكان الازرق، فالسيول التي تسيل في مختلف الوديان التي تصب في القاع وعند جفاف القاع في الصيف تكون نسبة الملوحة عالية ومناسبة لاستخراج الملح.ان هذا النشاط هو النشاط الوحيد الذي لم يكن لأهل الأزرق عهد به فهو نشاط حديث، وظهر كنتيجة طبيعية لتوفر هذه المادة في قاع الأزرق وتوفر الخبرة في استخراج الملح والتي تعلمها الدروز في قريات الملح، ولقد ساهم وجود هذا المورد البيئي في انشاء الجمعية التعاونية واقامة مصنع الملح، وتوفير عمل لكثير من سكان الأزرق .

وبالنسبة للسياحة فقد ساهمت كل المعطيات البيئية في الأزرق في توجيه النشاط السياحي المعتمد أساسا على البيئة، إذ ان السياحة في الأزرق مرتبطة بالبيئة ارتباطا وثيقا، بالإضافة لكونها تقع على مفترق طرق دولية، كل هذا أدى إلى انشاء الكثير من المرافق السياحية والمحلات التجارية والمطاعم والفنادق والاستراحات والتي تخدم الزوار والمسافرين والقادمين.

تعتبر واحة الأزرق في وضعها الطبيعي مكان مثالي للسياحة البيئية، وهي السياحة التي تعتمد بشكل خالص على الطبيعة الخالصة بكل ما تحويه من غطاء نباتي وحيواني والتي لا تعتمد بشكل أساسي على المشاريع والمنشآت التي شيدها الإنسان ، وغرض هذا النوع من السياحة هو الاستمتاع والاستجمام والتأمل والاستكشاف والتعرف على أسرار الطبيعة، فالأزرق في وضعها الطبيعي تعد مكانا مثاليا يرضي معظم الاهتمامات والإذواق، ومكان مناسب لمحبي الصيد سواء صيد الطيور او الحيوانات البرية او الأسماك، ومناسب لمحبي الآثار ففيه القلاع والقصور الصحراوية المتواجدة بكثرة على أطراف الوديان، ولعشاق الصحراء ورياضة الخيل وركوب الجمال فان الأفق رحب وواسع، ولعشاق الجيولوجيا فالأزرق فيها تنوع جيولوجي هائل من وديان ومياه وتلال وحماد، وخصوصا الخرات ذات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحجارة البازلتية المتناثرة بكثرة. ولمحبي السباحة فهناك البرك والعيون المختلفة، ومناسب ايضا لمحبي مراقبة الطيور وهواة التصوير، ان كل هذا ليس بمستحيل فحوض الأزرق حوض مائي متجدد وان الضخ الآمن للمياه دون الزيادة عن الحد الطبيعي كفيل بإحياء هذه الواحة من جديد.

يقتضي النشاط السياحي رؤية السائحين والمسافرين والغرباء وطرق التعامل معهم، ولقد كانت مساكن الدروز دائما في مناطق جبلية وعرة بعيدة لا يصلها الغرباء وكذلك الأمر بالنسبة للشيشان الذين تتصف بلادهم بالجبال الوعرة الشاهقة والتي يصعب الوصول اليها، ونفس الشيء بالنسبة للبدو الذين لم يعتادوا وجود جماعات غريبة عنهم في بيئة الصحراء، ولكنهم لم يكونوا بمعزل عن المدن والقرى التي تحيط ببادية الشام بحكم ترحالهم .

وهنا نرى ان هذه الجماعات تعرضت لتغيرات اجتماعية وثقافية كبيرة فقد انتقلت من بيئات تتسم بالعزلة إلى بيئة جديدة منفتحة على المدن والبلدان المجاورة، والأزرق فيها مزيج متنوع من الجماعات السكانية المتغايرة تعيش في بقعة جغرافية واحدة مما أدى إلى تعايش هذه الجماعات وتعاونها وتقبل كل منها للطرف الآخر وهذا خلق نوعا من التسامح في بيئة الأزرق. وساهم شق الطرق في كسر عزلة الأزرق فصار مألوفا رؤية السائحين والزوار والمسافرين ومختلف الغرباء في المنطقة.

لقد كان لكل هذه الأنشطة الاقتصادية أهمية في أحداث تغيرات اجتماعية وثقافية لدى سكان الأزرق، وليس هناك تغيرات واضحة في مجتمع الدروز لكونهم مجتمع مغلق لا يسمح بالزواج من خارج الجماعة وهذا بدورة أدى إلى تعزيز واستمرار الأنماط السلوكية والثقافية بينهم، وقد ساعد في هذا بقاؤهم على اتصال مع أهلهم في جبل العرب وباقي مناطق الدروز في لبنان.

اما المجتمع الشيشاني فيلحظ فيه تغيرات كثيرة فهم بالرغم من اعتزازهم الشديد بقوميتهم ولغتهم، فقد اختلطوا بمختلف بالجماعات التي تقيم في الأزرق، من بدو وشيشان وفلسطينين، وكان الزواج لفترة طويلة محصور في نطاق الجماعة وحدها ولكن في السنين الأخيرة كانت هناك بعض الزيجات خارج الجماعة ولكن بشكل محدود وعلى نطاق ضيق، وقد اكتسب الشيشان اللغة العربية وهم يتحدثون بها إلى جانب تحدثهم باللغة الشيشانية، وهم متأثرون باللهجة البدوية اكثر من غيرها من اللهجات الاخرى في المنطقة.

اما البدو فهم اكثر الجماعات التي تعرضت لتغيرات اجتماعية وثقافية وذلك يرجع بشكل اساسي إلى التغيرات الكبيرة التي حلت بالنمط الاقتصادي القديم، إذ تكونت حول هذا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط منظومة من القيم والعادات تتناسب مع حياة الرعي والترحال، ان انخراط نسبة كبيرة من البدو في الجيش والعمل في الوظائف في الأزرق والزرقاء وغيرها خلق تباين في الأنشطة الاقتصادية داخل العشيرة نفسها، فهناك من ظل يعمل بالرعي وتربية الأغنام وهناك من عمل بالوظائف وسكن المدن، ان هذا التباين أدى لاختلاط البدو مع الجماعات الأخرى وخضوعهم لتأثيرات ثقافية مختلفة، واكتساب خصائص ثقافية جديدة، وقد ساهم الإقبال على التعليم ايضا في إحداث تغيرات كبيرة في الحياة الثقافية للبدو، ففي الأزرق هناك الكثير من العائلات التي استقرت بسب عمل أفرادها في الجيش والبادية، وقد تركت هذه العائلات حياة الرعي، وابناء هذه العائلات يفضلون الاستقرار وسكنى المدن ولا يرحبون بالعودة لحياة البداوة، وقد اقبل كثير من البدو على الزراعة في منطقة الأزرق وهناك عدد قليل جدا ممن يعمل في المهن، اما النساء فقد خرجن للتعليم وكثير منهن درسن في الجامعات وتعمل كثيرات منهن معلمات في مدارس الأزرق.

ان الاستقرار وسكنى المدن والعمل في الزراعة واحتراف المهن تعتبر جميعها حديثة في حياة البدوي، فقد كان البدوي ولعهد قريب يأنف من العمل في المهن ويعتبر ذلك عيبا، ويأنف من الزراعة ويعتبرها عمل يختص بالفلاحين ويفضل التنقل على الاستقرار. لقد طرأت تغيرات كبيرة على منظومة القيم والعادات التي كانت تناسب حياة الرعي والترحال فالأنشطة الاقتصادية الجديدة جلبت معها معايير وقيم جديدة، مثل الزواج خارج نطاق العشيرة، عمل المرأة وتعلمها، ولكن على الرغم من خضوع البدو لهذه التغيرات إلا انهم لم يتخلوا عن ارتباطهم بحياة العشيرة فمختلف العائلات البدوية من بني صخر والحويطات والسرحان لهم صلات قوية بعشائرهم التي تقيم في مناطق مختلفة ويخضعون لاعرافها وقوانيها .

❖ أهمية الأنشطة الاقتصادية للبيئة

يعد الرعي من أقدم الأنشطة الاقتصادية في المنطقة ، إذ يعتمد على ما يتوفر في البرية من النباتات والأعشاب الموجودة في المراعي المتفرقة، ولم يكن هذا النشاط يشكل تهديدا للبيئة في المنطقة ولا يشكل خطرا على الغطاء النباتي، لان الهجرات الدورية التي كان يقوم بها البدو لم تكن تشكل خطرا على البيئة كما هو الان، فقد كانوا يقومون برعي قطعانهم في الربيع فإذا حل الصيف تركوا ديارهم وارتحلوا إلى أطراف الهلال الخصيب وأقاموا فيها طيلة الصيف ثم يعودون في الشتاء إلى ديارهم، ان هذه المدة الطويلة التي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقضيها البدو بعيدا عن ديارهم تسمح بنمو الأزهار وتكون البذور وانتشارها في البادية حتى إذا ما حل العام قام عادت هذه البذور ونمت من جديد وهكذا.

ولقد كانت تربية الجواميس والأبقار في المستنقعات ذات أهمية كبيرة في التخفيف من النباتات الكثيفة المتشابكة، واستخدام هذه النباتات كغذاء كان يحول دون جفافها التام ودون انتشار للحرائق، وكانت الجواميس أثناء ذهابها إلى منطقة الدشة تقوم بعمل ممرات طبيعية أثناء سيرها، وتساهم الممرات في التخفيف من تشابك النباتات مثل الحلفا والسمار وغيرها وهذا بدورة يقلل من نشوب الحرائق وسرعة انتشارها، وكان الصيادون في السابق يستخدمون هذه الممرات. ولأهمية هذا الامر فقد قامت الجمعية الملكية لحماية الطبيعة في العام الماضي بشراء آخر الجواميس التي كانت بحوزة احد الشيشان في الأزرق وأودعتها في برك المحمية المائية (الدشة).

ان الصيد هو جزء من النظام البيئي والصيد المنظم يسمح بوجود توازن، ويجعل أعداد الحيوانات في حدودها الطبيعة لان الزيادة او النقص في نوع معين يسبب خللا.
وتساهم حرفة جمع النباتات في منطقة الدشة في التخفيف من تشابك النباتات وهذا ما يتيح لها بالنمو في العام القدم بشكل افضل. وأما صناعة الملح فانها صناعة آمنة، واستخراج الملح سنويا يساهم في التخفيف من تملح مياه حوض الأزرق.

❖ اثر اختلال التوازن البيئي على السكان في الأزرق.

تعرضت الأزرق لاختلال في التوازن البيئي وذلك بعدة الأسباب وأهمها، استنزاف وملوحة المياه بسبب ضخ المياه الجائر، وقد تأثرت معظم الأنشطة الاقتصادية في الأزرق سلبا بسبب هذه المشكلة، ولاحظنا في الفصل الرابع ان معظم الأنشطة المعتمدة على الموارد البيئية اصبحت في خبر كان وليس لها وجود حاليا ما عدا استخراج الملح، فقد كان أهل الأزرق يحققون اكتفاء ذاتيا من لحوم الطيور والطرائد والأسماك بالاضافة إلى الألبان التي كانت توفرها الأبقار والجواميس، وكذلك توفر فاكهة البلح من اشجار النخيل وتوفر النباتات العشبية التي يعتمد عليها الإنسان في طعامه مثل الحويرنه والمربر والخبيزة وغيرها.

ان زوال هذه الموارد جعل السكان يتوجهون لبدائل معيشية أخرى، وقد تم جفاف الواحة تدريجيا، إذ بدا بجفاف البرك والينابيع في الأزرق الشمالي ثم استمر حتى شمل الأزرق الجنوبي، وقد تم نضوب الموارد الطبيعية وانحسار الغطاء النباتي والحيواني بشكل تدريجي، ولم يشعر السكان في بداية الأمر بوجود مشكلة فقد تزامن بدء الجفاف مع شق

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الطرق الدولية وظهور النفط في منطقة الخليج والسعودية وازدهار مصنع الملح، لذلك اتجه السكان للعمل في مصنع الملح واستخراج الملح والاكتفاء بما يحققه مصنع الملح من أرباح.

كانت فترة ما بعد السبعينات فترة ازدهار اقتصادي واستفادت منطقة الأزرق بحكم موقعها الاستراتيجي على مفترق دولي تحيط بها دول غنية بالنفط، فأنشئت المطاعم والاستراحات والفنادق لاستقبال المسافرين والقادمين والزوار والصيادين وغيرهم ونشطت الحركة السياحية الخارجية والداخلية بشكل كبير، وخف اهتمام الناس في الازرقين بتربية الجواميس والأبقار كمصدر معيشي اساسي، وكان مرور الطرق الدولية في قلب الواحة ذا تاثير سيء على تربية الجواميس والأبقار التي كانت تذهب وترجع بنفسها مما دفع اصحابها إلى إهمالها او بيعها، وساهم في ذلك انتعاش مصنع الملح الذي تعتمد علية غالبية الدروز فقد كان يصدر نصف انتاجة للعراق والنصف الاخر يوزع في السوق المحلي، اما الأزرق الجنوبي فقد استفاد معظم الشيشان من حركة المسافرين والقادمين من السعودية، وقاموا بإنشاء وتأجير كثير من المحلات التجارية على الشارع الرئيسي وأصبحت هذه المحلات تدر دخلا منتظما لاصحابها، وظهرت أهمية العقارات والأراضي كبديل عن تربية الجواميس والأبقار لدي سكان الأزرق في القسم الشمالي والجنوبي، ثم زاد الاهتمام بالزراعة وتطويرها ولكن معظم أصحاب المزارع الكبيرة هم من غير أهل الازرق، ان النشاط الاقتصادي الذي يعتمد علية أهل الأزرق حاليا هو مصنع الملح بالنسبة لأهل الأزرق الشمالي، والحركة التجارية في الأزرق الجنوبي والتي تنتعش في فصل الصيف.

ويعمل بعض الشيشان في الوظائف الحكومية، اما البدو فقد ظل كثير منهم يعتمد على تربية الأغنام والتي تضررت في الآونة الأخيرة بسبب رفع الدعم عن الأعلاف وزيادة عدد الأغنام بما يفوق قدرة المراعي، وهم الآن يتجهون بسبب هذه الصعوبات بشكل اكبر نحو للتعليم والعمل في الوظائف الحكومية وفي الجيش وقوات البادية.

❖ تكيف السكان مع الظروف البيئية الجديدة والأنماط الاقتصادية البديلة

اتجه سكان الأزرق للبحث عن أنماط اقتصادية جديدة لتكون بديلة للأنماط السابقة والتي تأثرت سلبا بسبب التدمير البيئي الذي تعرضت له الازرق، فبعد ان كان أهل الأزرق يؤمّنون حاجتهم الغذائية من المصادر الحيوانية والنباتية المتوافرة في البيئة صاروا يشترون حاجاتهم من اللحوم والخضار والأسماك كغيرهم من أهل المدن، واتجهوا للبحث عن موارد رزق جديدة تؤمن لهم دخلا يكفيهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد ظهرت تربية الأغنام عند البدو كبديل لتربية الإبل التي اصبح من العسير تربيتها بسبب تغير الظروف المناسبة لتربيتها وحلت محلها تربية الأغنام بأعداد كبيرة ، وذلك لتوفر الآليات التي تحمل قطعان الماشية لمسافات بعيدة وتوفر المياه في خزانات تتواجد حول بيوت الشعر، هناك من اتجه للعمل بالزراعة في المزارع التي يمتلكها في المنطقة، وقد انخرط العديد من البدو في سلك الدولة وعملوا بالوظائف الحكومية والجيش وقوات البادية.

اما الشيشان فقد كان شق الطريق الدولي المودي إلى السعودية ذا أهمية كبيرة في تغير النشاط الاقتصادي الذي تعتمد علية هذه الجماعة فتحول مجتمع الشيشان من مجتمع رعي إلى مجتمع يعتمد على التجارة والحركة السياحة وتأجير المحلات التجارية وبيع الأراضي والعمل في الوظائف الحكومية والعمل وبعضهم يمتلك مزارع ويقوم بالأشراف عليها .

اما سكان الأزرق الشمالي وخصوصا الدروز فان ظهور جمعية الأزرق التعاونية والاستمرار في استخراج الملح والعمل في مصنع الملح كان من اهم الأنشطة الاقتصادية التي يعتمدون عليها، فتحول المجتمع الدرزي من قروي رعوي زراعي إلى مجتمع يعتمد على صناعة الملح واستخراجه، بالإضافة إلى انتعاش التجارة بسبب شق الطريق المودي إلى العراق وبيع الأراضي، كل هذه الأنشطة كانت هي البدائل التي اعتمد السكان عليها كبديل عن تربية الأبقار والأغنام.وهناك بعض أهل الأزرق الشمالي ممن يمتلك مزارع ويعمل بالزراعة . وعلى اية حال لا يمكن اطلاق تسمية مزارعين على الجماعات في الأزرق فعدد قليل منهم لديه مزارع وهي ليست مزارع كبيرة . فمعظم المزارع تعود ملكيتها لأشخاص من خارج الأزرق، وهكذا فان الزراعة لا تشكل موردا اقتصاديا ثابتا لاي من الجماعات الرئيسية الثلاث البدو والشيشان والدروز.

❖ التغير في القيمة المادية للأراضي وأثرها على البيئة والسكان في الأزرق

معنى الأرض بالنسبة للبدوي يختلف عن معنى الأرض بالنسبة للقروي، فالأرض بشكلها المحدد والمقيد عند البدوي لا وجود لها، والأرض عنده ببساطة **هي أرض الله وهي أرض الجميع وهي أرض القوي وهي الأرض التي يصلها فرسانه وقطعانه**، إذ لا تحديد ولا تقييد في فهم البدوي للأرض فهو لم يبحث عن امتلاك قطعة أرض او دونم أرض ما دام يشعر انه يمتلك الأرض التي يمتد إليها بصرة، ان هذا المفهوم يتناسب مع حياة الترحال والتنقل حيث لا توجد علاقة ثابتة مع بقعة معينة دون غيرها، ان البدوي يقف باكيا على

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأطلال الدوارس في المرابع التي نزلت بها عشيرته، وهي الان مقفرة لا أحد بـــها ســوى البوم والغربان، والبدوي عندما يبكي على هذه الأمكنة والأطلال إنما يبكي على الأيام والناس والذكريات التي ترتبط بهذا المكان، وليس على هذه البقعة من الأرض بالذات، وهذا لا يعنـــي بالطبع ان البدوي لا يقدر قيمة الأرض، بل ان قيمة الإنسان والعشيرة هي اهم بكثير من بقعة أرض يمكن تغييرها بسهولة. وترى القبور في الصحراء ليس لـــها شـواهد ولا علامـات، فليس هناك ارتباط وثيق بين رفات الاجداد وبين بقعة أرض معينة، فالميت يدفن حيـث مـات في منطقة تذروها الرياح والرمال التي لا تبقي اثرا لشيء، ومكانة الميـت عنـد البـدوي لا ترتبط بمكان جغرافي محدد، بل ترتبط بمكان محدد في عقله وذلك من خلال حفـظ الأنسـاب والتفاخر بالأجداد وهو ما يدعى بالـ genealogy ، والبدوي يسلم بالموت والحيـاة تسـليما مطلقا يفتقر اليه أهل المدن. وهكذا فان معنى الأرض عند البدوي لا يرتبـط بـثرى الأجـداد والآباء لان حياة الترحال تحتم علية عدم الالتصاق الشديد ببقعة معينة. وهو قد يعود اولا يعود لنفس البقعة التي نزل فيها هو وربعة في العام القادم.

كل هذا مقدمة أحببت ان أوردها لكي أبين التغير الذي حصـل فـي قيمـة ومعنـى الأرض عند البدو في الوقت الحالي وخصوصا في الازرق، لقد بدا التغير في معنـى الأرض عند البدوي بداية عندما تم وضع الحدود بين البلدان العربية، وصار البدوي مقيدا في ترحاله وتجواله. وقد اتجه بعض البدو تدريجيا الىالزراعة، وعندما نقول زراعـة فاننـا نعنـي استقرار، والاستقرار يتطلب المكوث والارتباط في مكان معين وامتلاك هذا المكـان، وهنـا تبدا العلاقة الحميمة المستقرة بين الإنسان والأرض. ولكن ما حصل في الأزرق يختلف فقد طغت قيمة الأرض المادية والتجارية عند مختلف الجماعات -وخصوصا من هم من خـارج الأزرق-. فالأرض في الأزرق بالنسبة لمعظم الجماعات لها قيمة ماديـة وتجاريـة وذلـك لافتقار سكان الأزرق للتاريخ الطويل الذي يربطهم بهذا المكان، ان ما يعطي المكان أهميـة بالنسبة للجماعات المستقرة هو قبور وارواح الاجداد التي تحاط بهالة من القداسة وتقوم حولـها المعتقدات والخرافات والأساطير، وهذا ليس موجودا عند أي جماعة في الأزرق لان قدومـهم إلى الأزرق حديث لا يتعدى سبعين سنة وهذه الفترة ليست كافيـة لتأسـيس منظومـة مـن المعتقدات والأساطير التي تبرز علاقة الإنسان بالمكان وتوارث هذا المكـان وتضفـي علـى المكان بعدا يتسم بالقداسة .

لقد أصبحت للأرض عند البدو في الازرق معان جديدة حلت محل المعـاني السـابقة وأخذت الأرض بعدا ماديا وتجاريا ، فهي تستخدم للزراعة والسكن، وهي سلعة للبيـع تـدر

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ربحا لصاحبها. وقد ساهمت هجرات الجماعات الفلسطينية المتتالية إلى الأردن إسهاما كبيرا في هذا التغيير فزاد الإقبال على شراء الأراضي وارتفع سعرها.

وقد تغيرت قيمة الأرض بالنسبة للشيشان ايضا ، فعند قدومهم من القوقاز اكتفوا بالأراضي التي سكنوا فيها حول الدشة وبعض المزارع الصغيرة، ولم يحاولوا التوسع في استملاك الأرض مع ان المجال كان متاحا لهم، وذلك لانهم يعتمدون على تربية القطعان اكثر من اعتمادهم على الزراعة، ولم تكن للأرض قيمتها المادية والاقتصادية انذاك، ولكن مع التحولات التي طرأت على الازرق من ارتفاع أسعار الأراضي وتفويض واستملاك الأراضي، كل هذا جعلهم يدركون القيمة المادية والتجارية للأرض كغيرهم .

اما الدروز فقد كانوا اكثر من غيرهم إدراكا لأهمية الأرض المادية من غيرهم، فقد طالب مصطفى نجم الاطرش احد مشايخ الدروز بتطويب الأزرق من الحكومة التركية وذلك قبل ترسيم حدود سايكس بيكو، واما عن القيمة المعنوية للأرض فان الدروز يرتبطون ارتباطا وثيقا بموطنهم الاصلي في جبل العرب، وكثير منهم يقوم حاليا بشراء بعض الأراضي في منطقة جبل العرب إذا قدر على ذلك، ولانهم جماعة مستقرة فان الأرض لها أهمية كبيرة للسكن والبيع ، وعلى اية حال ان الأراضي التي تملكها هذه الجماعات تظل محدودة إذا ما قورنت بالأراضي التي يمتلكها اشخاص من خارج الازرق.

ان استخدامات الأرض في الازرق والتغير في مفهوم الأراضي كان له تاثير سيء جدا على البيئة في الأزرق بالاضافة إلى ان جزءا كبيرا من الأرض يستخدم للقواعد العسكرية . وقد أدى مرور الطريق الرئيسي في قلب الواحة وبالقرب من البرك والينابيع إلى تحويل قيمة أراضي الواحة الرطبة من قيمة بيئية طبيعية إلى قيمة تجارية أثرت سلبا على البيئة، وتسبب ذلك في هروب الحيوانات وتدمير الغطاء النباتي وابتعاد الطيور، ان سيارات المسافرين والشاحنات الضخمة ناقلات النفط التي ينسكب منها النفط على الطريق تمر في وسط الأزرق الشمالي والجنوبي فتسبب التلوث.

ان ادراك الأهمية الاقتصادية للأراضي بالواحة أدى إلى نشوب صراع خفي بين مختلف الجماعات للتنافس حول امتلاك الأراضي، وترى كل جماعة انها احق من غيرها بامتلاك الأراضي، وصارت كل جماعة تسعى للحصول على المزيد من الأراضي في الواحة بهدف السكن او انشاء المحلات والمشاريع او بيعها. لقد كان لغياب القوانين الحاسمة،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والفوضى والعشوائية في امتلاك الأراضي في مناطق المزارع مثل العوشق والدغيلة اثر سلبي على استنزاف المزيد من المياه التي تستخدم في الزراعة.

❖ **اثر التغيرات البيئية على اتجاهات وسلوك الأفراد الاجتماعية والنفسية**

كانت بيئة الأزرق السابقة توفر شتى الموارد لمختلف الجماعات التي الجماعات كانت تحقق اكتفاء ذاتيا من الحاجات الغذائية دون ان يشكل ذلك ضغطا علىالموارد نفسها، فالموارد تكفي حاجة السكان وتزيد، وقد ساهم في ذلك قلة الكثافة السكانية التي لم تشكل ضغطا على الموارد وبالتالي لم يكن هناك صراع او تنافس على الموارد الموجودة، ولكن التدهور البيئي الذي ونضوب الكثير من المصادر الطبيعية التي يعتمد عليها السكان، ولّد لدى مختلف الجماعات حافزا للبحث عن موارد جديدة، إذ انهم اصبحوا يشعرون بالقلق والتخوف على مستقبلهم واستقرارهم في المنطقة، وقد كان مصنع الملح والطرق الدولية يوفران لهم الثقة والامان، ولكن الركود الذي تشهده المنطقة حاليا أدى إلى فقدان الاستقرار والأمان لدى الكثيرين.

أدى استقرار جماعات جديدة في المنطقة واحتكاك أهل الأزرق بسكان الزرقاء ، إلى تولد تبادل ثقافي بين هذه الجماعات وقد رافق هذا التبادل الثقافي اكتساب خبرات جديدة من مختلف الجماعات فحدث تغير في بعض العادات والقيم، ومن اهم هذه القيم التي دخلت إلى المجتمع تولد روح المبادرة والحرص والسعي والحافز لتطوير الوضع المعيشي والاقتصادي، مما أدى إلى المزيد من العمل والمنافسة ، ان كل هذه السمات لم تكن موجودة من قبل بهذا الوضوح لان الطبيعة كانت سخية توفر له ما يحتاجه وما عليه سوى العمل في الاستفادة من موارد الطبيعة، اما الان فقد تغير الوضع وصار الجيل الجديد بحاجة إلى الاعتماد على نفسه بالكامل والبحث عن شتى الفرص سواء بالتعليم او الوظائف او الصراع للحصول على ما بقي من الموارد الطبيعية في الأزرق إلا وهي الأراضي، وقد برزت أهمية الأراضي بشكل قوي في الوقت الحالي كبديل اقتصادي جديد بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية في المنطقة، وبسبب حرب الخليج والحصار المفروض على العراق مما جعل الكثيرين يبنون آمالا كبيرة على حل مشاكلهم الاقتصادية عن طريق الحصول على الأراضي.ومسالة الأراضي لها أبعاد اجتماعية ونفسية سيئة كالحسد والصراع وسوء التفاهم بين الجماعات وحتى بين افراد نفس الجماعة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

❖ وعي المجتمع المحلي بالبيئة.

ان فهم مدى وعي المجتمع المحلي لبيئته يرتبط بمعنى الحس البيئي **Environmental perception** و الإدراك البيئي **Environmental cognition** ، فالحس البيئي هو كيفية إدراك مفردات البيئة والتفاعل الحسي والانفعالي معها ومدى ارتباط كل ذلك بواقع الطبيعة الفيزيقية...أما الادراك البيئي فهو العمليات المعرفية **Environmental cognition** وهي التي تجنح لإضفاء المعاني على عناصر الواقع البيئي، وهكذا فان المعنى **Meaning** يصبح المحور الرئيسي في الرؤية الأنثروبولوجية للإدراك البيئي للجماعات البشرية.
ويبرز هناك نوعين من المعرفة : العملية النفعية وهي تتصل باستخدام واستثمار الموارد المادية في اشباع الحاجات الفيزيقية، والمثالية الرمزية التي تهدف إلى إضفاء المعاني الاخلاقية والروحية على مختلف جوانب الحياة الايكولوجية (النوري، ١٩٩٨: ٣٢٤-٣٢٨).

يعتبر الحس البيئي والادراك البيئي مهمان في تعامل افراد المجتمع المحلي مع بيئتهم، مثل توجهات الافراد والممارسات البيئية المختلفة سواء الممارسات الإيجابية أو السلبية، وهما يحددان معنى وقيمة البيئة عند الإنسان وهذا بدوره ينعكس على درجة انتمائه لتلك البيئة.

يتضح لنا من خلال استعراض المعطيات والتغيرات البيئية والأنشطة الاقتصادية المختلفة للسكان في الأزرق على اختلاف شرائحهم ان هناك ارتباطا ايكولوجيا وثيقا بين بقاء السكان في الأزرق وبين الموارد البيئية المختلفة، وهذا ما جعل الحس البيئي لديهم واضح وقوي، وهم يتمتعون بنسبة عالية من الإدراك البيئي، إذ يحضر إلى المنطقة خبراء من شتى التخصصات مما جعل السكان على اطلاع بمختلف التطورات، وهم يهتمون بما يطرأ من مستجدات ويتلقفون المعلومات التي تخص الأزرق باهتمام، ويشتركون في رأي واحد يتعلق ببيئتهم، فهم يفتقدون بيئة الواحة السابقة ويسهبون في وصف مختلف الموارد الطبيعية التي اختفت ويأسفون لما آل اليه الوضع في الأزرق، ولكنهم يشعرون بالعجز ايضا لعدم استطاعتهم منع الكارثة البيئية التي حلت بالازرق، وذلك لان المشكلة معقدة وتحتاج لجهود وطنية .

ويعتقد أهل الأزرق انهم لم يساهموا في تدمير البيئة ، وان ما حل بالازرق من خراب ودمار يرجع بشكل اساسي للضخ الجائر للمياه إلى مدينة عمان والزرقاء. ان ما يتمتع به أهل الأزرق من وعي بيئي ممكن ان يسهم في انجاح الخطط والمشاريع البيئية، ويمكن الاستعانة بخبرات السكان ومعرفتهم ببيتهم، ويشكل هذا الجانب مهما لان البيئة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الطبيعية المادية لا تنفصل عن الإنسان الموجود فيها، والبيئة في نهاية الامر لا تكمن اهميتها كشيء مجرد بل هي مهمة بالإنسان وللإنسان، وهذا ما تركز عليه الدراسات الأنثروبولوجية، فلكي نقوم بحل المشاكل البيئية في بقعة ما يجب ان لا نغفل أو نستهين بالعامل الإنساني، وخصوصا عند إقامة المشاريع واتخاذ القرارات، إذ يمتلك السكان المحليين إدراكا وتبصرا لبيئتهم قد يغفل عنه خبراء من خارج المنطقة. وللقيام بالتخطيط والتنظيم والعمل على حل المشكلات البيئية لا بد من وجود رؤية شمولية لمشكلات البيئة .

وهناك ركيزتان أساسيتان لتطوير هذه الرؤية الشمولية وهما الاستبصار أو التنبؤ العقلاني **Foreseeing** الذي يمكن من خلاله استباق الأحداث والتهيؤ لها، **والتغيير الموجه Guided change** الذي يرشد الحكومات والهيئات الأخرى لما فيه مصلحة الشعوب (النوري، ١٩٩٨: ٤٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل السابع

النتائج

© Arabic Digital University-Egypt (ADUE)

النتائـــج

استهدفت هذه الدراسة إبراز التغيرات البيئية في واحة الأزرق وأثر هـــذه التغـيرات على الحياة الثقافية للسكان، كما واستهدفت إبراز التحولات والهجرات للجماعـــات الســكانية المختلفة، وشملت هذه الدراسة مجتمع الأزرق الشـــمالي والأزرق الجنوبـــي والبـــدو الذيـــن يقيمون حول المنطقة .

ركزت الدراسة على الجماعات السكانية المختلفة، وذلك من خلال بحث اصـــول هـــذه الجماعات وثقافاتها وتاريخ استيطانها في المنطقة، وركزت الدراسة على تحليـــل التفـاعلات الإيكولوجية بين الإنسان والبيئة، وأثر التغيرات البيئية على الحياة الثقافية للســـكان، ودراســـة الوضع البيئي السابق في الأزرق والعلاقات الإيكولوجية بين الأنشطة الاقتصاديـــة والمـــوارد البيئية. وفي ضوء التحليلات الإيكولوجية والأنثروبولوجية التي وردت في الفصـــل الخـــامس خلصت الدراسة إلى عدة نتائج يمكن إيجازها في فيما يلي:

-ان سكان الأزرق هم عبارة عن جماعات قدمت حديثا من مناطق مختلفة، فالدروز قدموا مـن جبل العرب بسوريا، والشيشان قدموا من القوقاز، والبدو قدمـــوا مـــن المنـــاطق المحيطـــة بالأزرق، وقد كانت مياه الينابيع والبرك تمثل عنصر الجذب الأساسي لهذه الجماعات.

-يمتاز مجتمع الأزرق بأنه مجتمع غير متجانس، إذ يحتوي علـــى عـــدة تكوينـــات إثنيـــة، فالشيشان جماعة إثنية عرقية لغوية، والدروز جماعة إثنية دينية مذهبية، والبدو جماعة تختلف عن الجماعتين السابقتين بأن لها ثقافة خاصة ونمط معيشة مختلف كليا.

-تنقسم الأزرق إلى قريتين منفصلتين : الأزرق الشـــمالي ومعظـــم ســـكانه مـــن الـــدروز ، والأزرق الجنوبي ومعظم سكانه من الشيشان والبدو، وتشكل الاختلافات الإثنية عائقـــا دون دمج القريتين معا في بلدية واحدة.

-تشترك معظم هذه الجماعات بأنها تعرضت لهجرات قسرية، فالدروز تعرضوا لهجرة قســرية بسبب الاستعمار الفرنسي، والشيشان تعرضوا لهجرة قسرية مـــن قبـــل روســـيا القيصريـــة،

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والفلسطينيون تعرضوا لهجرة قسرية بسبب الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وآخر هذه الهجرات هجرة الزيادية عقب حرب الخليج. وتشكل الهجرة القسرية والمعاناة المشتركة عاملا قويا في تمسك هذه الجماعات بهويتها وثقافتها وانتماءاتها وأمجادها.

-ان الزيادة السكانية والهجرات المتتالية التي تعرض لها الأزرق والتوسع في امتلاك الأراضي، كلها تشكل ضغطا على الحوض المائي، وهذا بدوره يؤدي إلى تعرض الحوض للتلوث بالاضافة إلى تعرضه للاستنزاف والتملح .

-تعتبر قرى الأزرق قرى حديثة إذ لا يزيد عمرها عن سبعين سنة، فقد كانت في السابق ممر رئيسي للقوافل ما بين الجزيرة العربية وبادية الشام والعراق، وكانت من أهم طرق الهجرات الدورية للبدو بين الجزيرة العربية وبلاد الشام عبر وادي السرحان. وقد كانت أهمية الازرق كممر عائقا دون استقرار الجماعات البشرية ونشوء القرى المستقرة فيها، وظل هذا الامر حتى نشوء الدول العربية الحديثة وترسيم الحدود بين البلدان العربية.

-استطاعت كل جماعة استغلال الموارد البيئية المختلفة ضمن المنطقة الإيكولوجية الملائمة (Ecological Niche) فقد قام الشيشان والدروز باستغلال الموارد الطبيعة المتواجدة في بيئة الواحات ذات الطبيعة الرطبة، في حين قام البدو باستغلال الموارد الطبيعية في المنطقة الإيكولوجية الملائمة لهم وهي البيئة الصحراوية الجافة، والتي تحيط بالواحة.

-هذه المناطق الإيكولوجية ليست محددة تحديدا صارما فقد كان باستطاعة أي جماعة الانتفاع من الموارد الطبيعية غير المتوفرة في بيئاتها، فقد كان البدو ينتفعون من ينابيع الأزرق وكان الشيشان والدروز ينتفعون من صيد الطيور والحيوانات البرية في الوديان والمناطق الصحراوية المحيطة.

-كانت ينابيع ومياه الأزرق هي العامل الايكولوجي المشترك بين هذه الجماعات، فقد كان البدو يوردون ابلهم وقطعانهم فيها، وكان الدروز والشيشان يطلقون أبقارهم وجواميسهم فيها.

-ان وجود هذه الجماعات الإثنية المختلفة في بقعة واحدة تقريبا لم يخلق صراعا (Conflict)على الموارد في الماضي، لان الكثافة السكانية كانت قليلة في مقابل الوفرة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتنوع في الغطاء النباتي والحيواني، مما جعل كل جماعة تحقق حاجتها من الموارد البيئيـــة المتاحة.

-كل جماعة تعاملت مع البيئة من خلال ثقافتها وايدولوجيتها التي تميزها، فقامت كل جماعـــة بنقل خبراتها وثقافتها السابقة إلى البيئة الجديدة في الازرق، فالدروز قاموا بنقل خبرتهم فـــي بناء المساكن من حجر البازلت، وقام الشيشان بإدخال تربية الجواميس إلى الأزرق.

-لقد كان الوضع السابق في الأزرق يتسم بالتوازن بين الموارد البيئية والبشـــرية، ولقـــد بـــدأ الخلل في التوازن البيئي في وقت مبكر، فقد أدى استخدام البنادق الأوتوماتيكية فـــي إحـــداث خلل في أعداد الحيوانات البرية وأدت إلى انقراض بعض الانواع مثل بقر المـــها، والحمـــار البري السوري، والنعام.

-أما التدهور البيئي الحقيقي فقد بدأ بالظهور بعد السبعينات، أي بعد ضخ المياه مـــن حـــوض الأزرق إلى مدن اربد وعمان والزرقاء، وزادت نسبة الضخ عن الحد المسموح به ممـــا أدى إلى انحسار واستنزاف المياه الجوفية، ويعتبر الضخ الجائر هو العامل الرئيســـي والمباشـــر الذي أدى إلى تدهور بيئي متسارع ظهر في جفاف الينابيع والبرك والمســـتنقعات ، ومـــوت الأسماك، وظهور التصحر، وتملح الآبار، وانقراض أنواع كثيرة من النباتات والحيوانـــات، وانحسار المراعي، وكثرة الغبار والأتربة، وارتفاع درجات الحرارة.

-تتعرض البيئة في الأزرق إلى عملية تعاقب بيئي تراجعي، وذلك بسبب حصول تراجع فـــي الغطاء النباتي وابتعاد الغطاء النباتي عن الذروة، وترجع أسباب التعـــاقب الايكولوجـــي فـــي بيئية الأزرق إلى أسباب بشرية.

-ان كل هذه التغيرات البيئية أثرت سلبا على مختلف الجوانب الثقافية للســـكان، وخصوصـــا الأنشطة الاقتصادية وذلك بسبب ارتباطها الوثيق بالموارد البيئية، وتعتبر هذه التغـــيرات ومـــا تركته من آثار هي الهدف الرئيسي من هذه الدراسة، وبعد فحص واختبار الفرضيـــات التـــي افترضها في بداية الدراسة وذلك في ضوء الواقع البيئي والبيانات الاثنوغرافيـــة والتاريخيـــة توصلت إلى النتائج الرئيسية التاليه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاستنتاج الأول : للبيئة أثر كبير في توجيه الأنشطة الاقتصادية والاتجاهات السلوكية والاجتماعية.

لقد ساهمت البيئة في توجيه وتشكيل مختلف الأنشطة الاقتصادية في الازرق، وهذا يتضح بجلاء في الفصل الرابع، إذ ان تنوع المصادر أدى إلى تنوع الأنشطة الاقتصادية مثل؛ صيد الأسماك والطيور والحيوانات البرية، تربية الإبل والأبقار والجواميس، استخراج الملح، الزراعة، وغير ذلك. كان اعتماد السكان على نمط الاقتصاد البسيط الذي يحقق الاكتفاء الذاتي، وكان إنتاج الألبان والاجبان هو القاسم المشترك الجماعات الرئيسية الثلاث.

ان البيئة الصحراوية الجافة كانت بيئة ملائمة لنشاط الرعي وتربية الإبل والأغنام كنشاط اقتصادي مميز، فطبيعة المنطقة التي تحتوي على مراعي متفرقة ونباتات مختلفة ومياه قليلة ساهمت في تشكيل نمط البداوة التي تقوم على التنقل والترحال، وساهمت في إبراز أهمية القبيلة كوحدة اقتصادية واجتماعية وسياسية، تتميز بالانحدار الأبوي القائم على العصبية القبلية ورابطة الدم وتضامن القبيلة وترابطها للتكيف مع بيئة الصحراء القاسية.

وكما ساهمت البيئة الصحراوية الجافة في تشكيل أنشطة الرعي وتربية الأغنام، فقد ساهمت بيئة الواحة الرطبة التي تحتوي على البرك والينابيع والمستنقعات في جعل تربية الأبقار والجواميس ملائمة لهذه الحيوانات التي لا تحتمل الجفاف ونقص المياه، بالإضافة الى وفرة الأعشاب وكثافة الغطاء النبات.

وكان التنوع الهائل في الطيور والحيوانات البرية والأسماك عاملا مهما في توجيه أنشطة الصيد المختلفة. وتعتبر السيول التي تصب في منطقة القاع، والارتفاع الكبير في درجات الحرارة وسرعة التبخر، عوامل مهمة نشوء استخراج الملح وتصنيعه.

وكان لجمال الطبيعة وتنوع مصادرها أهمية كبيرة في اجتذاب الناس إليها مما أدى إلى تنشيط السياحة، فكانت مقصدا لمحبي الصيد والتصوير والسباحة ومحبي الآثار والجيولوجيا، وقد أدى هذا بدوره إنشاء المحلات التجارية والمطاعم والاستراحات.

ولقد أثرت البيئة أيضا على الاتجاهات السلوكية والاجتماعية للأفراد. فقد كانت بيئة الأزرق السابقة توفر شتى الموارد لمختلف الجماعات، ولهذا فان كل الجماعات حققت اكتفاء ذاتيا من الحاجات الغذائية دون ان يولد ذلك صراع على الموارد. ولكن التدهور البيئي الذي حصل في الأزرق أدى إلى ونضوب كثير من المصادر الطبيعية التي يعتمد عليها السكان ، مما ولد لدى مختلف الجماعات حافزا للبحث عن موارد جديدة، وزاد هذا الحافز في ظل الركود الذي تشهده المنطقة.

ان استقرار جماعات جديدة في الازرق واحتكاك سكان الأزرق بسكان الزرقاء وغيرها من المدن، أدى إلى تولد تبادل ثقافي بين هذه الجماعات وقد رافق هذا التبادل الثقافي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اكتساب خصائص ثقافية جديدة وتعلم خبرات جديدة من مختلف الجماعات، فحدث تغير في بعض العادات والقيم، ومن أهم هذه القيم التي دخلت إلى المجتمع تولد روح المبادرة والحرص والسعي والحافز لتطوير الوضع المعيشي والاقتصادي، مما أدى إلى المزيد من العمل والمنافسة والصراع للحصول على ما بقي من الموارد الطبيعية في الأزرق إلا وهي الأراضي، وقد برزت أهمية الأراضي بشكل قوي في الوقت الحالي كبديل اقتصادي جديد بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية في المنطقة، وبسبب حرب الخليج والحصار المفروض على العراق.

الاستنتاج الثاني: التدمير المتسارع للبيئة يخلق مشكلة في الاعتماد على الموارد البيئية كمصدر رزق.

خلق التدهور البيئي الذي تعرضت له الأزرق حاله من عدم التوازن والاستقرار، وأثر سلبيا على مختلف الأنشطة الاقتصادية التي كان يعتمد عليها السكان مما أدى إلى تلاشي معظم هذه الأنشطة بسبب ارتباطها الوثيق بالموارد البيئية التي كانت تتوفر في الأزرق وخصوصا المياه، فقد اختفت تربية الأبقار والجواميس عند الشيشان والدروز، واختفت تربية الإبل التي تحتاج لمساحات ومراعي شاسعة، وقد كانت المياه توفر ثروة سمكية للسكان بالإضافة إلى صيد الطيور والحيوانات البرية، واختفاء كثير من النباتات التي كانت تنمو حول المستنقعات ويعتمد عليها السكان في غذائهم مثل الحوبرنه والمرير وغيرها.

لقد اثر الضخ الجائر للمياه سلبيا على مختلف الأنشطة الاقتصادية، ولم يبق من الأنشطة السابقة سوى استخراج وصناعة الملح ، إذ لم يتأثر هذا النشاط كثيرا بالتدهور البيئي.

الاستنتاج الثالث: التوجه نحو بدائل اقتصادية جديدة قد يؤثر سلبا على البيئة.

لقد كان شق الطرق الدولية من البدائل التي توفرت للسكان، ولم يقم السكان بخلق هذا البديل وانما قاموا بالاستفادة من وجوده، ولقد كان مرور هذه الطرق في قلب الواحة وبالقرب من البرك والينابيع ذا تأثير سيئ على البيئة، فقد أدى إلى زوال تربية الأبقار والجواميس، والى هروب الحيوانات البرية التي كانت ترد إلى منطقة البرك، وإلى تدمير الغطاء النباتي وتوقف هجرة الطيور، وأدى إلى تحويل قيمة أراضي الواحة الرطبة من قيمة بيئية طبيعية إلى قيمة مادية تجارية، وبرزت أهمية الأراضي كبديل اقتصادي فظهرت المحلات التجارية ونشطت حركة الشاحنات وناقلات النفط عبر الواحة، ولقد ساهمت الفوضى والعشوائية في امتلاك الأراضي الزراعية في مناطق المزارع والعوشق والدغيلة إلى استنزاف المزيد من المياه التي تستخدم في الزراعة، بالإضافة إلى زراعة المحاصيل التي تستهلك كميات كبيرة من المياه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم تكن كل البدائل ذات تأثير سلبي، فمصنع الملح ليس له تأثير سلبي على البيئة لان ملح الطعام مادة توجد في الطبيعة ولا تحتاج لعمليات تصنيع.

الاستنتاج الرابع: كل جماعة سكانية لها أسلوبها الخاص للتكيف والتعايش مع هذه التغيرات.

اتجه سكان الأزرق للبحث عن أنماط اقتصادية جديدة لتكون بديلة للأنماط السابقة والتي تأثرت سلبا بسبب التدمير البيئي الذي تعرضت له الازرق، فبعد ان كان سكان الأزرق يؤمّنون حاجتهم الغذائية من المصادر الحيوانية والنباتية المتوافرة في البيئة صاروا يشترون حاجاتهم من اللحوم والخضار والأسماك كغيرهم من سكان المدن، واتجهوا للبحث عن موارد رزق جديدة تؤمن لهم دخلا يكفيهم.

ظهرت تربية الأغنام عند البدو كبديل لتربية الإبل التي اصبح من العسير تربيتها بسبب تغير الظروف المناسبة لتربيتها وحلت محلها تربية الأغنام وبأعداد كبيرة ، وذلك لتوفر الآليات التي تحمل قطعان الماشية لمسافات بعيدة وتوفر المياه في خزانات تتواجد حول بيوت الشعر، هناك من اتجه للعمل بالزراعة في المزارع التي يمتلكها في المنطقة، وقد انخرط العديد من البدو في سلك الدولة وعملوا بالوظائف الحكومية والجيش وقوات البادية. ان تعدد الأنشطة الاقتصادية داخل القبيلة الواحدة والتي كانت تتسم بنشاط اقتصادي واحد وهو الرعي أدى إلى وجود تفاوت كبير بين افراد القبيلة نفسها.

اما الشيشان فقد كان شق الطريق الدولي المؤدي إلى السعودية ذا أهمية كبيرة في تغير النشاط الاقتصادي الذي تعتمد علية هذه الجماعة، فتحول الشيشان من مجتمع رعوي قروي إلى مجتمع يعتمد على التجارة والسياحة وتأجير المحلات التجارية والاتجار بالأراضي والعمل في الوظائف الحكومية، ومنهم من يمتلك بعض المزارع ويقوم بالإشراف عليها. ويعتبر الطريق الرئيسي الذي يمر عبر الأزرق الجنوبي إلى الحدود السعودية شريانا اقتصاديا حيويا وهاما لهم.

اما سكان الأزرق الشمالي وخصوصا الدروز فان ظهور جمعية الأزرق التعاونية والاستمرار في استخراج الملح والعمل في مصنع الملح كان من أهم الأنشطة الاقتصادية التي يعتمدون عليها، فتحول المجتمع الدرزي من قروي رعوي إلى مجتمع يعتمد على صناعة الملح واستخراجه، بالإضافة إلى انتعاش التجارة بسبب شق الطريق المودي إلى العراق وبيع الأراضي، كل هذه الأنشطة كانت هي البدائل التي اعتمد السكان عليها كبديل عن تربية الأبقار والأغنام. وهناك بعض أهل الأزرق الشمالي ممن يمتلك مزارع ويعمل بالزراعة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اتسمت الجماعات الثلاث السابقة بأنها جاءت من بيئات جغرافية تتسم بالعزلة فالبدو، بالرغم من تعاملهم مع القرويين أهل المدن إلا انهم مجتمع يمتاز نسبيا بالعزلة. وقد حضر الدروز والشيشان من مناطق جبلية، ويعرف عن سكان الجبال انهم يتسمون بالعزلة وذلك لصعوبة الوصول إلى المناطق الجبلية في الماضي، ولقد اضطرت هذه الجماعات للتعايش معا في بقعة جغرافية واحدة، وقد ساهمت الطرق الدولية ونزوح الجماعات الفلسطينية في كسر حاجز العزلة لهذه الجماعات مما جعل الأزرق مجتمعا منفتحا يضم خليطا من الثقافات، وقد أدى هذا إلى تولد عملية التثاقف (Acculturation) بسبب الاتصال الثقافي فيما بينها، فقد تم تبادل الثقافات بين هذه الجماعات وتأثرت كل واحدة بدرجات متفاوتة من الثقافات الأخرى، ويعتبر البدو هم اكثر الجماعات تأثرا بالثقافات الأخرى. ان وقوع الأزرق في منطقة حدودية سهل عملية الاتصال الثقافي مما جعل الأزرق منطقة منفتحة على الثقافات المحلية ومنفتحة أيضا على ثقافات الدول العربية المجاورة.

الاستنتاج الخامس: هناك بعض الجماعات والشرائح اكثر تأثرا بالتغيرات البيئية من غيرها.

يعتبر البدو من أكثر الشرائح تأثرا بالتغيرات البيئية والسياسية في المنطقة ، لان النشاط الاقتصادي للبدو قامت حوله منظومة ثقافية متكاملة من العادات والتقاليد والأعراف ، ولقد أدى اختلال هذا النشاط السابق إلى حدوث تغير كبير في بنية القبيلة فلم تعد القبيلة تشكل وحدة اقتصادية اجتماعية سياسية ذات طابع مؤسسي ، فقد انتهى عهد الغزو والغارات، وتلاشت الهجرات الدورية بين البلدان. وأدى انكماش دور القبيلة إلى تغير في الكثير من العادات والتقاليد بسبب الاتصال الثقافي مع الجماعات الأخرى، وميل الكثير منهم إلى العمل بالزراعة أو الاستقرار بالمدن.

أن النشاط الاقتصادي للبدو هو من اكثر الأنشطة التصاقا بالبيئة لذلك كان من أكثر الأنشطة تأثرا ، ويعاني البدو حاليا من التكيف مع تزايد التصحر، وقلة المراعي مما جعله يعتمد على الأعلاف التي تمتاز بارتفاع أثمانها، ان كل هذه المشكلات تشكل تهديدا للاقتصاد الرعوي الذي تتميز به تلك المنطقة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المراجع العربية

ابراهيم، فتحية محمد& الشنواني حمدي مدخل إلى الانثربولوجيا الإيكولوجية. الرياض: دار المريخ. ١٩٨٨

ابو عز الدين، نجلاء الدروز في التاريخ. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٨٧

أبو زيد، أحمد محاضرات في الانثربولوجيا الثقافية. بيروت: دار النهضة العربية. ١٩٧٨

البادي، عوض الرّحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان ١٨٤٥ -١٩٢٢ . الرياض: دار بلاد العرب للنشر والتوزيع. ١٩٩٧

البحيري، صلاح الدين جغرافية الأردن. عمان: مكتبة الجامع الحسيلي. ١٩٧٣

بيك، فريدريك تاريخ شرق الأردن وقبائلها، ترجمة بهاء الدين طوقان. عمان: الدار العربية للنشر. ١٩٣٥

بلنت، آن رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة محمد أنعم غالب.دار اليمامة: الرياض. ١٩٦٧

بينو، سعيد الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ -١٩٩١ . عمان: مطابع الصفوة. ١٩٩٧

جابر، سامية علم الاجتماع المعاصر. بيروت: دار النهضة العربية. ١٩٨٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجاسر، حمد ١٩٧٠ في شمال غرب الجزيرة العربية: نصوص، مشاهدات، انطباعات. الرياض: دار اليمامة للنشر.

الحفار، سعيد محمد ١٩٨١ الإنسان ومشكلات البيئة. الدوحة: مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع.

الديسي، أحمد ١٩٩٧ علم البيئة والعلاقات الحيوية. عمان: منشورات جامعة القدس المفتوحة.

الربابعة، أحمد ١٩٨٧ دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية. عمان: منشورات دائرة الثقافة والفنون.

العابدي، محمود ١٩٧٨ من تاريخنا: المجموعة الرابعة. عمان: جمعية عمال المطابع الوطنية.

عبد المقصود، زين الدين ١٩٩٧ البيئة والإنسان: دراسة في مشكلات الإنسان مع بيئته. الاسكندرية : المعارف.

عبد المقصود، زين الدين ١٩٨١ البيئة والإنسان: علاقات ومشكلات. القاهرة: دارعطوة للطباعة.

العيسمي، شبلي وآخرون ١٩٦٢ التعريف محافظة جبل العرب، سلسلة بلادنا. دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي.

غرايبة،سامح & فرحان، يحيى ١٩٨٧ المدخل إلى العلوم البيئية.عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

السامرائي، يونس الشيخ ١٩٨٩ القبائل العراقية، ج١. بغداد: مكتبة الشرق الجديد.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شقيرات، أحمد صدقي شقيرات تاريخ الادارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤ –١٩١٨. ١٩٩٢ عمان: المكتبة الوطنية.

فاليـــن، جورج أوغست ١٩٧١ صور من شمالي الجزيرة العربية في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة سمير شبلي. بيروت: منشورات أوراق لبنانية.

كفافـــي، زيـــدان ١٩٩٢ الأردن في العصور الحجرية. عمان: مؤسسة آل البيت.

مشروع المحافظة على واحة الأزرق ١٩٩٥ المشروع الفرعي للتنمية الزراعية في حوض الأزرق: اقتصاديات الانتاج الزراعي في حوض الأزرق. المملكة الاردنية الهاشمية & UNDP.

مشروع المحافظة على واحة الأزرق ١٩٩٦ المشروع الفرعي للتنمية الزراعية في حوض الأزرق: بساتين الاشجار المثمرة في منطقـــة منخفـــض الأزرق. المملكة الاردنية الهاشمية & UNDP.

مشروع المحافظة على واحة الأزرق ١٩٩٦ مشروع المحافظة على واحة الأزرق المشروع الفرعي لتقييم الاثر البيئي وتنفيذ اتفاقية رامسار: التقرير النـــهائي عن تقييم الاثر البيئي لمشـــاريع تربيـــة الاســـماك فـــي الأزرق ووضع الخطوط الارشادية لهذه الصناعة داخـــل وحول موقع رامسار. المملكـــة الاردنيـــة الهاشـــمية & UNDP.

مشروع المحافظة على واحة الأزرق ١٩٩٦ الجدوى الفنية والمالية لزراعـــة النخيـــل في منطقة الأزرق. المملكة الاردنية الهاشمية & UNDP.

مشروع المحافظة على واحة الأزرق ١٩٩٦ المشروع الفرعي للتنمية الزراعية في حوض الأزرق: الخطوط الارشادية للتنمية الزراعية في حوض الأزرق: التقرير العام. المملكة الاردنيةالهاشمية & UNDP.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ناشخو، جودت ١٩٩٥ تاريخ الشركس (الأديغة) والشيشان في لوائي حوران والبلقاء(١٨٧٨-١٩٢٠م).عمان: مؤسسة آل البيت.

النوري، قيس ١٩٩٨ بيئة الإنسان من منظور الثقافة والمجتمع. اربد: جامعة اليرموك.

وزارة التخطيط ١٩٨٩ تنمية البادية الاردنية: الواقع التنموي وتوجهات المستقبل المملكةالاردنية الهاشمية: وزارة التخطيط.

وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة ١٩٩٠ الاستراتيجية الوطنية لحماية البيئة في الأردن. عمان مطابع الايمان.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Bibliography

Azraq oasis conservation project. 1996 Socio economic study of Azraq villages. Jordan & UNDP.

Barth, Fredrik. 1969 Ecological Relationships of ethnic groups in Swat, North Pakistan. In Vayda, Andrew.(ed) environmental and cultural behavior, New York: The national history press.

Bresler, Jack B 1968 Environments of Man. Reading: Addison wesley pub.

Burnham, P.C & Ellen R.F 1978 Social and Ecological systems. London: Academic Press.

Ellen, Roy 1979 Sago Subsistence and the Trade in Spices: A Provisional Model of Ecological Succession And Imbalance in Molucan History. In Burnham, P.C & Ellen R.F.(ed) Social and Ecological Systems, London: Academic Press.

Fox, James J 1979 A tale of Two states: Ecology and The Political Economy of Inequality of the Island of Roti, In Burnham, p. c& Ellen R. F.(ed) Social and Ecological systems, London: Academic Press.

Geerts, Clifford 1969 Two Types of Ecosystems. In Vayda, Andrew .P.(ed) Environmental and cultural behavior, New York: The national history press.

Hardesty, Donald. 1977 Ecological Anthropology. New York: John Wiley & Sons.

Steward, Julian H 1955 Theory of Culture Change. United States of America University of Illinois Press URBANA.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Krober, Alfred L 1970 — Relations of Environmental and Cultural Factors. In Vayda Anderw P.(ed) Environmental Behavior, New York: The National History Press.

Lewis, Norman N 1987 — Nomads and Settlers in Syria and Jordan, 1800-1980. London: Cambridge University press.

Moran, Emilio F 1978 — Human Adaptability: An Introduction to Ecological Anthropology. California: Duxbury press.

Mashreq and Maghreb project 1998 — The Decision- Making Environment of Rural Producers in Low Rainfall Areas of Jordan: Implications of State Ownership Over Rangelands, Tunisia: ICARDA & IFRI.

Musil, Alois 1930 — In the Arabian Desert. New York: AMS press.

Musil, Alois 1927 — ARABIA DESERTA. New York: AMS Press.

Nicolas, Peterson 1979 — Territorial Adaptations Among Desert Hunter-Gatherers: The !kung and Australians Compared. In Burnham, P.C & Ellen R,F.(ed) Social and Ecological Systems, London: Academic Press.

Nelson, Bryan 1972 — Azraq Desert Oasis. London: Cox & Wyman Ltd.

Peddocke, Stuart 1971 — The Potlach System of the Southern Kwakiutl: Anew Perspective. In Vayda, Anderw P.(ed) Environmental and cultural behavior, New York: The National History Press.

Pierre, Bonte 1979 — Pastoral Production, Territorial Organization and Kinship in Segmentary Lineage Societies. In Burnham, P.C & Ellen, R F.(ed) Social and Ecological Systems, London: Academic Press.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Rappaport, Roy A 1969 — Ritual Regulation of Environmental Relations Among a New Guinea People. In Vayda, Andrew P. (ed) Environmental and Cultural Behavior, New York: The National History Press.

Sahlins, Marshall D 1969 — Land Use and the Extended Family in Moala, Fiji. In Vayda, Andrew P.(ed) Environmental And cultural Behavior, New York: The National History Press.

Sweet, Louise E 1969 — Camel Pastoralism in North Arabia and the Minimal Camping Unit. In Vayda, Andrew P. (ed) Environmental and Cultural Behavior, New York: The National History Press.

Vayda, Andrew P 1969 — Expansion and Warfare among Swiddin Agriculturists. In Vayda, Andrew P.(ed) Environmental and cultural Behavior, New York: The National History press.

Wagley, Charles 1969 — Cultural Influences on Population: A Comparison of Two Tupi Tribes. In Vayda, Andrew P.(ed) Environmental and Cultural Behavior, New York: The National History press.

Warriner, Doreen 1964 — Economics of Peasant Farming. London: Frank.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

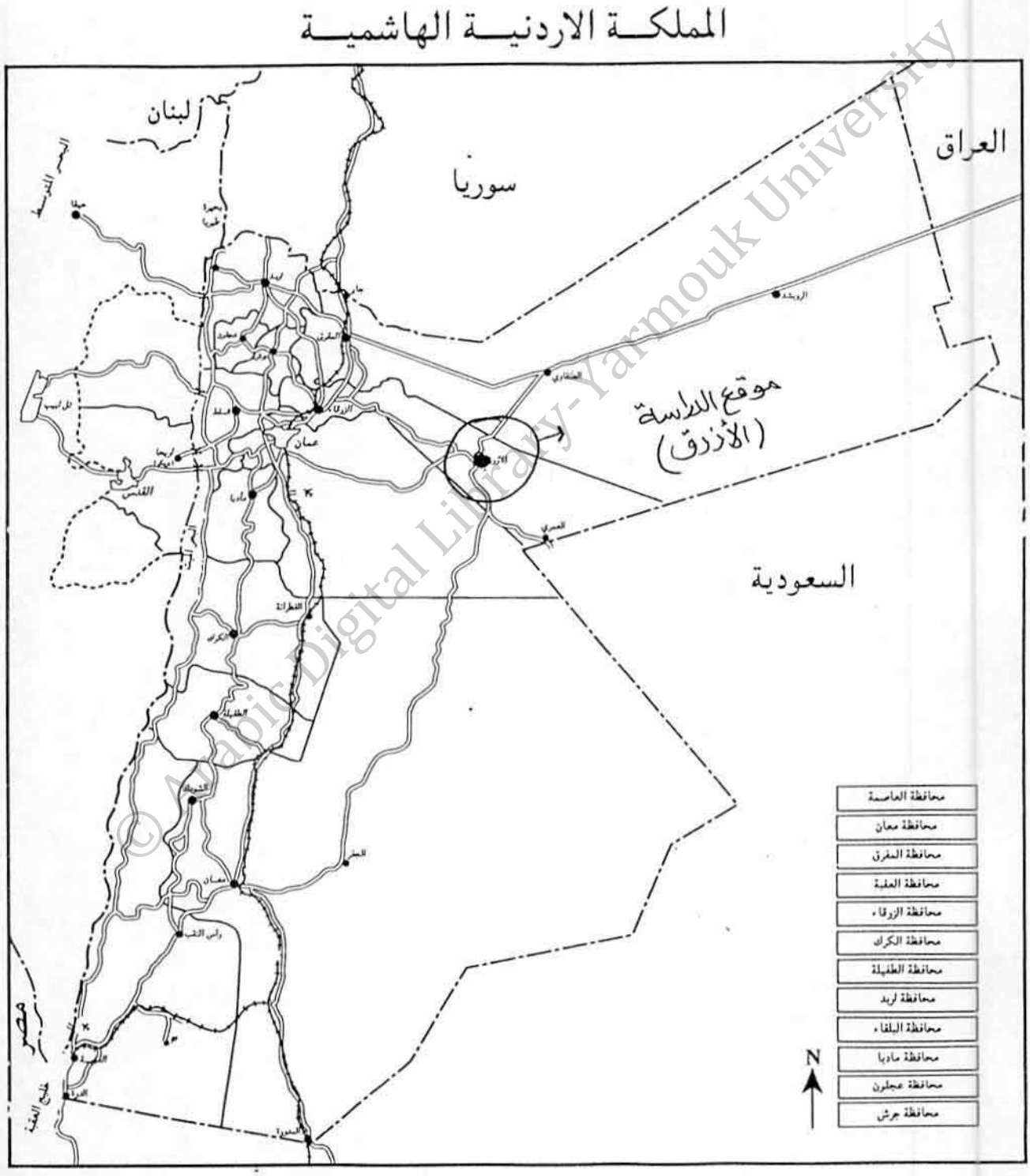

خارطة تبين موقع الأزرق ضمن المملكة وضمن محافظة الزرقاء

شكل (١)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

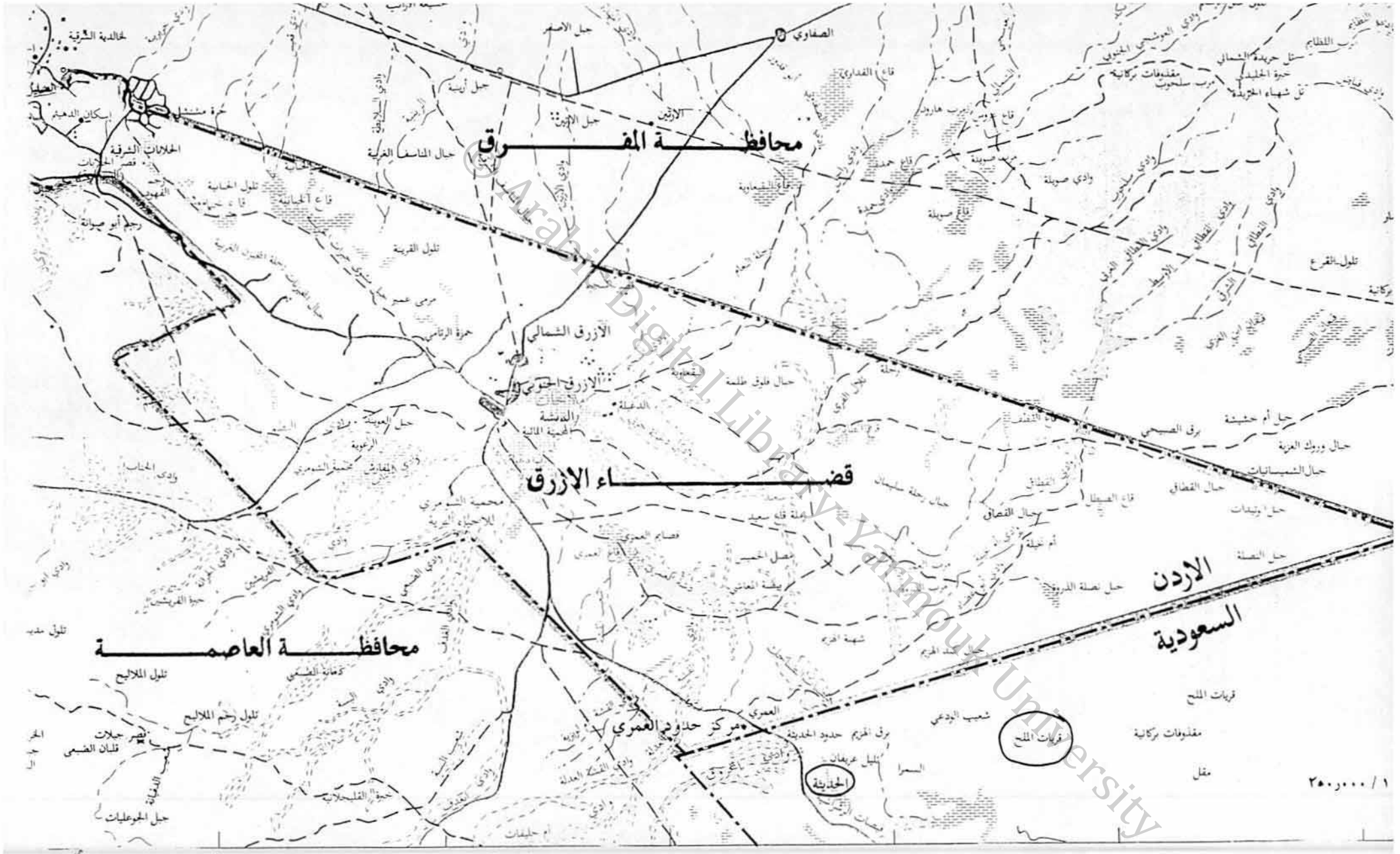

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكل (٢) خارطة توضح موقع قضاء الأزرق الواقع بين محافظة العاصمة ومحافظة المفرق، والحدود المتاخمة للحدود السعودية

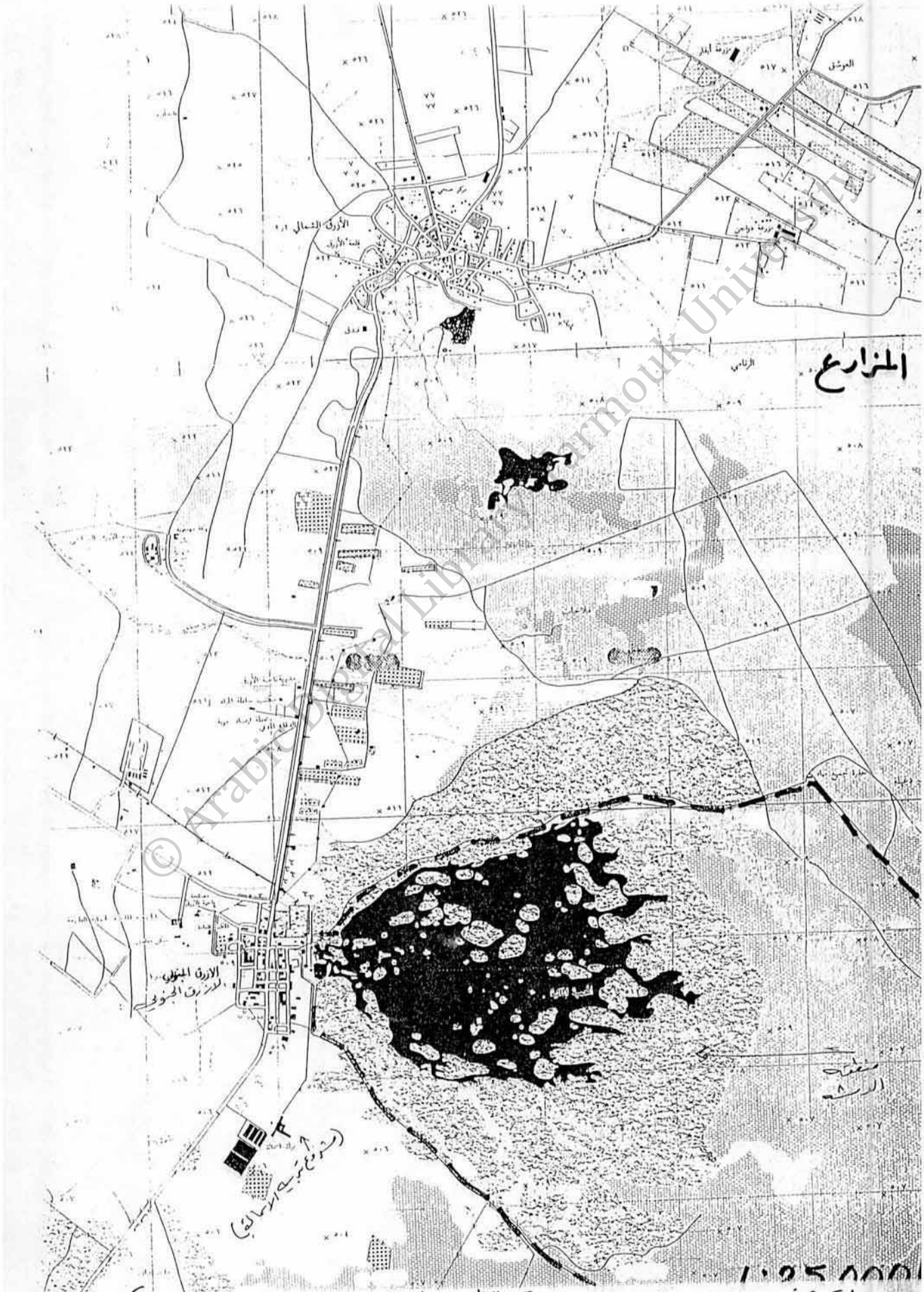

خارطة توضح التجمعات السكنية في الأزرق وتظهر منطقة المستنقعات (الدشة) شكل رقم (٣)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

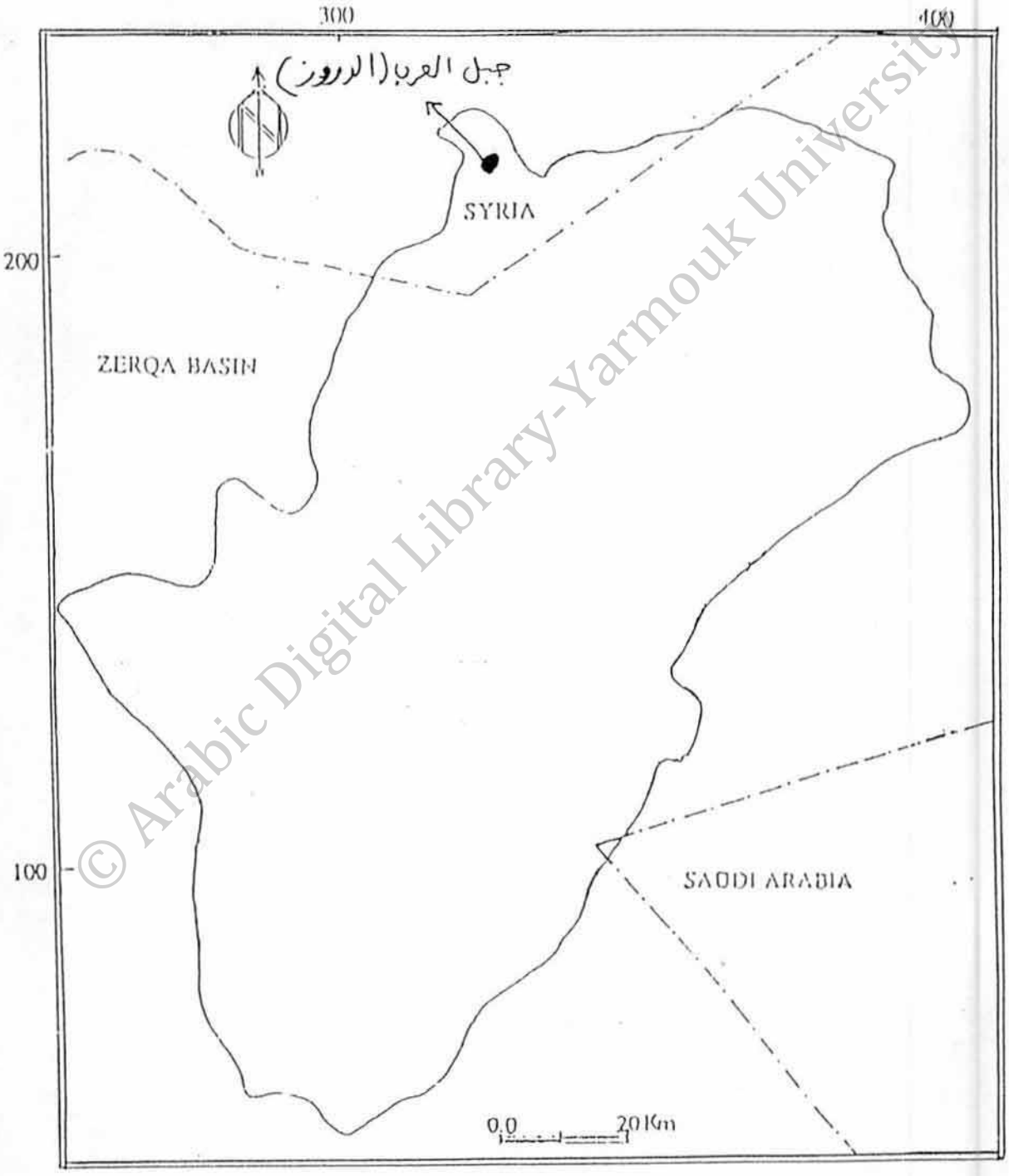

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Azraq Basin

خارطة تبين موقع حوض الأزرق
شكل رقم (٤)

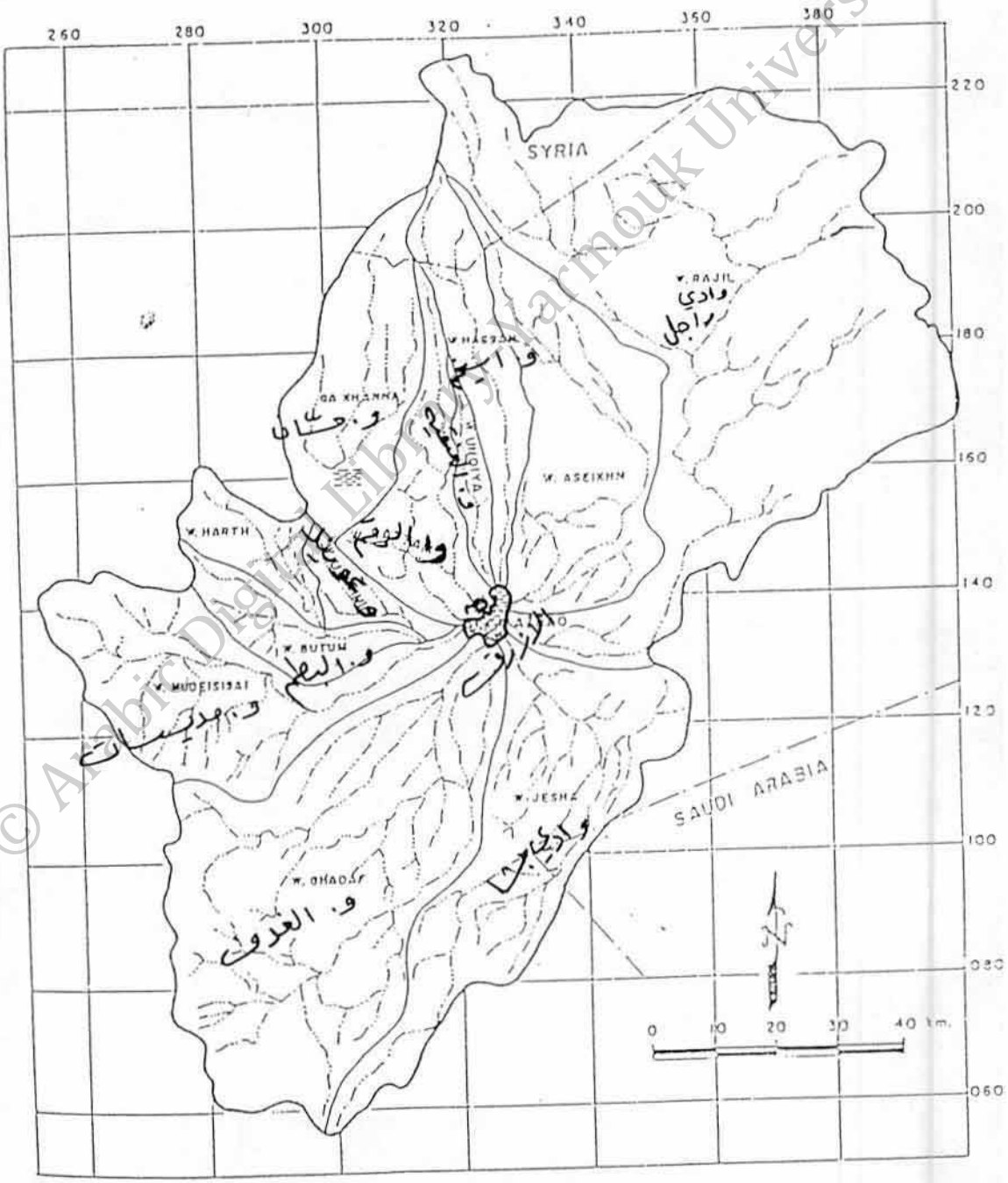

Wadis in Azraq Basin.

خارطة تبين الوديان التي تصب في حوض الأزرق

شكل رقم (٥)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

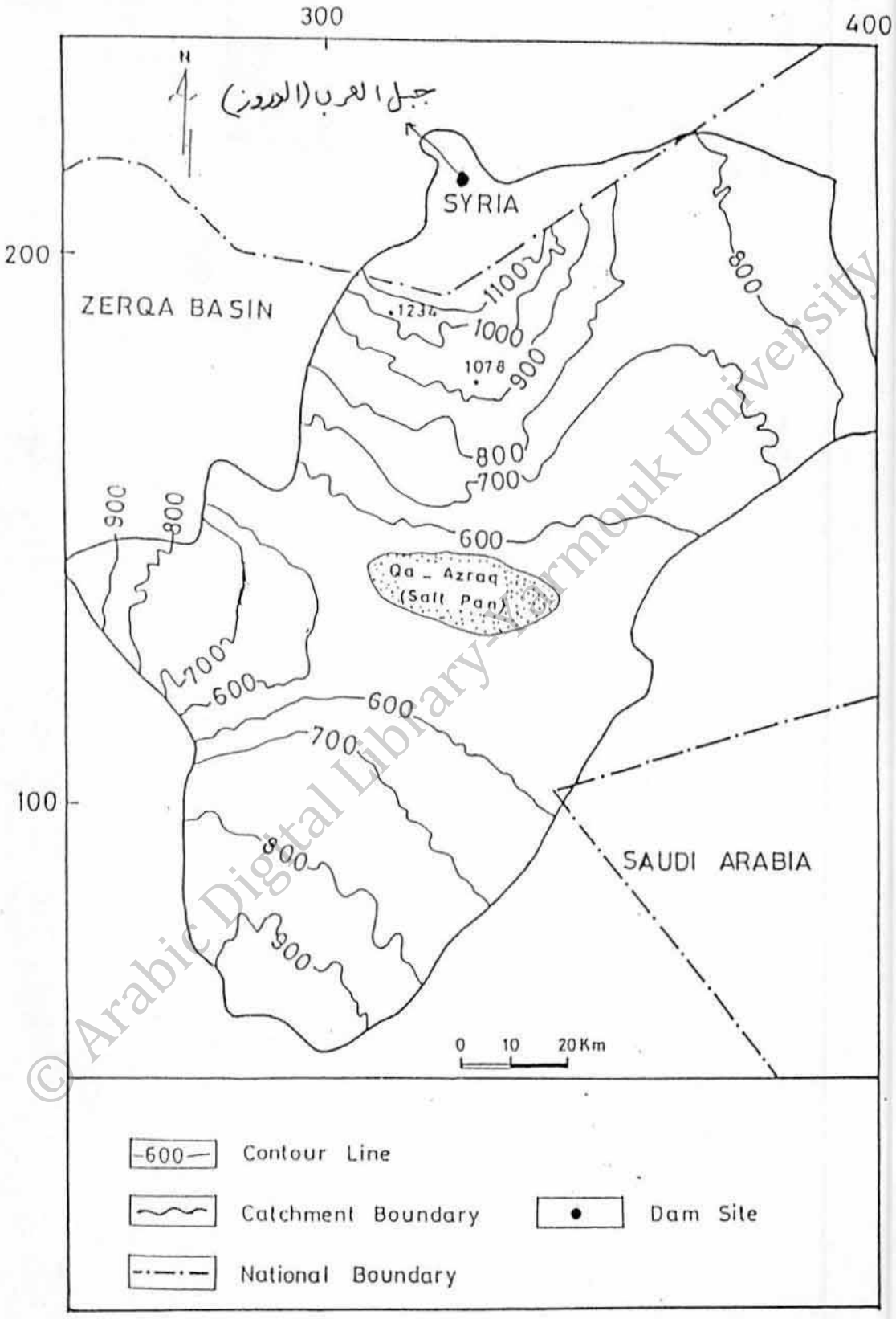

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Topgraphic Map of the Azraq Basin.

صور طبوغرافية لحوض الأزرق

شكل رقم (٦)

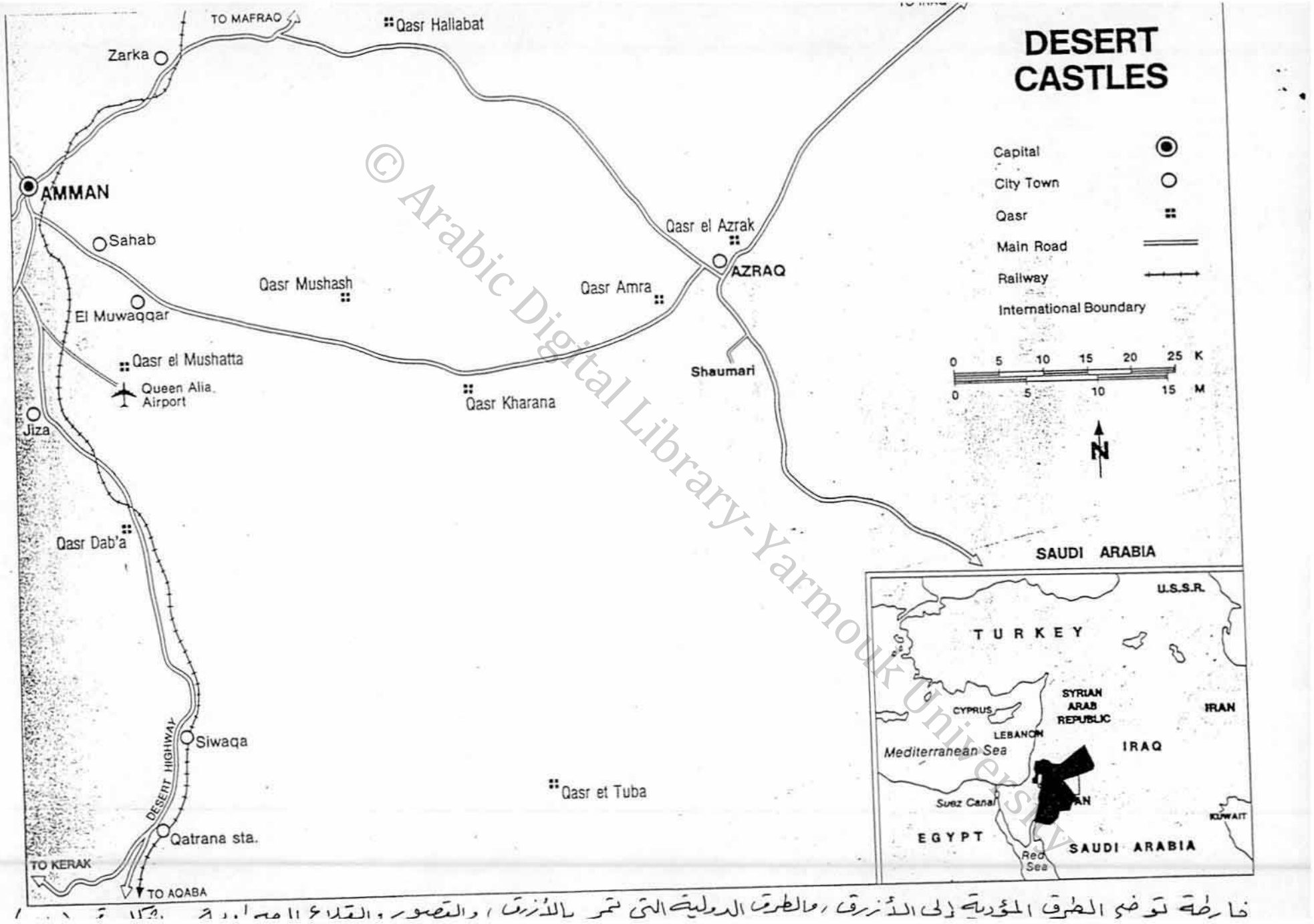

خارطة توضح الطرق المؤدية إلى الأزرق والطرق الدولية التي تمر بالأزرق والقصور والقلاع الصحراوية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

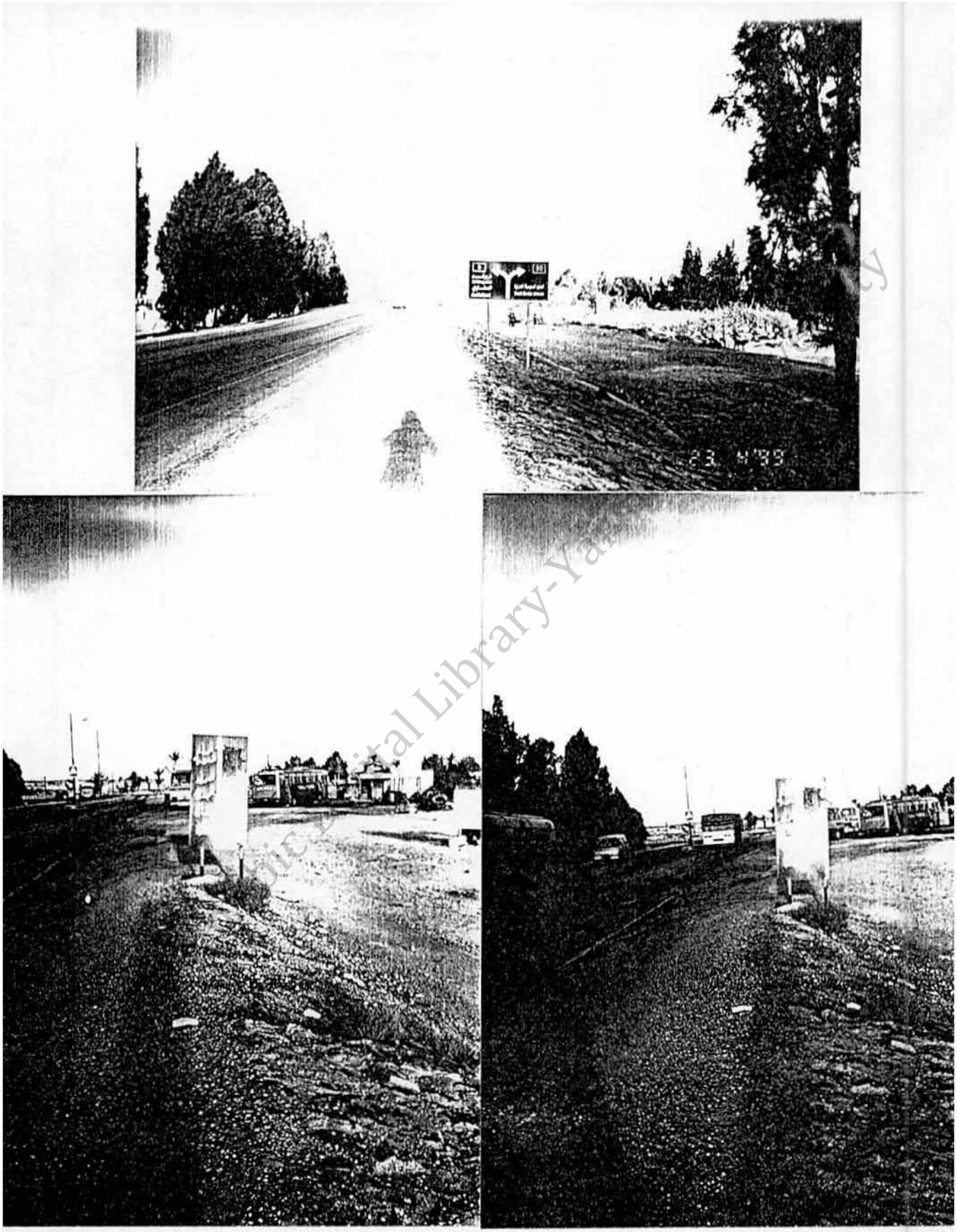

صور تمثل الطرق الدولية اخذت من مدخل الازرق :

الصورة العلوية تشير الى الطريق المؤدي الى الحدود السعودية ، والرويشد والمفاوي .

الصور السفلية تشير الى الطريق المؤدي الى الحدود السعودية والعمري ، والحفير ومعان والعقبة .

شكل رقم (٨)

Hashemite Digital Library-Yarmouk University

صوره مبنى بلدية الازرق الشمالي

صوره تمثل مجلس مرزي الازرق الجنوبي

شكل (٩)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

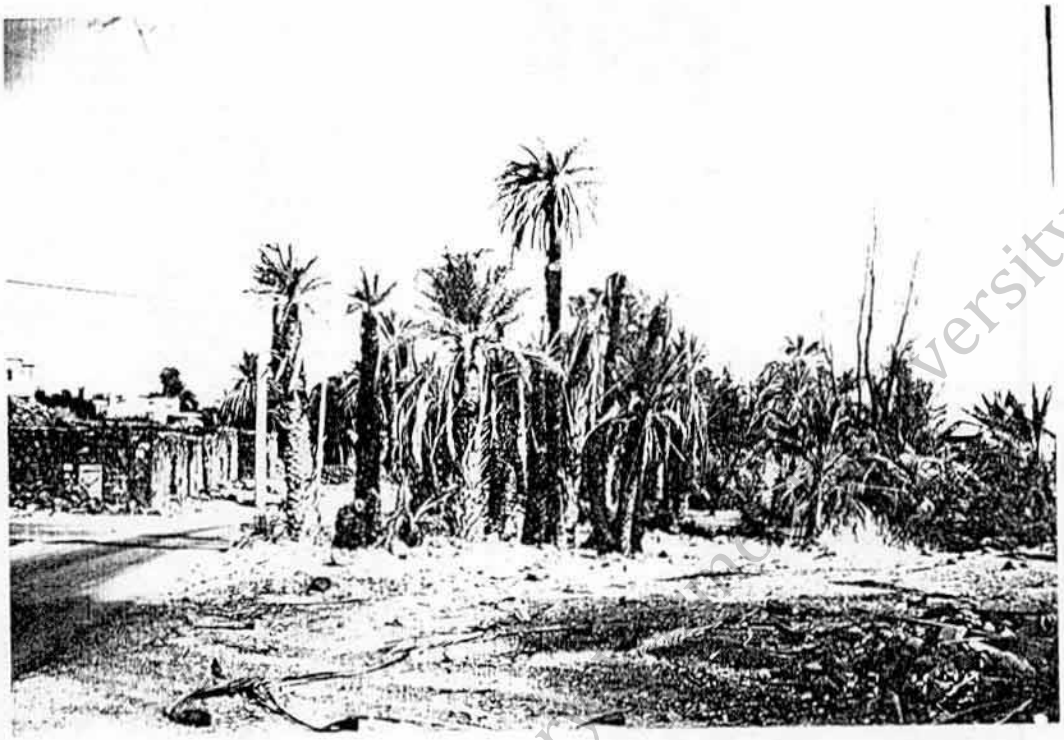

صورة تمثل الوضع المزري لأشجار النخيل

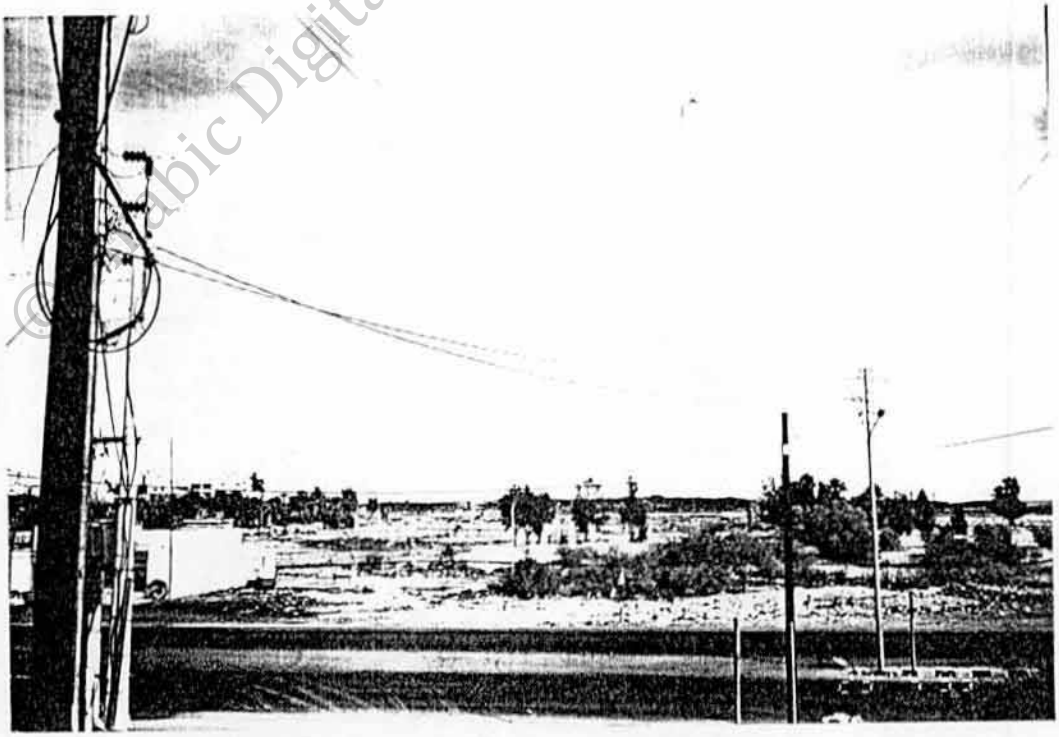

صورة تمثل ضفة الترعة ويظهر الجفاف فيها بشكل واضح.

شكل رقم (١٠)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

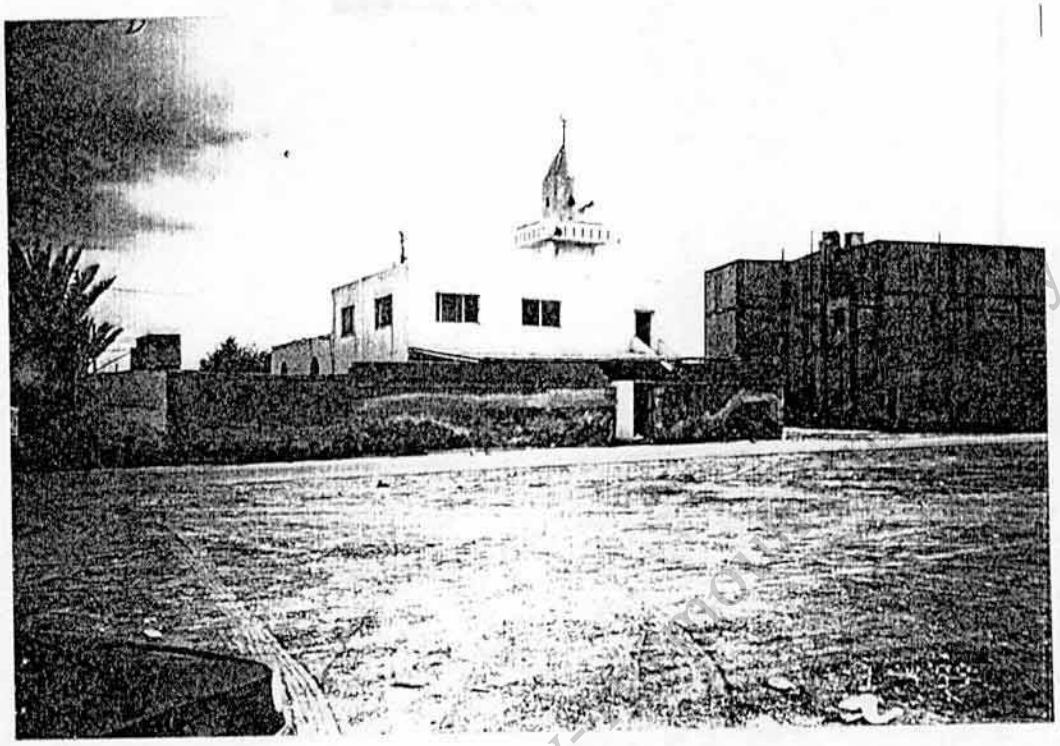

صورة تبين جامع الشيخان في الأزرق الجنوبي

منظر عام للأزرق الجنوبي (أخذت الصورة من نادي الصيد الملكي).

شكل رقم (١١)

صوره تبين المساكن التي يسكنها الدروز بعد
خروجهم من القلعه، وهذه المساكن مبنيه من حجر البازلت.

صوره أخرى لأحد مساكن الدروز في الازرق الشمالي.

شكل رقم (١٢)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

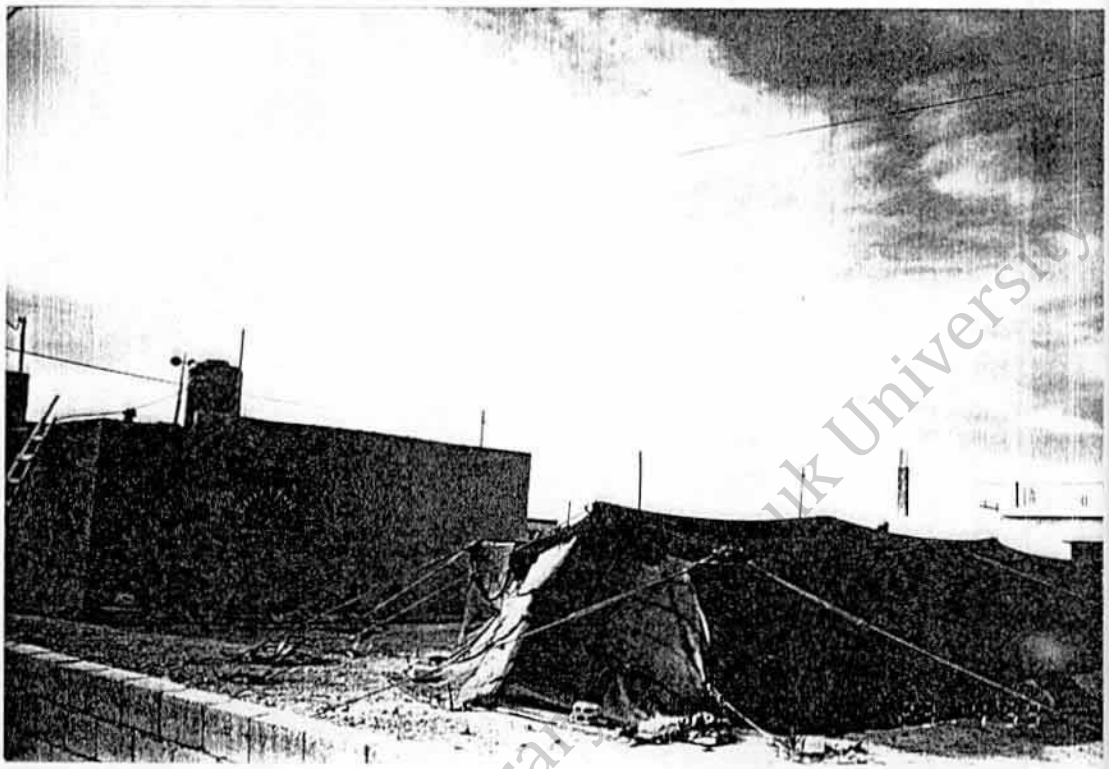

احدى مساكن البدو التي تجمع بين القديم والحديث
ويحيط السور ببيت الشعر والمنزل المبني من الاسمنت .

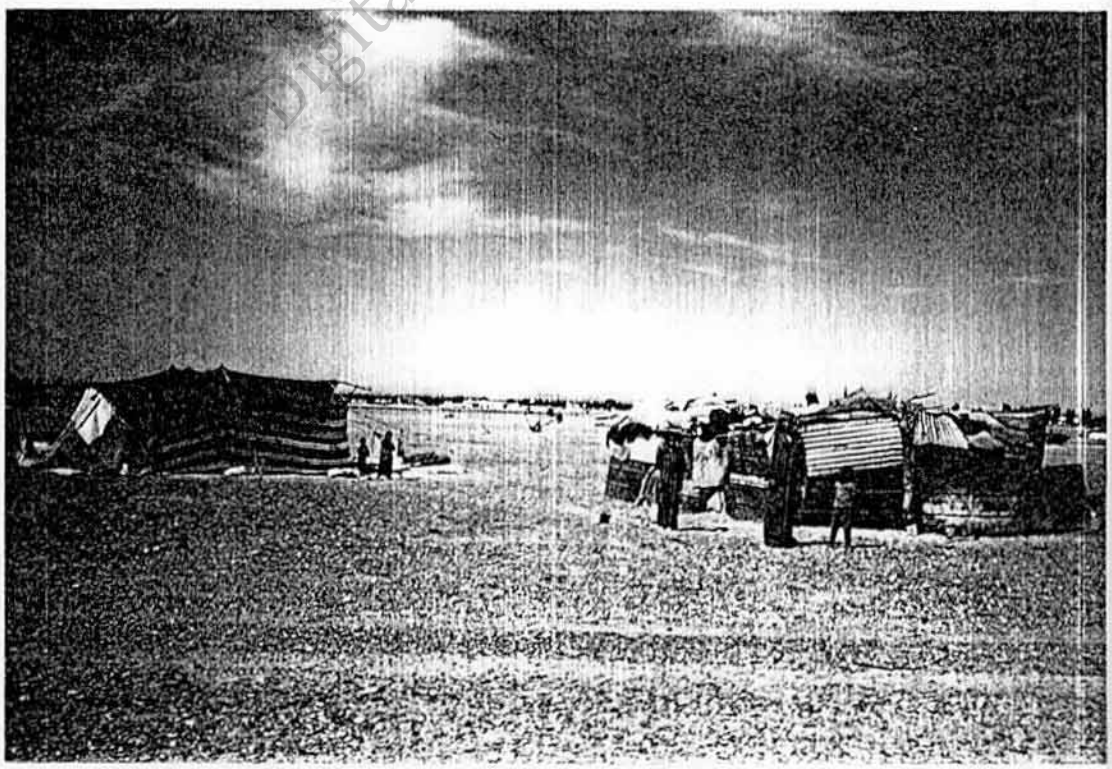

احدى منازل البدو في منطقة ما بين الازرقين .

شكل رقم (١٣)

Digital Library ... uk University

احدى برك تربية الاسماك التابعة لمشروع تربية الأسماك ، وتظهر البركة جافة تماماً تحيط بها قناة .

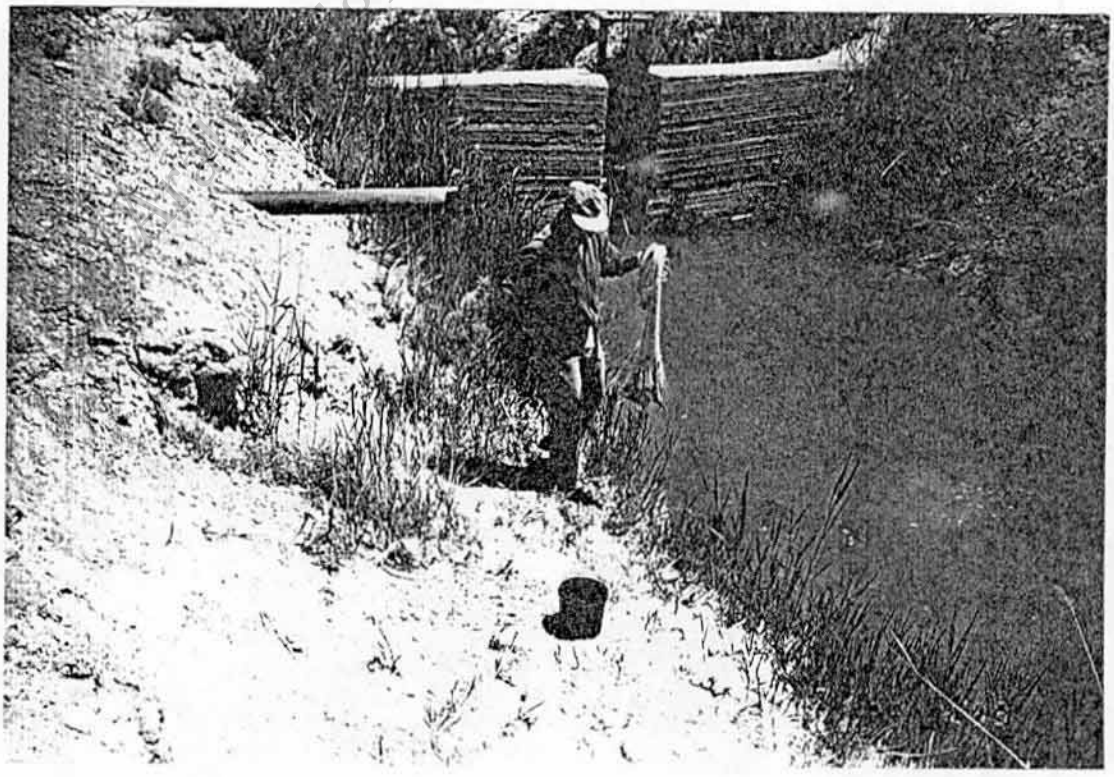

آخر ما تبقى من مشروع تربية الاسماك وتظهر في الصورة قناة النقل الرابعة ويزرع بعض المياه وبعض الاسماك .

(شكل رقم ١٤)

موقع نبع المياه الساخنة بالقرب من استراحة
الازرق الحكومية ، وقد جفت مياهه تماماً .

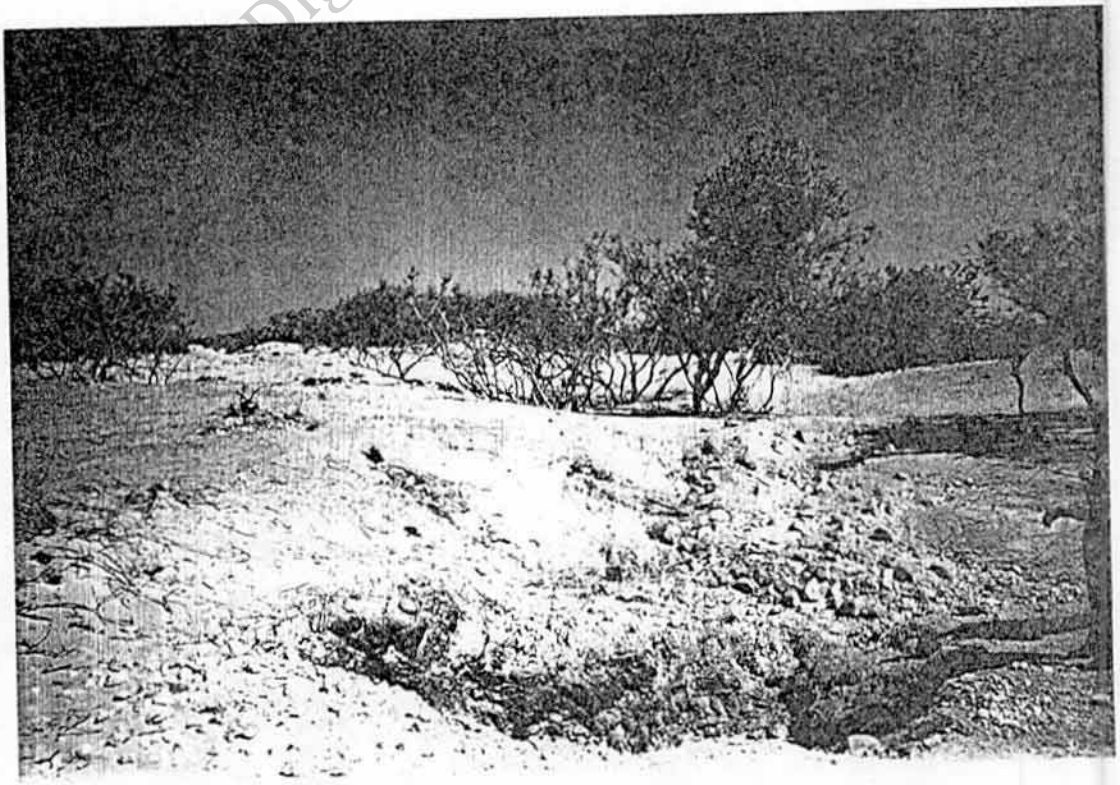

صورة تبين موقع عين الاسد وقد جفت تماماً
وكانت هذه العين مهمة لقطعان الابل والاغنام .

Digital Library

صورة تبين موقع بركة عين العتيبة وقد جفت تماما ونبتت مكانها الاعشاب والنباتات .

صورة تبين موقع بركة العين السوداء وقد جفت تماما . شكل رقم (١٦)

Arabic Digital Library

موقع بوابة الازرق الشمالي، وتبدو في الصورة
هاته، وهناك محاولات لانشاء حديقة حوله مكانه.

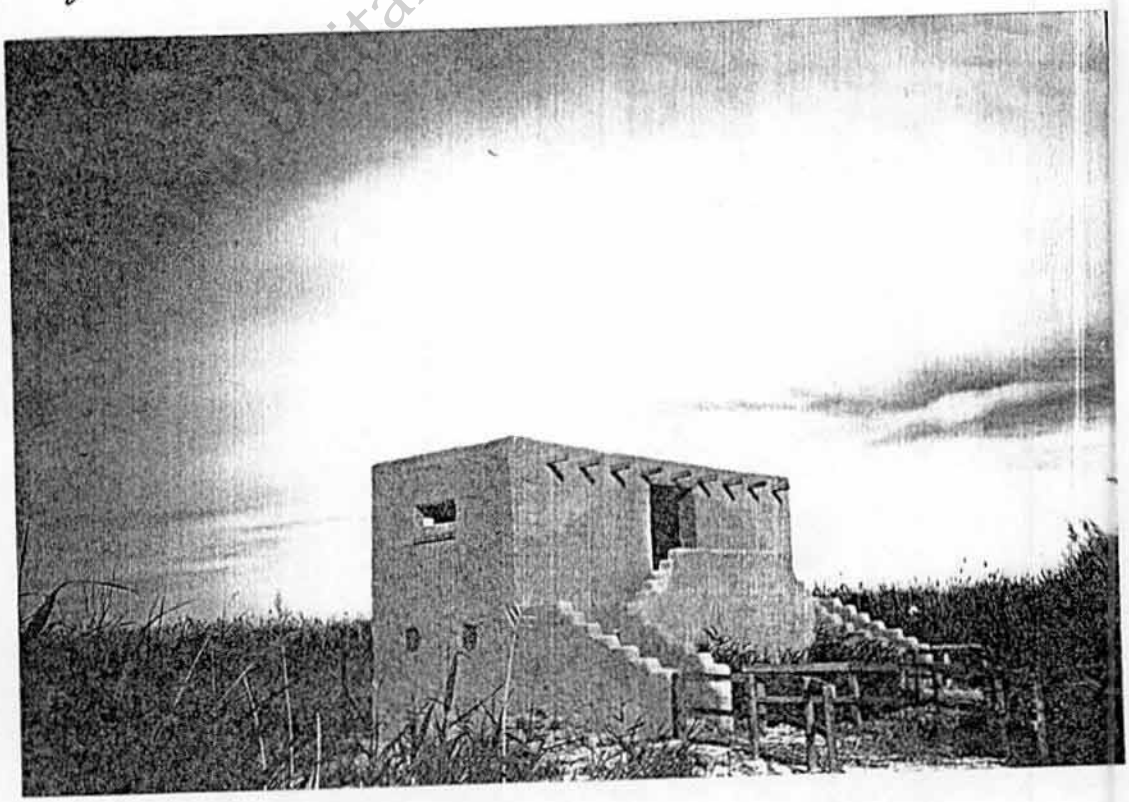

برج مراقبة الطيور الذي انشأته الجمعية الملكية
لحماية الطبيعة في المحمية المائية، وقد انشئ حديثاً.

شكل رقم (١٧)

Digital Library University

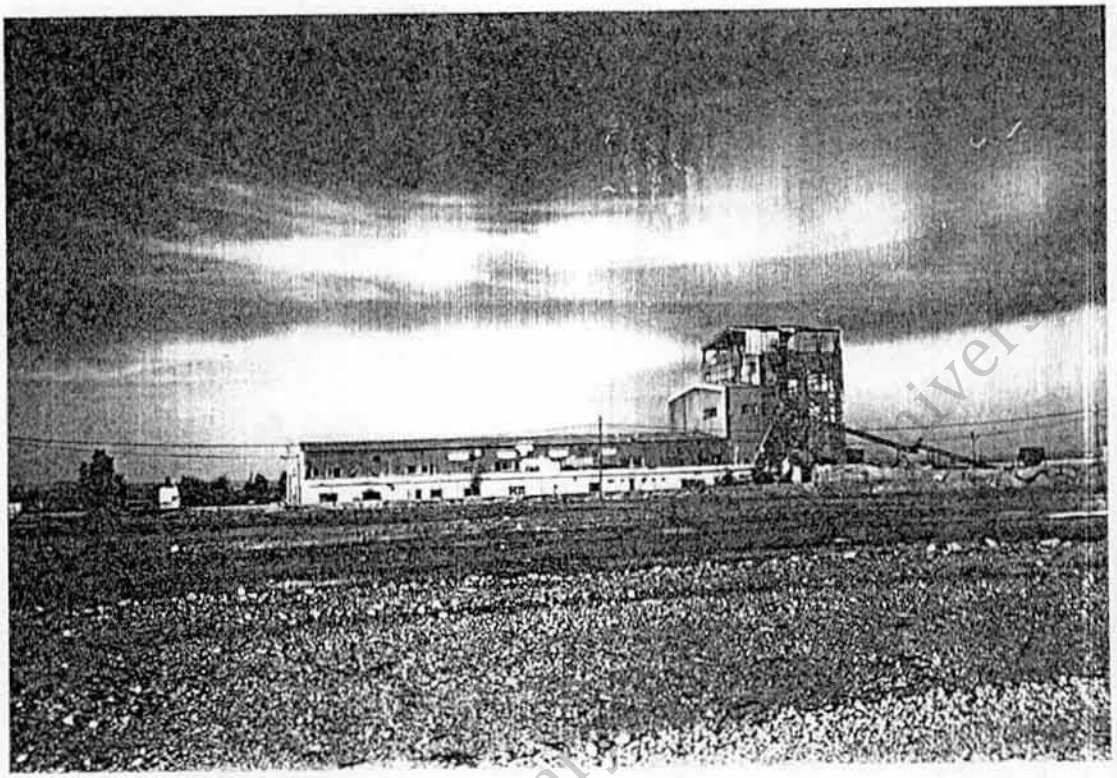

مصنع الملح في الازرق الجنوبي .

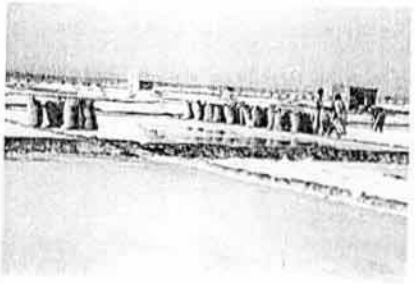

عملية استخراج الملح من قاع الازرق

شكل رقم (١٨) :

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صورة واحة الأزرق في السابق

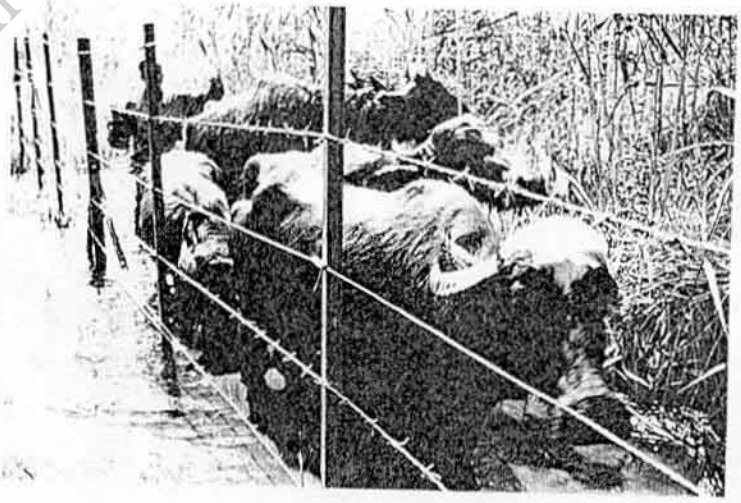

إعادة توطين الجاموس في الحمى المائية

شكل رقم (١٩)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

احدى الآليات التي تستخدم البدو في التنقل والترحال
ونقل الماشيه وتدعى « حشيه »

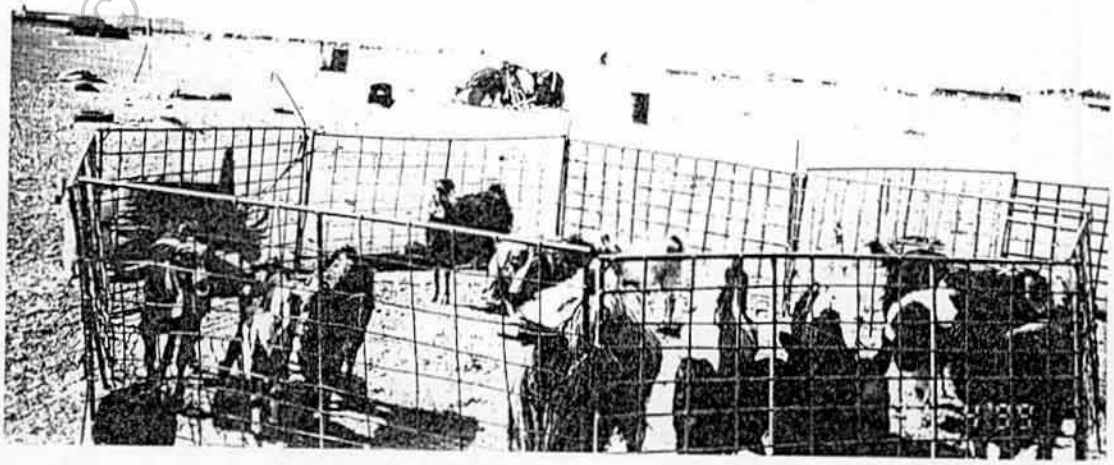

بعض الاغنام في منطقه ما بين الازرقين

شكل رقم (٥٠)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

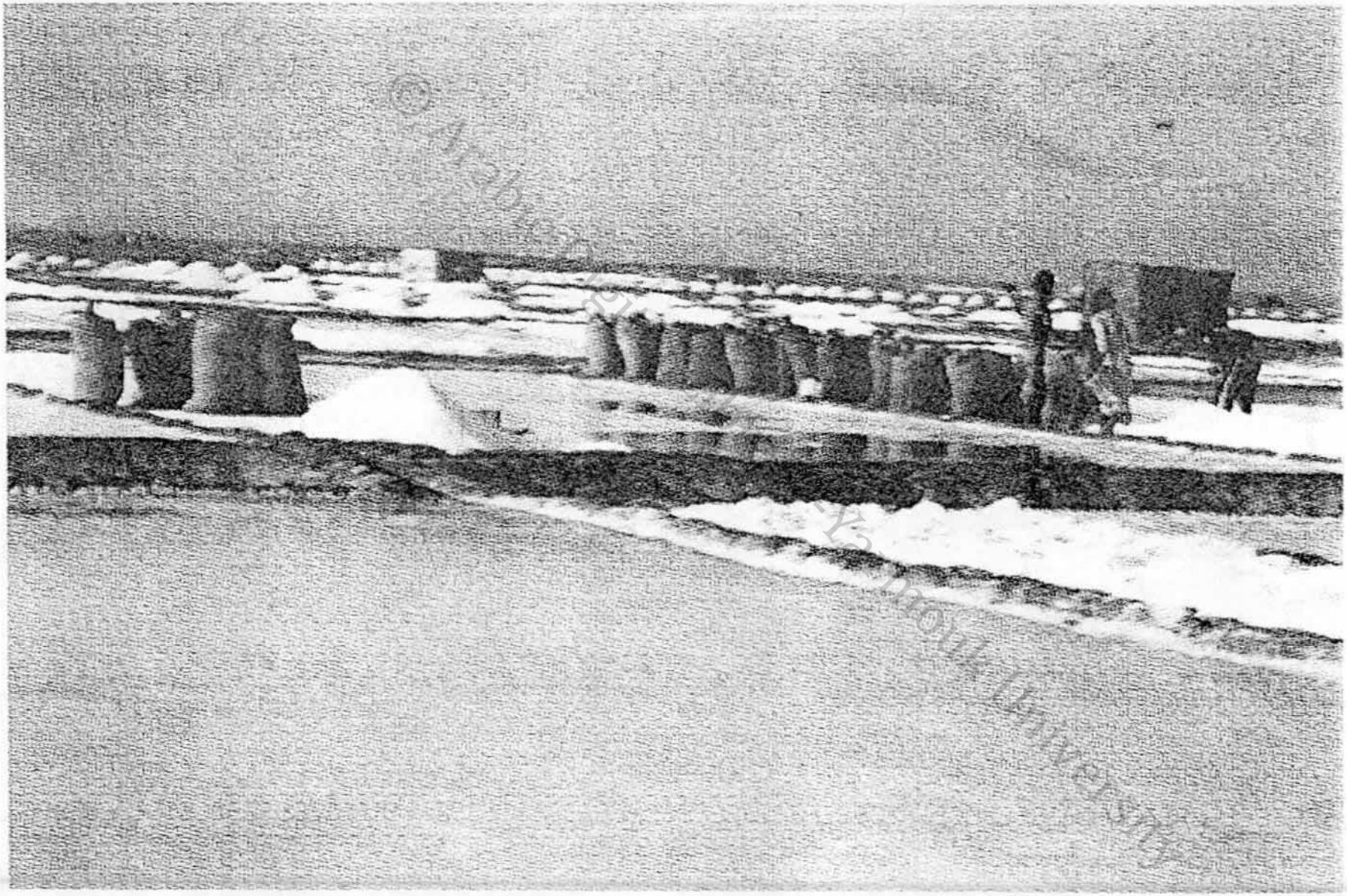

شكل (٢) يوضح عملية استواء الملح بمنطقة قاع الازرق

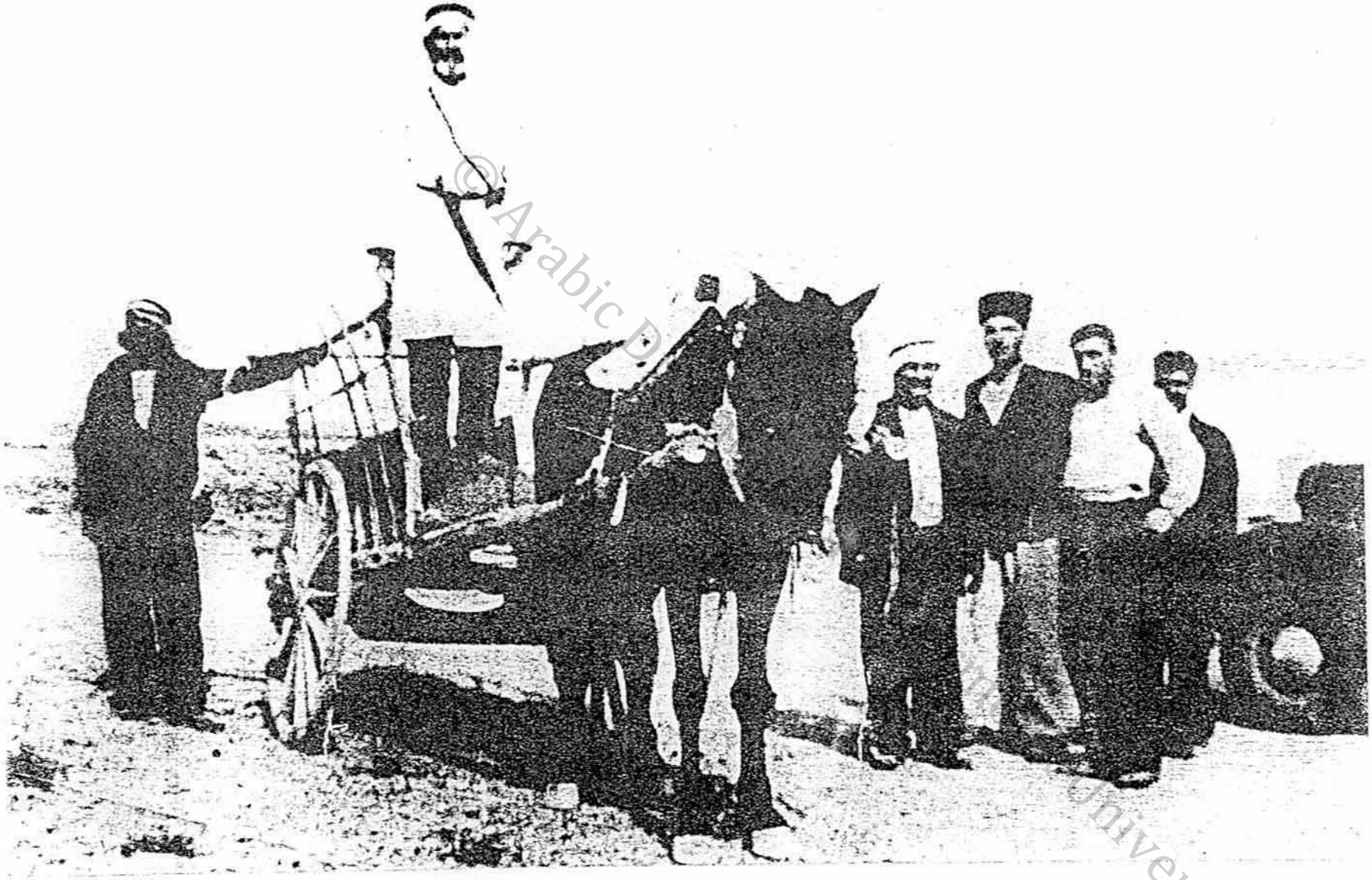

صوره نادره تمثل احد زعماء الشيشان في عربة حصان .

شكل رقم (٢٢)

©Arabic Digital University

صوره في الثمانينات تبين محطه ضخ المياه الى عمان واربد في الاردن الشمالي

احد جنود البادية الاردنية

شكل رقم (٢٤)

عمليه استخراج الملح

© Arabic Digital Library-Yarmouk Univ.